الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري ـ قسنطينة-

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

العنوان:

ظاهرة الانزياح في سورة "النمل"
- دراسة أسلوبية -

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغويات

إعداد الطالبة :
- هدية جيلي

إشراف الأستاذ الدكتور :
- رابح دوب

السنة الجامعية 2006-2007م/ 1427-1428هـ

مقدمة

مقدمة:

إنّ اللّسانيات اليوم موَكّل لها مقوَد الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصيل المناهج و تظير طرق إخصابها فحسب ، ولكن أيضا من حيث إنّها تعلق على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها و موضوعا ، ولقد سنت اللسانيات شريعة لّما تتبعت الظاهرة اللغوية حيث ما كانت حتى ولِجت حقولا مغايرة لها ، وكان من ثمار هذه الممارسة المستحدثة بروز علوم هي بالضرورة نقطة تقاطع علمين على الأقل فسميت معارف متمازجة الاختصاص ومن بينها علم النفس اللّغوي والنقد اللساني والأسلوبي .

وموضوع بحثي عبارة عن دراسة أسلوبية؛ و ما الأسلوبية في ماهيتها إلا وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات أو هي لسانيات تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصوص- على حد تعبير"ريفاتير ميشال"-، و هكذا تسعى الأسلوبية لأن تكون علما تحليليا تجريديا يرمى إلى إدراك الموضوع في حقل إنساني عبر منهج عقلاني يكشف البصمات التي تجعل السلوك اللساني ذا مفارقات عمودية ، والمتبع لمباحث الأسلوبية يدرك أنّ من أهم هذه المباحث ما يتمثل في رصد انحراف الكلام في نسقه المثالي المألوف .

و إذا ما نظرنا للأسلوب كتأليف خاص للغة - المفهوم التأليفي أو المحايث للنص- يتعلق الأمر أولا بالتصور الذي يعالج الأسلوب باعتباره اختيارا وتنظيما دالا لعناصر لسانية ، وقد كان هذا التصور أساسيا للعديد من المنازعات الأسلوبية المتعلقة بظاهرة الانزياح- باعتباره أهم مظهر أسلوبي- والتي تشكل في نظر الدارسين والأسلوبيين — خرقا وانتهاك للاستخدام العادي للغة ، وما ذلك إلا لأنّ الأسلوبيين نظروا إلى اللّغة في مستويين :

الأول : مستواها المثالي في الأداء العادي ، والثاني مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها ،ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية جمالية تحدث تأثيرا خاصا في الملتقى .

ولقد حظي الدرس اللّغوي والبلاغي القديم بشكل عام و الدراسات اللّغوية القرآنية بشكل خاص بالكثير من الاهتمام غير أنّ الناظر إلى هذا الكم الهائل من الدراسات يجد جُلّها متعلقة بالجانب الصوتي ، النحوي ، الصرفي و الدلالي في طابعها الشمولي دون النظر إلى معنى المعنى فتكون بذلك عملية إعادة اجترار لما قاله المفسرون الأولون ، فلئن جاء القرآن الكريم فإنّه لم يأت بلغة موافقة تمام الموافقة لما علية العرب ، بل كان له طريقة جديدة في استعمال اللغة استعمالا يخرج بها عما هي عليه عندهم ، وبذلك يشكل ظاهرة انزياحية تستدعي الوقوف عندها باعتبارها تشكل سمة جمالية من ناحية ومن ناحية أخرى تمكن من الوقوف على أسرار النص القرآني ودلالته الخفية فتجاوز المعنى السطحي الظاهر إلى الدلالة الباطنة والكامنة .

و تأسيسها على ما تقدم كان هذا البحث الموسوم ب: ظاهرة الانزياح في سورة "النمل" - دراسة أسلوبية - و الناظر إلى العنوان والذي يعد أحد المفاتيح لفك إسار و مجاهيل البحث- يجده متعلق بظاهرة الانزياح في القرآن الكريم وعلى وجه التحديد في سورة "النمل" في محاولة لرصد الانزياحات الواردة فيها في مختلف مستويات اللغة . وبطريقة تختلف عما كانت في الدراسات القديمة بُغية تعميق البحث في هذا

المجال ، فعمدت إلى استخلاص الانزياحات في مختلف مستويات اللّغة الصوتية والمصرفية والتركيبية والدلالية و ربطها بالجانب التداولي، وعموما كانت الدوافع التي حملتني على اختيار هذا الموضوع عديدة أهمها :

1-لِما للدراسات القرآنية من أثر كبير على الدراسات البلاغية وتطورها والتي استقامت راسية بفضل أدوات المعرفة اللّغوية في استنطاق النص .

2- الرغبة في فهم وتذوق النص القرآني باعتباره أهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعبير البلاغية .

3- وجود صلات وملامح ومقاربات لظاهرة الانزياح في البلاغة العربية القديمة والتي وجدت تحت مصطلحات مختلفة (العدول ، الاتساع ، الضرورة).

4- إبراز ما لظاهرة الانزياح من أثر بالغ في توجيه المعنى .

5- قلة الأبحاث المتخصصة في هذا المجال من الدراسة- وإن وجدت- لا تعدو أن تكون نقلا عما قاله اللّغويون و البلاغيون والمفسرون الأوائل في مجال الدرس البلاغي .

ومما لاشك فيه أن هناكّ دراسات سابقة عديدة قد تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل عام ، أذكر منها الدراسات القديمة تحت مصطلحات مختلفة تتسع أو تضيق مثل : العدول ، المجاز ، الاتساع ، التوسع ، شجاعة العربية .... عند عدد من اللغويين والبلاغين : " سيبويه " ، " الجاحظ"، " ابن جني" ،"عبد القهار الجرجاني" ،" السكاكي"...، ودراسات حديثة كما هو الحال عند " عبد السلام المسدى " ، " تمام حسان" ، " محمد الهادي الطرابلسي" ، " محمد شكري عياد " ، " منذر العياشي" وغيرهم ، باختلاف تسميتهم للظاهرة.

غير أن اغلب هذه الدراسات لم تكن خاصة بهذا الموضوع تحديدا ، و إنما كانت تتعرض له بالذكر ونشير إليه بصورة إجمالية تتعلق في عمومها بالجانب النظري فقط من الدراسات أما الجانب التطبيقي – إن وجد- فكانوا يطبقون في نصوص غير النص القرآني مما دفعني إلى الاستعانة بكتب التفاسير والقراءات في محاولة مني و بنظرة وقراءة أخرى ومختلفة لّما كُتب ، أي النظر إلى ما هو كائن في هذه المصادر من وجهة نظر أخرى – أو انزياحية إن صح هذا التعبير- مثل القراءات ، الخوارف ....ومن الانتقادات التي وجهت لنظرية الانزياح ، عدم تحديدها للمعيار و الانزياح تحديدا مباشرا دقيقا ، و إهمالها لمقولتي الكاتب والقارئ وعدم أخذها بعين الاعتبار لاحتمال وجود انزياح غير ذات أثر أسلوبي بالنسبة للقارئ دون وجود انزياح وتكشف هذه الاعتبارات جميعها في نهاية المطاف عن غياب التداولية عن مفهوم الانزياح و بالرغم عن كل الاعتراضات تحتفظ أسلوبية الانزياح-كما يفضل البعض إعتبارها - بقيمة استكشافية في توزيع الخصائص الأسلوبية ، وبناء على هذا جاز لنا التساؤل حول طرافة ظاهرة الانزياح .

1- هل هي ظاهرة لا تحمل من الطرافة إلا الجانب اللفظي/ المصطلحيّ منه ؟ أو بعبارة أخرى هل الانزياح ما هو في جوهرة إلا اكتشاف لصرح أثرى عظيم عكف اللّغويون و الأسلوبيون المحدثون على ترميمه ببراعة فائقة؟

2- ثم ما عساه – الانزياح – يحمل في طياته من عوامل تشير بتطور موضوعي أو تحول علماني ؟

3- هل ظاهرة الانزياح ظاهرة عربية في حد ذاتها لها جانبها النظري والتطبيقي معا ؟، أم هي مجرد إســقاط أفكار ومناهج غربية ، على نصوص عربية؟

4- ثم ما مدى وظيفة ظاهرة الانزياح في توجيه المعنى ؟

ولقد رأت من خلال ماسبق ان القي الضوء ولو على جانب يسير من الموضوع وان اجيب علــى المســائل السابقة .

وبناء على هذا جعلت عملي منصبا فيما ياتي :

1-الوقوف ظاهرة الانزياح عند العرب والغرب القدماء والمحدثين .

2-محاولة رصد الانزياحات الواردة في سورة "النمل"المتعلقة بالجانب الصوتي ، الصرفي ، التركيبي والدلالي مع البعد التداولي .

وقد اقتضى موضوع البحث أن اتبع المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي لأنني بصدد وصف الظاهرة – الانزياح – وتتبعها في مختلف بيئاتها ومظاهرها المتعددة ومصطلحاتها المتنوعة ، والوقوف على كل جزيئــات ومستويات اللّغة الواردة واستخراجها في سورة "النمل".

من أجل ذلك قمت بتقسيم البحث كما يأتي :

مدخل : كان حول موقع الأسلوبية في حقل الدراسات الإنسانية ،و ثلاثة فصول : فصل نظــري والموســوم ب: ظاهرة الانزياح عند القدماء والمحدثين : تطرقت فيه إلى الظاهرة عند العرب والغرب قــدماء ومحــدثين ، وهذا الفصل أساسي في كل بحث ، لأنّه يقدم مفاهيم أساسية حول الأسلوبية عامة وظاهرة الانزياح خاصة ، و التي بدونها لا يمكن أن نفهم باقي البحث فهما جيدا ، وذلك من خلال استقراءنا لنصوص مــن التــراث اللّغوي القديم و الوقوف عند المحدثين على حد سواء ،وتتبع آرائهم ومحاولة الإحاطة بوجهات نظرهم حــول الموضوع .

أما الفصلين الآخرين فكانا تطبيقيين ، وقد عنونت الفصل الثاني ب: جماليات الانزياح الصوتي و الضرفي في سورة "النمل" ، وفيه قمت بمحاولة رصد لجملة من الانزياحات الصوتية والصرفية الواردة في سورة "النمل" من مظاهر عدولية جاءت لغاية رعاية الفاصلة ، واختلاف في القراءات ، و ورود صيغ بدل صيغ أخرى هذا كله في مجال الانزياحات اللّغوية ،وقبل ذلك كنت قد تطرقت إلى الانزياحات غير اللّغوية و التي كانت عبارة عن الخوارق الواردة في السورة .

وقد وسمت الفصل الثالث ب:جماليات الانزياح التركيبي والدلالي في سورة " النمل" وفيه تحدثت عــن الانزياحات الناجمة عن التقديم و التأخير ،الحذف والزيادة بالمفهوم النحوي للحذف والزيادة ، وإلتفــات في الضمائر والصيغ والعدد و الأدوات ، وانزياحات دلالية متعلقة بالجانب البياني؛ من مجاز ، و استعارة ، وتشبيه ...محاولة من خلالها الوصول إلى معنى المعنى كما فعل ذلك سابقا الجرجاني ، وكنت قد أشرت إلى الحجــاج في القرآن الكريم في بداية الفصل.

ويمكن تلخيص الأهداف المرجوة من خلال البحث فيما يأتي :

1- التأصيل لظاهرة الانزياح على مستوى التنظير والتطبيق باحثة عن منطلقاتها كاشفة عن أسسها محاولة الإجابة عن التساؤلات التي يفرضها الموضوع ساعية إلى الخروج من بحثي هذا بنظرة تبرز حقيقة الظاهرة الانزياحية وتبيين حدودها .

2- محاولة كشف الستار عما هو كامن في التراث اللغوي العربي بعامة و ظاهرة "العدول"-الانزياح- على وجه الخصوص ، ومدى اهتمام العرب القدماء بقضية المعنى وتصورهم لمفهومه .

3- السعي إلى إيجاد مقاربة بين التراث والمناهج الحديثة ، وتوضيح موقع الدراسات العربية القديمة ضمن الإطار اللساني الحديث ، لا على سبيل إسقاط المفاهيم الغربية / الآخر على المفاهيم التراثية / الأنا ، و إنّما في محاولة لربط جسور التواصل المعرفية .

4- بالإضافة إلى ذلك الشرعية في بيان البعد التداولي الوظيفي الكامن في الدراسات الأسلوبية وفي ظاهرة الانزياح على وجه التحديد.

5- استخراج الانزياحات الواردة في "سورة النمل":على اختلافها ؛ الصوتية ،الصرفية ،النحوية و الدلالية للوصول إلى معنى المعنى .

ولا يوجد بحث لا يتعرض صاحبه لجملة من الصعوبات تتعلق أساسا بنقص المراجع المتخصصة والمتعلقة بهذا المجال خاصة منها التطبيقية ، بالإضافة إلى ذلك كون النص الذي تعاملت معه نص ليس كباقي النصوص الأخرى ، و أني أرجو أن أكون قد وقفت في هذا البحث و أجبت عن اشكالاته ولو بشكل جزئي ، وأن يكون فيه شيء من الفائدة لمن يطالعه من الطلبة وغيرهم.

وفي الخاتم أتقدم بالشكر الجزيل إلى:

- الأستاذ الدكتور المشرف :"رابح دوب" على تحمله عناء البحث
- الأستاذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تكرمهم بقراء البحث
- قسم اللغة العربية وآدابها جامعة " منتوري " – قسنطينة- .
- جامعة "الأمير عبد القادر " للعلوم الإسلامية – قسنطينة- .
- قسم اللّغة العربية و آدابها جامعة "فرحات عباس " –سطيف- .
- إلى كل من ساعد في إنجاز هذا البحث : عمالا و أساتذة و زملاء.
- إلى كل هؤلاء...

مدخل

:6

لقد انصبت الرؤية العلمية الحديثة على الحدّ بالوظيفة أكثر من الحدّ بالبنية العضوية فإنّ اللغـــة هـــي وحدها الكفيلة بإعطاء المرء مقوماته الإنسانية عبر تمكّنه من إجراء العملية التواصلية ، فهي نظام عرفي للرمز إلى نشاط المجتمع ، وكل تقدم اجتماعي كتب له تطورٌ إنّما تم لوجود اللغة، وباعتبارها رابطة تاريخية تـــربط الأجيال المختلفة ربطا يجعل وحدة الأجيال حقيقة ملموسة على الرّغم من اختلاف العصور وذلك بأنّها وعاء للتجارب الشعبية والعادات والتقاليد والعقائد التي تتوارثها الأجيال واحدا بعد الأخر.[1]

وباستقرائي لجملة من المفاهيم المطروحة حول ماهيـــة اللّغـــة نجـــدها عند" ابـــــن جني " (ت392هــ) «...أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ».[2] ، فهو هنا بصدد المزاوجـــة بـــين طبيعة اللغة من حيث هي أصوات، ووظيفتها من حيث إنّها وسيلة تواصل و إبلاغ في حدود جماعة لغويـــة معينة . وهي عند" ابن خلدون "(ت 808 هــ): «عبارة المتكلم عن مقصوده وتلك العبارة فعـــل لســـانيٌّ ناشئٌ عن القصد لإفادة الكلام ، فلا بدّ أن تصير ملكة مقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان ، وهو في كل أمّة بحسب اصطلاحاتهم »[3]وإن كان "ابن خلدون " هنا أكثر تفصيلا وأوضح تميزا لطبيعتها الصوتية عـــن رسومها المدونة بالحروف وكان قبل ذلك قد مهّد إلى أنّ اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتـــها اليد.[4]

وعليه فاللغة إذا ملكة وتحصيلها قرين تعلمها ، ولا تعلّم إلا بتعليم : إرادي أو غير إرادي ، وسؤال اللغة يستدعي المعنى على قدر ما ينادي سؤال المعنى سؤال أخر هو سؤال الدلالة*:كيف تنشأ وكيف تتجلى حتى يتمثلها الساعي إلى تحصيل ملكة اللغة[5]متخطين في ذلك الحواجز التي كانت قائمة بين ثلاث نظريات كبرى في مجال علم الدلالة كل واحدة تركّز على فرضية أساسية: الأولى تعتبر أن مفتاح الدلالة هـــو المعـــنى المعجمي كما استقر في الذاكرة الفردية والجماعية ، والثانية تعتبر أن مفتاح الدلالة هو المعنى السياقي عنـــدما

---

[1] - تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ،دار الثقافة، المغرب ، 1986م، ص:09 .

[2] - ابن جني : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 3، 1986م،ج3، ص :33

[3] - عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة ، لونان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2003 .

[4] - صبحي الصالح : أصول الألسنية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربي ، العدد 8-9- مارس 1979م ،ص:64.

*إن علم الدلالة –فيما يذهب إليه عبد السلام المسدي –ليس علما بموضوع ، إنما هو علم بطرائق تصوير الموضوع ، فهو لذلك علم بكيفيته قبل أن يكون علما بمضمون نعني أنه بحث في المعنى وليس بحث عن المعنى ، ولامراء في أن عالم الدلالة لا يبدأ علمه إلا وقد عرفت الدلالة وعلم المعنى فيأتي هو ليستكشف كيف تم حصول المعنى وما هي الآليات التي سمحت بتحقيق الدلالة على وجه الذي كان يراد أن تتحقق عليه ، أو كيف حصل للفهم أن انحرف عن المقاصد التي رسمت بدءا وانزاح التواصل عنها بميل صغير أو بميل كبير ؟ ينظر: عبد السلام المسدي : العربية والاعراب ، مركز النشر الجامعي ، تونس2003م ، ص:.48

[5]–: المرجع نفسه،ص:257.

يدخل اللفظ في تركيبة الكلام ، والثالثة تُوكّل الأمر إلى المفتاح المقامي بالاحتكام إلى لحظة التداول الفعلي بين المتحاورين باللغة وصولا إلى البحث في مجال اللسانيات الإدراكية التي تمثل اليوم نقلة نوعية وذلك بانصـــهار ثلاث حقائق وهي: الحقيقة العضوية ، الحقيقة النفسية وأخيرا الحقيقة النحوية (5) .

ولقد كانت لمحاضرات " فردنان دي سوسير"(Ferdinand de sausure) ، (1897-1913م) أثر كبير في تطور الدراسات اللغوية ، وذلك عندما فرق بين ثلاث مصطلحات (مواضيع) في الدراسة اللسانية وهي : (اللسان ، اللغة ، الكلام) .

-اللسان: وقد عبّر عن هذا المفهوم بمصطلح *"langage"والذي يشمل حسبه على جـــزئيين : الأول جوهري غرضه اللغة ، ذلك الجانب الذي يتميز بكونه اجتماعيا في ماهيته ومستقلا عن الفرد ، وهذا الجانب من الدراسة هو نفسي فحسب - أي ما ينطبع في النفس في صور الأصوات التي يسمعها الإنسان بعد أن تعوّد على سماعها في بيئة وقد عبّر عن هذا المفهوم بمصطلح**"langue" ، والثاني : ثانوي وغرضه الجزء الفردي من اللسان ونعني به الكلام "parole " وهذا الجزء هو نفسي فيزيائي ، ويختلف من فرد لآخر ، ومن موقف لآخر(2).

والكلام هو تحقيق اللغة عند فرد ما ، فهو مرتبط باللغة لكنه يختلف عنها؛ في أنّه ليس " واقعة اجتماعية "بل " واقعة فردية" تصدر عن وعي فرد يتصف بالاختيار الحر ، أما اللغة وإن كانت خارج نفوذ الفرد فإنها تطبعه بطابعها ، وبما أن الكلام فردي قائم على عنصر الاختيار و لايمكن التنبؤ به ، فإننا لا نستطيع دراســـته دراسة علمية بعكس " اللغة " التي هي" واقعة اجتماعية" تتصف بكونها عامة(3).

فاللسانيات اليوم موّكل لها مقود الحركة التأسيسية في المعرفة الإنسانية لا من حيث تأصـــيل المنـــاهج وتنظير طرق إخصابها فحسب ، و لكن أيضا من حيث إنّها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لهـــا

---

[5] عبد السلام المسدي : العربية والإعراب ، ص :62.

*"Le langage un coté individuel et un coté social . et l' on ne peut concevoir l'un sans l'autre : "; f. de Saussure cours de l'inguistique générale publié par :Charles Bally et Albert Sechlraye, édition préparée par Tullier de Mauro paris, 1980 ,p /24.

** -Mais qu' est ce que la langue ? pour nous elle ne se confond pas avec le langage ; elle n'en est qu'une partie détermineè essentielle , il est vrai , c'est a la fois un produit social de faculté du langage et un ensemble de convention nècessaires adoptées pars le corps social pour permettre l'éxercie de cette faculte chez les individus . F.de saussure : C.L.G.P.25.

2- ينظر فردنان دي سوسير : دروس في الألسنية العامة ترجمة: صالح القرمادي، محمد الشاوش ،محمد عجيمة، الدار العربية للكتاب، ليبيا ،1985م ،ص:353 -354 .

- الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية دراسة تحليلية إبستيمولوجية ، دار القصبة للنشر ،الجزائر، 2001 م، ص :71.

3- إميل بديع يعقوب : فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ،1973م ،ص:77.

وموضوعا ، ولا يتميز الإنسان بشيء تميزه بالكلام ، وقد حده الحكماء منذ القديم بأنّه الحيوان الناطق ، وهذه الخصوصية المطلقة هي التي أضفت على اللسانيات –من جهة أخرى – صبغة الجاذبية والإشـــعار في الوقـــت نفسه، فاللغة عنصر قارٌ في العلم والمعرفة سواء ما كان منها علما دقيقا أو معرفة نسبية أو تفكيرا مجردا فباللغة نتحدث عن الأشياء وباللغة نتحدث عن اللغة ، وتلك هي وظيفة "ما وراء اللغة " (le metalangage) .

ولقد سنّت اللسانيات شريعة لّما تتبعت الظاهرة اللغوية حيثما كانت حتى ولجت حقولا مغايرة لهـــا ، وكان من ثمار هذه الممارسة المستحدثة بروز علوم هي بالضرورة نقطة تقاطع علمين على الأقل ، فســـميت معارف متمازجة الاختصاص ومن بينها علم النفس اللغوي ، والنقد اللساني والأســـلوبية [7] - الـــتي منـــها موضوع بحثي وأعني بذلك ظاهرة الانزياح - والأسلوبية مصطلح مركب من جذر وهو" أسلوب" "style " ولاحقته "ية" "ique" فالأسلوب ذو مدلول إنساني ذاتي وبالتالي نسبي ، واللاحقة تختص – فيما تختص بـــه – بالبعد العلماني العقلي وبالتالي الموضوعي .ويمكن في كلتا الحالتين تفكيك الدال الاصطلاحي إلى مدلوليه بما يطابق عبارة : علم الأسلوب(science du style) لذلك تعرف الأسلوبية بداهة'' بالبحث عن الأســـس الموضوعية لإرساء علم الأسلوب[8].

ولعل أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديد حقل الأسلوبية يرتكز أساسا على ثنائية تكامليـــة هـــي مـــن مواضعات التفكير اللساني وقد أحكم استغلالها علميا " سوسير "، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظاهرة اللسانية إلى واقعين أو لنقُل إلى ظاهرتين وجوديتين : ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة (langue – parole) وقد اعتمد كل اللسانيين بعد " سوسير" على الثنائية فنجدها : اللغة والخطاب (langue –discours) حسب "ق قيوم "(Gustave guillaume) والجهاز والنص (système –texte) حسب "ل- هيلمسلاف" (louis hyelmslev) وطاقة القوة وطاقة الفعل (compétence -performance) حسب" تشـــو مســـكي " (Noam Chomsky) والنمط والرسالة (code –message) حســـب" ر- جاكســـون" Roment (Jakobson).

والكلام باعتباره الظـــاهرة المجسِّدة للغة ساعد على حصر مجال الأسلوبية إذ لا يمكن أن تتصل إلا بالجـــدول الثاني من الظاهرة وهو الحيز العملي المحسوس المسمى عبارةً أو خطابًا أو نصًا أو رسالةً أو طاقةً بالفعل[9].

لقد أشار الدارسون إلى علاقة الأسلوبية باللسانيات وركزوا في ذلك على المقاربات والمفارقات القائمة بينهما ومن أهم الفروق القائمة :

---

[7] - عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ،1981م، ص:9-10.

[8] - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، دار سعاد الصباح ، تونس،ط4 ، 1993م ،ص:34.

[9] - المرجع نفسه ،ص: 38 ،39.

- أن اللسانيات تعني أساسا بالتنظير إلى اللغة كشكل من أشكال الحدوث المفترضة وأن الأسلوبية تتجه إلى المحدث فعلا ، وأن اللسانيات تعني باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها ، وأن الأسلوبية تعنى باللغـــة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس المتلقي كأداء مباشر[10].

ويمكن أن أمثل لهذه الفروق التي ذهب إليها من قبل " منذر عياشي " ،"عبد السلام المسدي " و"نـــور الدين السد": في الجدول الأتي :

اللسانيات	الأسلوبية
1-تعنى أساسا بالجملة . 2-تعنى بالتنظير إلى اللغة – كشكل من أشكال الحدوث المفترضة 3- تعني باللغة من حيث هي مدرك مجرد تمثله قوانينها.	1- تعني بالإنتاج الكلي للكلام 2- نتجه إلى المحدث فعلا 3- تعني باللغة من حيث الأثر الذي تتركه في نفس الملتقي كأداء مباشر .

(11)

ومما يلاحظ في تحديد الفروق المشار إليها أن موضوع العلمين واحد وهو اللغة ولكن مستويات تحليل هذه الظاهرة تختلف بينها بحسب الغايات العلمية التي يتوخاها كل منه وهذا ما أدى إلى اعتبار الأسلوبية رغم تطورها وامتلاك خصوصياتها فرعا من فروع اللسانيات شأنها في ذلك شأن علم الدلالة وعلـــم الإشـــارة " السميو لوجيا " وعلم الأصوات [12] وذلك استنادا إلى تعاريف الأسلوبين أمثـــال" بييـــارجيرو" (Pierre Guiraud) الذي يجعل "الأسلوبية تتحدد بكونها البعد اللساني لظاهرة الأسلوب طالما أن جوهر الأثر الأدبي لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغته الإبلاغية "[13].

---

10 - موسي ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، دار الكندي للنشر والتوزيع ،الأردن، 2002م ،ص:11 وما بعدها .
- منذر عايشي: مقالات في للأسلوبية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،1990 م،ص:11وما بعدها .
- نور الدين السد:الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،1997م ،ج1، ص:46.

11- نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص:46.

12 - المرجع نفسه ،ص:15 نقلا عن : Pierre Guiraud La Stylistique Coll Que Sais Je N 64 G Du F 7 Ene Ed 1972 Paris

13 -عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص:48، نقلا عن مجلة: Langue Francaise N03 Sept 1969 P:04

و" دولاس" الـــذي يقول : "إنّ الأسلوبية تعرف بأنها منهج لســـاني "[14] وأخـــيرا " مشـــال ريفاتير" (M. Riffaterre) الذي يعرفها - الأسلوبية –بأنها "لسانيات تعنى بظاهرة حمل الذهن علـــى فهم معين وإدراك مخصوص "[15].

وبهذا الذي أسلفت بسطه أضحت اللسانيات قطب الرحى في التفكير الإنساني الحديث مـــن حيـــث بلورة المناهج والممارسات وأصبحت بذلك مفتاح كل حداثة [16].

والمتتبع لتاريخ الدارسات الأسلوبية بهذا المصطلح – يجدها قد بدأت بذورها الأولى عام 1875م حيث أطلق "فون درجابلنتس " مصطلح الأسلوبية على دراسة الأسلوب عبر الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية أو هي ما يفضله الكاتب من الكلمات والتراكيب و يؤْثره على ما سواه لأنه يجده أكثر تعـــبيرا عـــن فكرته و نفسه [17].

وفي عام 1902م جزم " شارل بالي"(Charles Bally) (1865-1943م) أنّ علم الأسلوب قد أرسى قواعده النهائية مثلما أرسى أستاذه " سوسير " أصول اللسانيات الحديثة ، وذلك حينما نشـــر كتابـــه الأول الموسوم ب "بحث في علم الأسلوب الفرنسي " و أردفه بكتاب آخر عام 1905 م والموسوم بالمجمل في الأسلوبية وأنّه لاحظ عدم تغطية نموذج أستاذه لكل أبعاد الظاهرة اللغوية حينما شبّه النظام اللغوي بقطع الشطرنج وهذا كفيلٌ بجعل المبتدئ في اللعبة يلاحظ أنّه نسقٌ بدون قلب ، أي أنّه نســـق يفتقـــد الجانـــب الوجداني؛ هذا الجانب هو الذي بحث عنه "بالى " وأسماه الأسلوبية [18].

ويتمثل مفهوم الأسلوب عنده في مجموعة من عناصر اللغة المؤثرة عاطفيا على المســـتمع و القـــارئ ، ومهمة علم الأسلوب لديه هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة والفاعلة المتبادلة بين العناصـــر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المعبرة [19] .

بيد أن روح الوثوقية* هذه تأتي عليه – "بالي" – أطوار من النقد والشك فالذين تبنّوا وصايا "بالي " في التحليل الأسلوبي ، نبذوا من بعده هذه العلمانية الإنسانية و وظّفوا في العمل الأسلوبي شحنات من التيار

---

14 - عبد السلام المسدي: الأسلوبية و الأسلوب، ص:48، نقلا: عن مقدمة لكتاب ريفاتير:

Essais De Stylistique Structurale Trad. Daniel de Las Ed Flammarion 1971 Paris P:12

15- المرجع نفسه : ص:49 نقلا عن: كتاب ريفاتير ، ص:136.

16 - عبد السلام المسدي :التفكير اللساني في الحضارة العربية، ص:11.

17 - محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1، 1989م ،ص:17.

18- محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، إفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص:22 .

19 - موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص:10.

* الوثوقية "Le degnatisme" قديما تدل في الفلسفة على كل مذهب يؤكد سلفا جملة من الحقائق ويرفض التشكك "Le scepticisme" ثم خلص استعمالها شيئا فشيئا إلى كل من يرفض الشك "Le doute " فيما يعتقد أنه حقيقة أو يرفض مجرد النقد ، وبذلك أصبحت العبارة ذلت شحنة تهجينية. ينظر: عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، 250

الوضعي ومن أبرز هـؤلاء في المدرسـة الفرنسـية نجـد: "مـار وزو " (J.Marouzeau) و"كراسـو" (M.Gressot).

وقد عبر " ماروزو "منذ عام 1941م عن أزمة الدراسات الأسلوبية وهي تتذبـذب بـين موضـوعية اللسانيات ونسبية الاستقراءات، وجفاف المستخلصات فنادى بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنـان الشجرة اللسانية العامة وقد اعتمد " رينه ولاك" (René Wellek) و" أوستن وارين (Austin Warren) على النداء من بعده في كتابهما المشترك "النظرية الأدبية" سنة 1948م ، لكن هذا الشطط العقلاني في منـهج البحث قد استفز بدوره ردود فعل مضادة تولدت على يد الألماني " ليو سبيتزر" (Léo spitzer) الذي يمكن نعته بالانطباعية ، فكل قواعده العلمية والنظرية قد أغرقت في ذاتية التحليل وقالت بنسبية التعليل .[20]

وفي سنة 1960 م انعقدت بجامعة أنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة عالمية شارك فيهـا أبـرز اللسانين الأدباء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وكان محورها "الأسلوب" ألقى فيها "جاكبسون " محاضرته حول '' اللسانيات والإنشائية '' فأكد سلامة بناء الجسر الواصل بين اللسانيات و الأدب [21].

وما لبث" ت تودورف " (Tzvetan Todorov) أن أصدر أعمال الشكليين الروس مترجمـة إلى الفرنسية ، ثم بلور قواعد أصولية الإنشائية ، وذلك في كتابه " ا لأدب والدلالة "عام 1966م ، وهو عمـل ترشح به لنيل درجة الدكتوراه و اتخذ لبحثه محور العلائق التركيبية و العضوية بين الأدب مضمونا ومنطوقـا وحاول رسم فلسفة المنهج النقدي [22].

وفي عام 1969م يؤكد الألماني " س ألمان " (Stephen Ullman) استقرار الألسنية علما لسـانيا نقديا فيقول : إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري غائيات هذا العلم الوليد ومناهجه ومصطلحا ته من تردد ، ولنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الألسنية من فضل علـى النقـد الأدبي و اللسلنيات معا[23] .

وفي الثاني من ديسمبر سنة 1980م يلقي " م. فوكو"(Michel Foucault) في فرنسا درسه الأول معنونا إياه " بسلطان الحكم" تناول فيه العلاقة التأسيسية الإجرائية بين الخطاب والواقع الحي المعاش و انتهى إلى أن كلا'' من فلسفة الذات الفاعلة وفلسفة التجربة المنشئة وفلسفة القرائن الشاملة ترتبط بعالم الخطـاب المخطوط منه والمقروء.

---

[20]- عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص20.21

[21] - محمد عبد المنعم خفاجي، محمد السعدي فرهود ، عبد العزيز شرف: الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية ، مصر، ط1، 1992 م، ص:14.

[22] - المرجع نفسه، ص:14.

[23] - محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا ، ص: 19 نقلا عن:

S.Ullmamn Menaçant And Style 1973.P :7

و في العام نفسه يصدر " دي لوفر" (De loffer)كتابه "الأسلوبية والشعرية الفرنسية" ينقض فيه مبدأ البحث الأصولي في منهجية العمل الأسلوبي، معرضا عن تمثل قواعد الموازنة بين عقلانية المنـــهج في العلـــوم الصحيحة وعفوية استقراء في حقول العلوم الإنسانية .

والواقع أن دراسة الأسلوب قد فجرت أبحاث (البويطيقا) الجديدة ، و أثرت علم العلامات وامتدت بينه وبين النقد الأدبي أسباب متكاتفة حمل ريادة ممارستها في المدرسة الفرنسية "قرايمـــاس" (Algirdas julien Greimas) [24].

ولذا لم يكن غريبا أن يحرص الناقد العربي الحديث وتحديدا منذ نهاية السبعينات على أخـــذ التحليـــل الأسلوبي للنص مأخذ الجد في ممارسته النقدية الشاملة ، فكان أن ظهرت بعض الاتجاهات الأسلوبية الحديثة في قراءات عدد من النقاد العرب المحدثين ومنها اتجاهات اشتبكت داخل لغة نقدية و سميولوجية أشمل، و اتجاهات قلصت حدود الفاعلية الأسلوبية إلى لون من التحليل الألسني الذي يعتمد كليا على آليات التحليل اللســـاني و البلاغي فحسب أي أنّ هناك بعض النقاد الذين أحالوا التحليل الأسلوبي إلى ملحق باللسانيات وقصـــروا الفاعلية الأسلوبية على الفاعلية اللسانية بينما سعى عدد أكبر إلى إدماج التحليل الأسلوبي الذي يعتمد بدوره إلى حدٍّ كبير على مستويات التحليل اللساني بالتحليل النقدي الشامل، أي اعتبار التحليل الأسلوبي مجرد وجه واحد من أوجه المنظور النقدي الذي يمتلك شمولا وتكاملا[25] .

والملاحظ أن الأسماء المتعلقة بظاهرة الانزياح متعددة وإن كانت في معظمها تشير إلى وصف ظـــاهرة واحدة ، فقد سميّ بالعدول وهو اسم مأخوذ من الموروث البلاغي والنقدي العـــربي القـــديم، " التشـــويش" و" البعد " و"الفارق" ، "الخروج "، "الخرق "، "الابتعاد" ،"الشذوذ"، "التشويه "،" المجاوزة" ، "الانتـــهاك" ، "النشاز "و" الاتساع " ، هذا التعدد في المصطلح-فوضى المصطلح – إنما ينم عن القلق الذي يعيشه المصطلح النقدي العربي المعاصر وهذا إشارة إلى حالة عدم الاستقرار وتوكيد لظاهرة الانفلات والتشتت التي يعاني منها المصطلح يشكل عام[26].

إنّ الدراسات الأسلوبية هي حديثة العهد في النقد العربي – لاشك في ذلك- وهي مستمدة من التفاعل الحضاري مع الغرب ، لكن هذا لا يعني أنه لم تكن هناك بدائل أو مقاربات أو ملامح أسلوبية في نقـــدنا القديم ومن ثمة القول بالاستمرارية – القطيعة النسبية والتواصل النسبي – بين الموروث القـــديم والأســـلوبية الحديثة وما يسمح لي بهذا الطرح الفكري وجود ظاهرة الانزياح – قديما – تحت مصطلحات متعددة – وما

---

[24] - عبد السلام المسدي: المرجع السابق، ص:25.

محمد عزام: المرجع السابق، ص 20.

[25] - فاضل ثامر : اللغة الثانية (في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء –المغرب، ط1، 1994م، ص:91.

[26] - موسى ربابعة: الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها، ص:45.

أكثرها – مثل" المجاز" "التوسع " و"الضرورة" أو" الاتساع" وهي من أكثر المصطلحات ورودا خصوصا في مصنفات القدماء للدلالة على كل استخدام ينتهك النمط التعبيري المألوف ، ويتخطى ما جرت العادة باستعماله ، مثل التجاوزات التي كان الشعراء ويعمدون إليها من خلال تعاملهم مع اللغة ، ومن أهم الأسماء الأخرى التي أطلق على مثل هذا الإجراء في استخدام اللغة عند القدماء مصطلح : "العدول "على اختلاف صيغها عند" ابن جنّي" و"الفارابي" و"ابن سينا" "الجرجاني" "السكاكي" "نجم الدين ابن الأثير"... وكذا مصطلح " التغير " – عند شارح" أرسطو" في مقابل المحاكاة – عند" ابن سينا" ، "ابن رشد" "الفرابي" كما نجد أيضا مصطلح" الانحراف" و"التحريف "، "الخروج" ، "اللحن" "التخييل" ، "الكذب" "إعمال الحيلة" ، "منافرة العادة" وغيرها (27).

تشكل ظاهرة الانزياح في نظر الدارسين الأسلوبين خرقا وانتهاكا للاستخدام العادي للغة – كما سبق وأن أشرت – وما ذلك إلا لأنّ الأسلوبيين نظروا إلى اللغة في مستويين : الأول –مستواها المثالي في الأداء العادي ، والثاني – مستواها الإبداعي الذي يعتمد على اختراق هذه المثالية وانتهاكها ، ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات أسلوبية جمالية تحدث تأثيرا خاصا في المتلقي .

والمستوى العادي هو الذي يعتمد النحو التقعيدي في تشكيل عناصره ،كما يعتمد اللغة في تنسيق هذه العناصر وثمرة الترابط بين ما يقول به النحاة وما يقول به اللغويون ظهور مثالية اللغة في استخدامها المألوف و هي مثالية افتراضية أكثر منها تطبيقية واقعية. (28)

إن ما يثير مشكلة تحديد الانزياح هو مسألة المعيار الذي يبرز هذا الانزياح ، ما هو هذا المعيار ؟ وكيف يمكن أن نحدده ؟ .

لقد حاول "موكوروفسكي" (Mocorofesky) أن يسن قانونا داخل قانون الانزياح حينما قال : " كلما كان قانون اللغة المعيارية أكثر ثباتا في لغة ما ، كان انتهاكه أكثر تنوعا ، ومن ثم كثرة إمكانات الشعر في تلك اللغة ومن ناحية أخرى كلما قل الوعي بهذا القانون قلت إمكانات الانتهاك ومن ثم تقل إمكانات الشعر (29)

إذن –مرة أخرى – أقول ما الذي يحدد الانزياح ؟

---

[27] - احمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ،2002م، ص:38 وما بعدها .

موسى ربابعة : المرجع السابق ، ص48 .

[28] - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية لوجمان، مصر، (د.ت) ص:268.

- نور الدين السد : الأسلوبية و تحليل الخطاب ، ج1، ص: 179 .

[29] - حسن ناظم : البنى الأسلوبية دراسة في" أنشودةالمطر" للسياب ، بغداد ، 1995م ،ص :44.

لقد وجدت في مشروع " جان كوهين " أن الذي يحدد الانزياح بمختلف أنواعهـــا إنمـــا هـــو عـــالم اللسانيات في حين أن ما يحدد الانزياح في مشروع " ريفاتير " إنما هو القارئ أو مجموعة من القراء ، ولكـــن من الذي يحدد الانزياحات غير ذات أثر أسلوبي (مثل الخطاء النحويـــة) والعكـــس ، أي وجـــــود اثـــر أسلـــوبي(بالنسبة للقارئ) دون وجود انزياح ، وتكشف هذه الاعتراضات (إهمال لمقولتي الكاتب والقارئ/ الانزياحات غير ذات أثر أسلوبي) ،في نهاية المطاف عن غياب التداولية عن مفهوم الانزياح (30) وهـــذا مـــا سأحاول البحث فيه .

لقد صنف الغربيون الانزياحات في خمسة نماذج استنادا إلى معايير تحدّد الانزياح نفسه :

1-تصنيف الانزياحات استنادا إلى درجة انتشارها في النص بوصفها انزياحات متموضعة في ســـياق النص كالاستعارة التي تعد انزياحا موضعيا عن النظام اللساني أو بوصفها انزياحات تشمل الـــنص الأدبي في عمومه كالتكرار الذي يمكن تحديد درجة انزياحه طبقا لعمليات إحصائية .

2- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القواعد اللسانية فتبرز لنا انزياحات سلبية كتخصيص القاعدة العامة ، وانزياحات إيجابية كإضافة قيود معينة مثل القافية .

3- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى علاقة القاعدة بالنص المحلل ، فتبرز لنا إنزياحات داخلية تتمثل في انفصال وحدة لسانية عن القاعدة المهيمنة على النص ، وانزياحات خارجية تتمثل في اختلاف أسلوب النص عن القاعدة التي كتب النص بلغتها.

4- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى مبدأي الاختيار والتأليف طبقا لفريضـــة " جاكبســـون" " Jakobson " في إسقاط مبدأ التماثل من محور الاختيار على محور التأليف فتبرز لنا انزياحات استبدالية تحطم قواعد الاختيار كوضع المفرد مكان الجمع والصفة مكان الموصوف واللفظ الغريب بدلا من المألوف .

5- تصنيف الانزياحات بالنظر إلى المستوى اللساني الذي تستند إليه تلك الانزياحات فتـــبرز لنـــا انزياحات خطية وصوتية وصرفية ومعجمية ونحوية ودلالية (31).

كما سبق وأن أشرت إلى ظهور مثالية اللغة وهي مثالية افتراضية أو ما يسمى " بالمستوى النمطي " أو " المعياري " في مقابل الاستخدام الفني أو" الأصل " كما يسميه اللغويون لا وجود لـــه –غالبـــا – إلا في تقدير اللغويين والبلاغين في المواضع التي يحمل فيها الظاهر على المجاز وهو التخريج الذي يحتاج في مقابله إلى مستوى آخر يعكس عليه القول بمجازية النص المحسوس ، فمثلا في قوله تعالى : (**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**) (32)يحتاج

---

30 - هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سميائي لتحليل النص ، ترجمة وتعليق محمد العمري ، افريقيا االشرق، المغرب،1999م ،ص:58.

31 - صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه واجراءاته ،دار الشروق، القاهرة ،ط1، 1998م ، ص: (210-212).
- حسان ناظم : البنى الأسلوبية ، ص : 46.

32- يوسف : 82 .

القول بمجازية إسناد السؤال للقرية إلى تقدير أن الأصل هو (واسأل أهل القرية) وذلك عند من يرون استحالة توجيه السؤال للقرية ، ولكننا لن نحتاج إلى هذا التقدير ، وسيظل التعبير المحسوس هو الأصل إذا كانت القرية بمعنى (مجتمع الناس) -فيما رأى البعض – أو إذا كان يصح سؤالها وجوابها فعلا – كما يرى آخرون – .

ومما أسلفت بسطه يتضح أنه لا وجود – غالبا – للمستوى المثالي الكامن وراء المستوى الفني والسابق عليه – كما يصرح اللغويون والبلاغيون- وكل ما لدينا هو هذا الظاهر المحسوس ، ويقال بمجازيته ...فيقدر في مقابله نمط أو مثال ينعكس عليه، ويقال بحقيقته ... فيبقى هو النمط والمثال لا غير ، وتخضع المسألة لعوامل خارجية عن مجرد العبارة اللغوية[33] .

ومن الطبيعي أن تكون علاقة الترتيب في هذه الحالة على خلاف ما يزعمه النحاة وأصحاب اللغة والبلاغيون أيضا ، وأن يكون ما بأيدينا من أثار أدبية ، وما كان بأيدي القدماء أيضا من ذلك – مما يوصف باللحوق والانحراف – والبداية والأصل وهو المنطلق الأساسي إلى كل عملية تقدير أو تخريج تأتي بعد ذلك وإن أدّعي خلاف هذا وليس من المعقول القول بأن قولنا : (واسأل أهل القرية) أصل لقوله تعالى(واسأل القرية) لأن اللغة في أصل الوضع لا تنفصل عن اعتقاد الإنسان في الأشياء ، وهو اعتقاد أسطوري ، الغلبة فيه للمجاز لا للحقيقة ومن ثم كان المجاز أسبق من الحقيقة [34].

فلئن جاء القران الكريم فإنّه لم يأت بلغة موافقة تمام الموافقة لما عليه العرب ، بل كانت له طريقة جديدة في استعمال اللغة استعمال يخرج بها الكثير عما هي عليه عندهم فهي – كما يقول " مالك ابن نبي " : " طريقة فجائية غريبة " تقتضيها طبيعة الرسالة الإسلامية ويردف قائلا : " لقد كان حتما على القرآن – إذا ما أراد أن يدخل في اللغة العربية فكرته الدينية ، ومفاهيمه التوحيدية – أن يتجاوز الحدود التقليدية للأدب الجاهلي .

وما يلفت انتباهي في قول "ابن نبي " بيانه أن انزياح القرآن كان في الأداة اللغوية الفنية وكذا في الفكرة الجديدة *فإذا جاز اعتبار الشعر – وهو عماد الأدب العربي – في عمومة انزياحا عن اللغة الحديث فإن القرآن الكريم انزياح [35]ثم كان أن تتبع العلماء من مفسرين وبلاغيين ونقاد هذا الخروج عن المألوف وهم قبل ذلك مؤمنون بأن هذا القرآن كلام الله المعجز – ولا يسعني المقام هنا لذكر المسائل والأراء حول إعجاز القرآن الكريم.

---

33 - عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ، دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب ، المجلس الأعلى للثقافة، 2003 م، ص:115-116 .

34 -عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ، ص : 117-118.

* فهو من ناحية قد جعل الحملة المنظمة في موضع البيت الموزون وجاء بفكرة جديدة أدخل بها مفاهيم وموضوعات جديدة لكي يصل العقلية الجاهلية بتيار التوحيد .ينظر : أحمد محمد وبس: الانزياح في التراث البلاغي ، ص28.

35 - المرجع نفسه ، ص28-29..

وفي القران الرابع الهجري بدأ دارسو النص القرآني يحسمون بضرورة التوجه نحو الخصوصية الذاتية للنص القرآني باعتباره دليلا على النبوة والوحدانية [36]

والدليل على ذلك قوله تعالى : (**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ . فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) [37]

والمهم في هذا المقام هو البحث في إعجاز القرآن بلاغيا مثلما كان ذلك عن "الرماني"(ت 386 ه) و "الخطابي " (ت 388ه) ، و "الباقلاني" (ت 403ه) ""الجرجاني" (ت471ه) والخروج من دائرة الخصوصية المنطقية التي أوغل فيها علماء الكلام .

يقول "الباقلاني " في وصف الإعجاز البياني إنما يكمن في النظم الخارج عن المألوف فالقرآن – كما يقول : " بديع النظم ، عجيب التأليف منتاه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه .... وذلك أن نظم القرآن على تصرف وجوهه وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم وما بين للمألوف من ترتيب خطابهم وله أسلوب يختص به ، ويتميز في تصرفه[38].

والذي يلاحظ في هذا المجال أن الإعجاز البياني إنما يكمن في " النظم "، فالنظم يؤدي إلى المعنى وإلى معنى المعنى أي إلى المعاني الإضافية ، والنظم ومعانيه إنما هي : " معاني النحو " فالنظام لا يفعل سوى توخي معاني النحو (كما عرفه "الجرجاني"في دلائله) لأن ثلاث : اسم وفعل وحرف ، وللتعليق فيما بينهما طرق معلومة ، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام ، تعليق اسم باسم ، وتعليق اسم بفعل ، وتعليق حرف يهما [39].

ومن المسلمات أن القرآن الكريم كلام الله المعجز ، والمعجز هو ما جاوز قدرة البشر ومن شأن وقوعه أن يثير الدهشة والمفاجأة ، لأنه انزياح عن المألوف وانزياح عن الممكن البشري لكن ذلك لا ينبغي أن يؤدي إلى ما قاله " النظّام " (ت 231ه) فيما عرف " بالصرفة " لأن الناس هم في الأساس لم يكن بإمكانهم المعارضة ، فيقال إنهم [40] مصرفون عنها ، فكانت حكمة التحدي أن يلتفتوا إلى ضعفهم وغلى قلة حيلتهم ويؤمنون بأن هذا ليس كلام بشر ، وهذا ما ذهب إليه "القاضي عبد الجبار" – في رفضه للصرفة حيث يقول إنا دواعيهم انصرفت عن المعارضة لعلهم بأنها غير ممكنة على ما دللنا عليه ، و لولا علمهم بذلك لم تكن لتنصرف دواعيهم تابعا لمعرفتهم بأنها متعذرة [41]

---

[36] - محمد العمري : البلاغة العربية ص 160-161.

[37] - هود : 13-14.

[38] - الباقلاني أبو بكر :إعجاز القرآن ، تحقيق : احمد صقر ،دار المعارف، (د،ت)، مصر، ص: 51-52 .

[39] - منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ،منشأة المعارف الاسكندرية، ط3، 1986م ،ص: 146.

[40] - الباقلاني : إعجاز القرآن، ص: 324.

[41] - أحمد محمد ويس: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، ص: 30-32.

إذا كانت للغة وظيفتان –على حد قول بيار جيرو –الأولى : أنها تعطي الأشياء التي نتكلم عنها دلالاتها والثانية : أنها تعبر عن موقف المتكلم إزاء هذه الأشياء ، فإنه لا يمكن للأسلوبية أن تكون لا على مستوى الدلالة ولا على مستوى الموقف بحثا في الكلمة : صوتا وشكلا ودلالة فقط ، كما لا يمكن لها أن تكون أيضا بحثا في الجملة فتصنفها إلى : جملة إخبارية وطلبية واستفهامية وتعجبية – أو تقسيمها إلى فعلية واسمية فننظر في تركيب هذه وتلك ، كما هي الحال في نحو الجملة التقليدي .

والوقوف بالأسلوبية عند هذا الحد ميدانا وموضوعا – أي ما بين الكلمة والعبارة يغني البحث الأسلوبي ولكنه سينتهي بالأسلوبية إلى طريق مسدود ، ما لم تتجاوز هذه نفسها لتدخل ميدان دراسة النص وهذا يعني أن الأسلوبية محتاجة إلى رؤية شمولية بها تدرس أجزاء الخطاب ، وهي حين تتحول إلى ميدان دراسة النص تستطيع أن تستفيد بشكل أعمق من كل منجزات الدراسات العلمية في مختلف ميادين العلوم الإنسانية اللسانيات ،علم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة و الأنتروبولوجيا والأنتولوجيا والتاريخ وعلوم أخرى .[42]

ينطلق تصور الدراسة ل "النص " من نظرية البلغارية "جوليا كريستيقا " " Julia kristeva " والفرنسي " رولان بارت" ، " Roland berthes " *[*]

ولكن بإضافة هذه النظرية بمفاهيم لغوية وردت ضمن النظرية اللغوية عند " هاليداي " ومن ثم كان النص هو " الكيفيات اللغوية التي يحقق بها العمل انسجامه وتماسكه في كليته الدلالية ، فالنص هو تماما حسب " كريستيفا " وبارت " – إنتاجية دلالية تحقق بناء انسجام العمل وتماسكه ولكن ليس على المستوى الجزئي كما هو الحال عند " هاليداي " وليكن على المستوى الكلي بتوسيع مفاهيم الربط والتعليق والإحالة والحذف التي أقرها هذا الأخير[43].

لكننا لا نصل إلى تحديد واضح قاطع بمجرد إيراد التعريف تعريف النص بل علينا أنت نبني مفهوم النص من جملة المقاربات التي قدمت له البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة ، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة ، لأنها تقتصر على مرعاة مستوى واحد للخطاب ، هو السطح اللغوي بكينونته الدلالية ، ومن هنا فإن تعريف " جوليا كريستيفا " – على تشابكه قد ظفر باهتمام خاص ، لأنه يطعن في كفاية النظر إلى هذا

---

[42] - منذر عياشي : مقالات في الأسلوبية، ص: 83-84-91-

[*] - تعرف جوليا كريستيفا النص بقولها : "النص آلة نقل لساني إنه يعيد توزيع نظام اللغة فيضع الكلام التواصلي ، أي المعلومات المباشرة في علاقة تشترك فيها ملفوظات سابقة أو متزامنة ومختلفة ينظر : منذر عياشي ، مقالات في الأسلوبية ص: 133.

[**] - ينطلق رولان بارت من العرف العام ليقف على التعريف الشائع فيقول عن النص إنه : " نسيج الكلمات المنظومة في التأليف ، والمنسقة بحيث تفرض شكلا ثابتا ووحيدا ما استطعت إلى ذلك سبيلا " ينظر : منذر عياشي: مقالات في الأسلوبية، ص: 130.

[43] - محمد فكري الجزار: لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة ، اتراك للطباعة والنشر والتوزيع، مصر 2001م، ص:3.

السطح ويبرز ما في النص من شبكات متعالقة / فهي ترى أن النص أكثر من مجرد خطاب أو قول ؛ إذا إنـه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية ، بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة ، لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها ، وبهذه الطريقة فإن النص جهاز عبر لغوي ، يعيد توزيع نظام اللغة؛ يكشف العلاقات بين الكلمات التواصلية ، مشيرا إلى بنيات مباشرة ، تربطها بأنماط مختلفة مـن الأقوال السابقة والمتزامنة معها والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية تواصلية [44].

ويقول " فان ديك " " Van Dijke " في هذا السياق إن علم النص يدرس الأقـوال اللغويـة في كليتها ، كما يدرس الأشكال والبنيات الخاصة بها ، تلك التي لا يمكن وصفها بواسطة النحو ومن هذه الزاوية يقترب علم النص من البلاغة بل يمكن اعتباره ممثلا معاصرا (عصريا لها) – يقول " فان ديجك " إن البلاغـة هي السابقة التاريخية لعلم النص إذا نحن أخذنا في الاعتبار توجهها العام المتمثل في وصف النصوص وتحديـد وظائفها المتعددة لكننا نؤثر علم النص ، لأن كلمة البلاغة ترتبط حاليا بأشكال أسلوبية خاصة ،كما كانت ترتبط بوظائف الاتصال العام ووسائل الإقناع[45] - في حين ترتبط اللسانيات قبل كل شيء بدراسة الجمل (ومكوناتها) وتنشغل بوضع مبادئ النحو أو الأنحاء).[46]

ومن هنا يمكن لنا أن نبرز علاقة الجدولين النحو والبلاغة : فالأول هو مجال القيود والأسـلوبية مجـال الحريات وعلى هذا الاعتبار كان النحو سابقا في الزمن للأسلوبية ، إذ هو شرط واجب لها ، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة بالغة المقصودة ولكنها مراهنة ذات اتجاه واحد لأننا إذا سلمنا لا أسلوب بدون نحو فلا نستطيع إثبات العكس فنقول : لا نحو بلا أسلوب .

وعلى هذا المقتضى يحدد لنا النحو ما لا نستطيع أن نقوم من حيث يضبط لنا قوانين الكلام، بينما تقفوا الأسلوبية ما بوسعها أن نتصرف فيه عند استعمال اللغة ، فالنحو ينفي والأسلوبية تثبت معـنى ذلـك أن الأسلوبية علم لساني يعنى بدراسة مجال التصرف في حدود القواعد البنوية لانتظام جهاز اللغة [47] وعلى هذا الاعتبار يمكن القول بأن هم اللغويات ينصب على العبارة لتحليلها متحكمة إلى القواعد التي تحكم اللغة ككل بينما ينصب هم الأسلوبية على نص يحمل رسالة يمكن تحليلها دون إغفال للقواعد التي تحكم اللغة أيضا ككل ، ومن ثم فالنص رسالة ولتحليل تلك الرسالة فإن الأسلوبية –هنا – معتمدة على علم اللغة لأنه لا يمكن تحديد الأسلوب بوضوح دون الرجوع إلى قواعد الأجرومية ، ومن الملاحظ أن الهدف من وراء التحليل القوا عدي هو التحليل الوصفي في حين نجد أن الهدف من وراء التحليل الأسلوبي هو هدف تصنيفي وفي الوقت نفسـه

---

44 - صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ، دار الكتاب المصري ،دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ،بيروت، 2004 ص:269.

45 - المرجع نفسه، ص:299.

46 - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها و إمتداداتها، ص: 22

47 - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص:56.

فإن كل رسالة يحملها أسلوب ما يمكن أن يقال عنها تحمل خروجا "انزياحا " عن النمط المألوف [48] [وهو الجزء الذي أنا مهتمة به] لكن ما هو هذا النمط؟ وعلى أي أساس يحدد هذا النمط والمعيار؟ وهذا هو المأخذ الذي يوجهه خصوم القائلين بأسلوبية الانزياح –إن جاز هذا الاصطلاح- بمعنى عـــدم تحديـــدهم للمعيـــار والانزياح تحديد مباشر ودقيقا ، وإهمال لمقولتي الكاتب والقارئ وعدم أخذها بعين الاعتبار لاحتمال وجـــود انزياحات غير ذات أثر أسلوبي (بالنسبة للقارئ) دون وجود انزياح وتكشف هذه الاعتراضات جميعا في نهاية المطاف عن غياب التداولية عن مفهوم الانزياح [49] وأمام هذا الطرح الفكري سأحاول التأصيل للتداوليـــة * على مستوى التنظير والتطبيق باحثة عن منطلقاتها ، كاشفة عن أسسها محاولة الخروج من بحثي هذا بنظرة تبرز حقيقة الظاهرة الانزياحية ذات البعد التداولي وتبين حدودها .

ولفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة ونعبر عنها ب LA PRASCIS تفيد تمام الممارسة ، وتفيد أيضا التفاعل في التخاطب ....[50] [والخطابات التوجيهية تخرج من إطار التناوب في أخذ الكلمـــة ، ذلك بأنها تجعل الملقي للخطاب محل طرف مالك للمعارف ، أما الطرف المتلقي فمـــا عليـــه إلا الأخـــذ أو الاستماع وعليه يتبلور مصطلح التداولية كممارسة ويعني امتلاك اللغة وجريان الكلام على الألسن ، أي من التلفظ ذاته كعملية خاصة بالفرد والتي تتجلى في ممارسة اللغة إلى هدف إيصـــال الرســـالة أو الخطـــاب إلى المخاطَب والتأثير عليه ضمن عنصر التفاعلية L' INTERACTION فالتلفظ إذن أســـاس التداوليـــة في الشكل الظاهري ، إذ بدون الأولى لا تتحدد الثانية كعملية ، وكلتا العمليتين تخضعان إلى عامـــل الســـياق ، الإطار المجهول الذي نبحث عنه في تبعية الخطاب في غياهبه حتى نتمكن من فهم الكلام والغرض منه وعليـــه فإنه كلما توفر الملتقى على معلومات عن هذه المكونات (المتكلم) الملتقى للرسالة ،الزمان والمكـــان ونـــوع الرسالة تكون له حظوظ قوية لفهم الرسالة وتأويلها أي وضعها في سياق معين من اجل أن يكون لـــديها معنى [51].

وبناء على ما سبق يمكن أن تتبادر إلى ذهني مجموعة من الأسئلة حول النص القرآني الـــذي ســـأحاول التطبيق عليه في الفصلين الأخيرين كيف يمكن أن نضع أو نخضع النص القرآني – وهو نص خـــاص ومتميـــز عولج عند اللغويين ضمن مجاز القرآن وعند المتكلمين في إطار تأويل المشكل وتقنين المجاز كل هذا داخـــل في

---

48 - رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، 1993م، ص:145.

49 - هنريش بليث: البلاغة والأسلوبية ،ترجمة وتعليق محمد العمري، ص:58.

* استعملت أول مرة عام 1970 حين تعرض الأستاذ طه عبد الرحمن للتميز بين التركيب والدلالة والتدوال على المستوى النمطي .

50 - طه عبد الرحمن : الدلاليات والتدوليات ،أشكال الحدود ،البحث اللساني والسميائي، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية بالرباط، بسلسلة وندوات ومناظرات رقم 2، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1،المغرب 1984 ،ص:299.

51 - محمد خطابي : لسانيات النص (مدخل على انسجام الخطاب) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1991 ،ص:297.

هم التنزيه عن الشذوذ والتناقض ثم تلاه البحث عن المزية البديعية ضمن سؤال الإعجاز وهذا العمل يلتقي مع عمل اللغويين والأسلوبين المحدثين على استكشاف ما لم يستوعبه النحو و لم تستوعبه المعـايير الصـرفة –إلى دراسة لغوية نمارس عليه سلطة التحليل كباقي النصوص الأخرى ؟ (52)

-وإذا انطلقنا من مسلمة ذات شقين متعارضين أحدهما : التسليم ببلاغة الـنص القـرآني وشـيوع الاعتراف بهذه الصفة ، ووفرة الاقتباس من نص القرآن في كتب الدرس البلاغي ، والآخر التأكيد على مجـي لفظ القرآن على سنن العرب والعربية ، وهي صفة يؤديها القرآن الكريم نفسه، كما يؤكدها الكـثير مـن تصريحات اللغويين وبذلك يمكن تطوير السؤال كالتالي :

كيف يمكن التوقيف بين القول ببلاغة القرآن وبين القول بجريانه على أساليب العربية ؟.

أو بعبارة أخرى : كيف يمكن تصور أسلوب القرآن الكريم جاريا على سنن العربية – أي مع الـنمط المثالي – مع وصفه بالبلاغة التي تعني – وفقا لنظرتهم – الانحراف عن هذه السنن ؟

-كيف يكون النص القرآني متفوقا على النص البشري بمقاييس البلاغة نفسها باعتبار نزولـه حسـب تقاليد العرب في الفصاحة والبيان ؟

- ما دور الانزياح كظاهرة أسلوبية (في توجيه المعنى) في نص ما –النص القرآني – في توجيه المعنى ؟

- كيف يمكن أن نصل من خلال النص القرآني إلى اللغة والفكر والجمالية والهدف والوظيفية بأنواعها وما يردفه من توجيه وإرشاد للمتقلبين والمخاطبين ؟(53) (الدراسة التداولية).

مهما كانت الانطباعات والتصورات بشأن دلالة العدول وأنماطه ، ومميزاته ومرجعياته ، فإنها تـنم عـن المخزن الدلالي لكيفيات الأداء الأسلوبي المتميز ، والقدرة الكامنة لمستوياته التي تعجز بنى الألفاظ المألوفة عن تحقيقها ، وهو ما يستدعي وجود بنيات خارقة ومتراحة يكون بناؤها الكلي في أساسه انزياحا مطلقا يتقـدم باتجاه خلق نظام رمزي تنجه العلاقات الغيابية والحضرية وحين يصبح العدول في هذا المستوى التجاوزي ، فإن الأمر يدعو إلى تضافر إلزامي للتلاحم الدلالي والتركيبي في تشكيل إبداعي جديد يتضمن امتحان القوى القارئة بكل استراتيجيتها التأويلية والتقبيلية الواردة والمحتملة (54).

هكذا وتأسيا على ما تقدم سأحاول في الجزء القادم من البحث الوقوف على ظاهرة الانزياح عند كل من العرب والغرب قدماء ومحدثين وذلك من خلال جملة من الثنائيات المتقابلة أذكر منها : الشعر / النثـر ،

---

[52] - محمد العمري: البلاغة العربية أصولها وامتدادها، ص :28 .

[53] - محمد بركات (حمدي أبو علي): البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشر، ط1 الأردن، ط1، 2003م ص:64 .

[54] - خيرة حمر العين : شعرية الانزياح ، مؤسسة حمادة للدرسات الجامعية والنشر والتوزيع ، الأردن ،ط1، 2001 ، ص:13.

أصل الوضع / المجاز ، الضرورة / الرخص ، المثال / الاستعمال .... ، منطقي / لا منطقي ، شـــائع / قليـــل الشيوع ، القابلية للوصف ، عدم القابلية للوصف ، حيادي / قيمي .....

والانزياح في تصوري ما هو – في ماهيته – إلا خرق لنظام معهود ونمط مألوف ومخالفة لقاعدة معلومة وانتهاك وتوليد اللامنتظر ....

هذا لا يعني – الخرق – الانزياح عن الأفصح إلى الأقل فصاحة بل العكس من ذلك مع الإشارة إلى أن ليس كل انزياح يشكل أسلوبا وهذا ما يؤكده "مصطفى السعدني " في قوله :" إذن ليس كل عدول مولـــدا لطاقة ايحائية ، وليس كل بناء لغوي شذ فيه عنصر غير متوقع أسلوبا أدبيا ، إذا يتحدد الأســـلوب باعتبـــاره عدولا بوجود الأصل أو التشبيه به اقترانا بشحنة عاطفية ومعنوية ."[(55)]

سأحاول رصد الانزياحات الواردة في سورة النمل وذلك بالاعتماد على آليات أمارسها على مستويات اللغة الأربع بالإضافة إلى البعد التداولي ، فالانزياحات الصوتية مثلا أستخلصها في سورة النمل – من خلال التطرق للفاصلة القرآنية وما يعتريها من عدول بأنواعه وتقديم وتأخير وحذف وزيادة من أجل رعايتـــها ، وكذا القراءات القرآنية والانزياحات الواردة فيها من خلال مخالفتها للنص المصحفي ـــ وللفروق الموجودة بينها بالإضافة إلى ذلك سأستخرج الانزياحات الصوتية من خلال ظواهر الحذف والزيادة والإدغام ، كما أن استخلاص الانزياحات الصرفية سيكون من خلال العدول في الصيغ مثل العدول من صيغة المستقبل إلى صيغة الماضي وفي صيغة الفاعل إلى صيغة المفعول به إلى صيغة الفاعل أو من إيراد المصدر بدل اسم الفاعل ..... أما الانزياحات التركيبية الواردة في "سورة النمل "فإن رصدها سيكون من خلال جملة من الآليات أذكر منها : التقديم والتأخير ، الحذف ، الزيادة .... وإذا ما وصلت إلى الانزياحات الدلالية فإن التطرق إليها سيكون من خلال تناول المجاز والاستعارة والعلاقات الدلالية الأخرى مع الإشارة إلى البعد التداولي في السورة وقبل هذا وذلك سأعرض الانزياحات غير اللغوية الموجودة في سورة النمل وذلك من خلال الخوارق الواردة فيها ومـــا الخارقة في ماهيتها إلا خروج عن العادة المألوفة لدى بني البشر .

---

[55] - مصطفى السعدني : العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر، توزيع منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، 1990م، ص: 129.

الفصل الأول

I- ملامح الإنزياح عند العرب القدماء والمحدثين :

:6

اللّغة في أبسط مفهوم لها قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير ، وما الاستعمال اللّغوي الذي يحاول فيه صاحبه تحقيق إفادة معينة إلاّ جزءًا بسيطًا من هذه الإمكانات وهو يرتكز على قواعـد وعلاقـات لغويـة مخصوصة تضبطه وتوجّهه ، وأيّ انزياح عنها يؤدي إلى المعنى الوظيفي له(56) وفي هذا إقرار بحقيقة تبـوّأت مرتبة المسلمات وهي أنّ اللّغة أشد الأنماط التعبيرية - التي اهتدى إليها الإنسان - اكتمالا وأغناهـا دلالـة وأكثرها ملائمة لحاجاته في التعبير ، فهي تمدّه بما تعجز عنه الوسائل الأخرى ، وفيها من التعقد والتّشعب ما يلائم أقدار منزلة البشرية(57).

والمتتبع للدراسات اللغوية يجد أنّ اللّغويين قد أقروا بوجود مستويين ــ على الأقل ــ من استخدام اللّغة، أحدهما يمكن أن يطلق عليه المستوى العادي، أو النمطي، والآخر يمكن أن يسمى بالمستوى الفني ، أو اللّغـة الفنية...

وإذا كانت مسؤولية هذا البحث هي في المقام الأول - توضيح الخصائص والسمات التي يمتاز بها المستوى الأخير ــ وعلى وجه التحديد رصد الانزياحات الواردة في سورة "النمل" ــ فإن هذه السمات يمكـن ــ في تصوري ــ أن تظهر بوضوح من خلال استعراض العلاقة بين المستويين ؛ إذ من الطبيعي أن صفات أحـدهما تتضح جلية بالانعكاس على سمات المستوى الآخر ، ويمكن تناول هذه العلاقة أو تصورها والنظر إليها مـن ثلاث زوايا :

الأولى : توضح اصطلاحية المستوى العادي وفردية المستوى الفني ؛ ذلك أنّ اللّغة العادية لغـة متعـارف عليها من الجميع ، مباحة لهم لا يتفاضلون في العلم بها أو استخدامها أما اللّغة الفنّية فهي من نتاج الفرد المبدع وهي لذلك شخصية(58) ، تصدر عن عبقرية البليغ وتتحدى ما هو نمطي اصطلاحي .

الثانية : توضّح سبق المستوى العادي ولحق المستوى الفني : ذلك أنّ المستوى النحوي العـادي - عنـد النحاة والبلاغيين العرب - عرفي اصطلاحي والمستوى الفني فردي أو مختص ، فقد نظروا إلى ما هـو عـرفي اصطلاحي باعتباره سابقاً على ما هو فردي بحكم ارتباط التفرد ، أو الاختصاص ؛ بالخروج - بشكل مـا - على الاصطلاح والعرف ، وبحكم استخدام الفن اللغوي لتراث اللغة ورصيدها الموجود سلفا .

أما النظر من الزاوية الثالثة، فيكشف عما يصطلح على تسميته بــ: "مثالية" المستوى العادي و"انحراف" المستوى الفني؛ والمثالي هنا هو المستوى العادي، أمّا المنحرف - المنزاح - فهو المستوى الفني.

---

1 ــ عبد الحليم بن عيسى : اللسانيات والنص القرآني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، العدد3 ، أفريل 2003 ، الجزائر ، ص: 284 .

2 ــ حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب ، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، ص: 163 .

58 ــ عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص 84 - 85 بتصرف.

وإذا كان النحاة واللّغويون قد حرصوا على مثالية اللّغة في مستواها العادي* وهو المستوى الذي يعنيهم الاشتغال به ورعايته ، فإن البلاغيين وهم المعنيون باللّغة الفنّية قد حرصوا - على العكس من النحاة واللّغويين - على تأكيد صفة مخالفة لابد من تحققها في الاستخدام الفني للّغة... هذه الصفة هي المغايرة أو الانحراف على نحو معين عن القواعد و المعايير المثالية التي تحكم اللغة العادية(59).

هكذا - واستنادًا إلى ما سبق - يتضّح أنّ الاستعمال اللّغوي يحكمه صنفان من العلاقات اللّغوية:

ـــ **العلاقات اللغوية العادية:** المألوفة المبنية على توالي الوحدات اللغوية في طبيعتها الموضوعية والعقلية، فنقول مثلا: "شرب زيد الماء"، فـــ "شرب" باعتبارها فعلا حركيا تتطلب شاربا حيا، بالإضافة إلى مادة الشرب.

ـــ **العلاقات اللغوية غير العادية:** أو المنحرفة عن المألوف في الإنجاز اللغوي فتعتمد بقوة على الإيحاءات السيميولوجية التي تومئ إليها أجزاء الحدث اللّغوي ؛ وقد ظهرت في الدرس اللغوي والأدبي بالخصوص مثل"الشعرية Poetic" التي هي في جوهرها "انتهاك لقوانين العادة ، ينتج عنه تحويل اللغة من كونها انعكاسًا للعالم وتعبيرًا عنه أو موقفًا منه ، إلى أن تكون هي نفسها عالما آخر ، وربما بديلا عن ذلك العالم ، فهي إذًا سحر البيان الذي أشار إليه الأثر النبوي الشريف إشارة إلى قوله : صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرًا »، وما السحر إلاّ تحويل للواقع و انتهاك له ، يقلبه إلى واقع ، أو هو "تخيّل"على لغة القرطاجني ، أو "تحويل العالم إلى "خيال" فالانحراف عن مسار الاستعمال العادي للغة ، هو لغوي بدرجة أولى(60) .

وفي محاولة لربط الجسور بين النظريات اللسانية والشعرية ، ومقولات الدراسات النقدية واللغوية العربية التراثية ، تندرج جملة من الثنائيات تعزز الوعي المنبئ عن إدراكهم الضمني للتفرقة بين مستويين للغة ، لا يقف أحدهما إلا متراحا عن الآخر - كما سبق وان أشرت - وهذه الثنائيات هي :

1 - التفرقة بين الشعر والنثر .

2 - التفرقة بين الكلام البليغ والكلام العادي .

3 - التفرقة بين أصل الوضع والمجاز (الاصطلاحي والفردي).

4 - التفرقة بين ثنائية الضرورة والرخص.

5 - التفرقة بين ثنائية الإغراب والقرب .

6 - التفرقة بين المثال والاستعمال .

---

* و أن الوسيلة المعتمدة إلى ذلك هي التقدير - سواء بالزيادة أو الحذف - في ظل مبدأ يرى إمكان الانصراف عن ظاهر العبارة إلى تقديم باطن - أو صورة تقديرية - أكثر مثالية وخضوعا للقواعد واتساقا معها ، كما أنهم نظروا إلى عملية التقدير باعتبارها نوعا من رد العبارة إلى أصلها ، وعودة إلى صورتها المثالية . ينظر : عبد الحكيم راضي ، نظرية اللغة في النقد العربي ، ص 203 .

1 ـــ المرجع نفسه : ص 191 ، 205 –206 .

2- عبد الحليم بن عيسى: اللسانيات والنص القرآني ، 286–287 .

و انطلاقا من هذه الأخيرة –الثنائيات ـــ سأحاول فيما يأتي إبراز ظاهرة الانزياح من خلال عملية استنطاق بعض النصوص ، وذلك بالتطرق إلى كل زوج مفهومي ـــ الثنائيات ـــ وربطه بمجموعة من الدارسين ؛ من نقاد ، ولغويين ، وبلاغيين ، وحتى فلاسفة ، بغية الوصول إلى استخلاص بذور وملامح لظاهرة الانزياح عندهم ، مع الحرص على ربط الدراسات التراثية العربية بالدراسات اللسانية والأسلوبية الغربية الحديثة ، والتي لا تشكل ـــ في مظانها ـــ قطيعة معرفية معها ولكنها تحثنا لتطوير الذات عن طريق فتح باب الممكن واللامفكر فيه ، لا على سبيل إسقاط المفاهيم الغربية ، والتي لا تعدو أن تكون إلا استجابة لا شعورية لأنساق الثقافة المهيمنة - وأقصد هنا - الثقافة الغربية ؛ ثقافة الآخر ، متجاهلة بذلك استقلالية التراث اللغوي / الأنا وما يدعم هذا الطرح ما ذهب إليه" محمود عباس العقاد " في اعتقاده أنه من الخير أن تدرس المذاهب الفكرية بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها في أوربة مذهب جديد ، ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها و ظواهرها ، دون ما وراءها من عوامل المصادفة العارضة و التدبير المقصود.

يلمس القارئ من خلال ما تقدم إدراك العقاد المبكر لمدى خطورة اقتباس عناوين المذاهب الغربية - أي قشورها - لما تحمله من أفكار ظاهرة ، دون البحث في أصول نشأتها وعوامل تكوينها ويحذر العقاد من عواقب هذا النقل الظاهري ، حيث تصبح معه الذات المستقبلة ذائبة في الذات المنتجة ، لا سبيل لها إلى الإبداع ، إلا في كنف الذات العليا (الآخر) لأنها فقدت القـــدرة على اتخاذ القرار والإبلاغ ، فأصبحت تحس بالدونية ؛ كل ما يصدر عنها من أفعال أقل شأنًا من تلك التي يؤسسها الآخـــر ، ويروج لها في سوق الفكر ، وأمام هذا الإحساس يكون الاحتواء ، فالتجرد من الأصل ، فالتبني المفرط لمشروع الآخر ، فالدفاع عن أفكاره[61] .

وعملية الإسقاط محكوم عليها بالإعدام أو الفشل ؛ ذلك أن المنطلقات ، و المرتكزات ، و المعتقـــدات ، والخلفيات ، مختلفة أساسا ، وسأحاول فيما يلي رصد المصطلحات التي تتضمن إشارات - تتسع أو تضيق - تتعلق بمفهوم الانزياح .

أولا : ملامح الانزياح في التراث العربي :

ليس يعدم من يروم التنقيب عن بذور أو ملامح أو صلات لفكرة الانزياح عند العرب القدماء ، أن يلتقط غير قليل من تلك البذور ؛ يلتقطها في فترة لم تكن فيها بوادر الفكر النقدي واللغوي قد بانت بعد ، ولعـــل أهم ما يمكن أن يذكر في هذا الشأن ، أن العرب منذ نشأتهم قد أدركوا بذوق فطري أنّ للشعر لغة خاصة ، تختلف عن لغة الحديث ؛ لغة تشبه أن تكون من عالم آخر حتى خيّل إليهم أن للشاعر رأيا من الجـــن يلقـــي الشعر إليه ، ومن الأكيد أن نظرتهم إلى "شياطين الشعر" يعاضدها ما كان يدور بينهم من حديث عن وجود واد كثير الجن سموه وادي "عبقر"، ونسبوا إليه كل شيء تعجبوا من حذقـــه أو جـــودة صـــنعته... فقـــالوا عبقري[62].

1- بارة عبد الغني : اشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005 م، ص: 260.

62 - أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي و البلاغي ، ص :11 – 12 .

و كما أشرت سلفا ، سأعرض جملة من الثنائيات ، من خلالها أرصد جملة من المصطلحات الــتي تحمــل مفهوم الانزياح ، وذلك كله في إطار التفريق بين مستويين للّغة : المستوى العــادي ، والمســتوى المــتراح (المنحرف) .

1- التفرقة بين ثنائية الشعر والنثر:

انتهى كثير من الأسلوبين إلى أن الانزياح هو أهم ما يميّز الشعر من الكلام العادي [بل هناك من رأى أن الشعر هو الانزياح ذاته أمثال جون كوهين] ، أو من النثر على العموم ، بحيث صح عندهم اتخاذ هذا النثر معيارا عاما و خارجيا للانزياح في الشعر ويرتبط هذا التمييز بين الفنيين بالتفرقــة بــين مســتويين للغــة (العادي والبلاغي) ففن النثر أقرب إلى المستوى الإفهامي ، والشعر أبعد عن هذا المستوى... ونــروم الآن نلتمس ما عند العرب مما يصب في هذا الاتجاه.

وطبعا فقد بدأ إدراكهم للتمايز بين الشعر والنثر ذوقيا بسيطا غير معلل حالهم في ذلك حال كل بداية... ويبدو أن فكرة السبق إلى المعاني المبتكرة والحذو على غير مثال قد سيطرت على أذهان كثير من الشعراء أمثال "جميل بن معمر، وجرير..."، ويمكن أن يعبر عن هذا - السبق والحذو على غير مثال - بلفظ الإبداع أو الابتداع أو الخلق أو ما إلى ذلك ، مما يؤدي إلى فكرة الانزياح ، وقــد أفصــح "أبــو إســحاق الصــابي" «ت 384هــ » عما يحب من الشعر فقال في شعر له :

أحبّ الشعر يبتدع ابتداعا	وأكره منه مبتذلًا مشاعًا
ولي رأي غيور في المعاني	فما آتي بها إلا افتراعًا [63]

هذه بعض ملامح فكرة الانزياح عند غير النقاد العرب القدماء بشكل وجيز جدا، وذلك لاقتران الشعر بالابتداع والخروج عن المشاع ، وهذا هو عين الانزياح الذي ينتج عن الشاعر، فهو - كما يقال - أول ناقد لعمله ، أو أول متلق له ، لأن النقد عملية ملازمة للنص الأدبي والإنتاج الفني عامة ؛ ذلك أن العملية الإنشائية عملية اختيار من بين إمكانات عديدة ، وقد انتبه الشعراء قبل غيرهم إلى طبيعة الشعر القائمة على المفارقة فهو من جهة جهد لغوي فردي ملموس ، وهو من جهة أخرى ، عمل خارق في بنيته وأثره ، ومن هنا تحدثوا عنه من الزاويتين : زاوية الغرابة التي تلحقه بالأعمال الخارقة للقوة الخارقة،وزاوية الصناعة التي تجعله نتاج كفاءة وجهد ومعاناة،وبرغم ما يلاحظ من مفارقة بين القول بالإلهام (الشيطاني) ، والقول بالصناعة في بادئ الأمر، فإن تقصي جوانب الموضوع يكشف عن ارتباط المفهومين، ولذلك فلا ينبغي الاعتقاد بأن ما يهم البلاغي، هو ما يترتب عن القول بالصناعة والمعاناة ما دام يبحث في الأثر اللغوي الملموس، فالقول بالإلهام وجه آخر للعملة نفسها ، لقد تغذى هو الآخر من ملاحظة وجه الغرابة في التجربة الشعرية ، إنه وعي أولي

63ــ المرجع نفسه، ص : 12 .

بالطبيعة الإشكالية للشعر التي ستحاول البلاغة فيما بعد ترجمتها بمفهومين يشكلان وجهين لعملة واحدة : الغرابة و الانزياح(64)

والآن لنا عودة إلى فكرة التمييز بين الشعر والنثر ، وهي مما يمكن أن نتخذه أساسا لفكرة الانزياح - كأحسن ما يكون الأساس - ، فقد قال ابن وهب:« الشاعر من شعر يشعر شعرا فهو شاعر ، والشعر المصدر ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به غيره ، وإذا كان إنما استحق اسم الشاعر لما ذكرنا ، فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر ، وإن أتى بكلام موزون مقفى ؛ معنى هذا أن للشاعر فردية شعورية لا تكون لدى غيره ، ومن ثم فإن ما يصدر عن هذه الفردية هو بالضرورة فردي وكفى بهذا إدراكا لجوهر الانزياح»(65) .

وأود هنا الوقوف عند قول" أبي إسحاق الصابي" في حديثه عن الشعر والنثر حيث يقول:« إن طريق الإحسان في منثور الكلام ، يخالف طريق الإحسان في منظومه ، لأن أفخر الترسل هو ما وضح معناه فأعطاك غرضه في أول وهلة سماعه ، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطيك غرضه إلا بعد مماطلة وغوض منك عليه...» (66) .

انطلاقا من القول يتضح أن "الصابي" يرتكز على فكرة الغموض ويجعلها الفيصل بين الشعر والنثر ، ويعلل ذلك بضيق في الوزن .

وقد يقال فما صلة هذا بالانزياح...؟ وهنا يمكن القول بأنّ إدراك "الصابي" لأهمية الغموض في الشعر يتضمن على نحو ما إدراكه لأهمية الانزياح : لأن ما يحدثه الغموض في المتلقي قريب مما يحدثه الانزياح ، وربما كان لهذا الاستنتاج دعائم من حديث "الصابي" نفسه ؛ فقد ربط حديثه عن الغموض في الشعر بالحديث عن الابتداع والاختراع إذ قال :«فمتى خرج الشعر عن سنن الابتداع والاختراع فكان ساذجا مغسولا ، فقائله معيب وغير مصيب ، والترك أدل على العقل وأولى بذوي الفضل » وفي النثر على العكس من ذلك تماما : « فمتى خرج الترسل عن أن يكون جليا سلسا تعثرت الأسماع في حزونته ، وتحيرت الأفهام في مسالكه وأظلم مشرقه ، وتكدر رونقه ، وكان صاحبه مستكره الطريقة ، مستهجن الصناعة » (67) .

هكذا ومما سبق يتضح أن "الصابي" يرى للنثر وظيفة إفهامية بحتة ، في حين يعفي الشعر من هذه الوظيفة الإفهامية أو يرجعها إلى خط خلفي على الأقل .

إن ما ورد عند الفلاسفة المسلمين من أمر الفروق بين النثر والشعر كان أكثر جلاء وأكثر حركية وعلى نحو يبدو معه مقاربين فكرة الانزياح ، - ولا ريب أنّ لأرسطو في ذلك فضلا كبيرا [وإن كان هناك بعض التحفظ اتجاه هذا الرأي من قبل بعض الدارسين] فقد كان مدار حديثهم ثلاث أصناف من اللّغات : لغة

---

64 ــ محمد العمري : البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، ص: 46 -47 .
65 - أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، ص: 54 .
66 ــ أورده أحمد محمد ويس : المرجع نفسه ، ص: 54 – 55 .
67 - أورده أحمد محمد ويس ، المرجع نفسه ، ص: 56.

برهان ، ولغة خطابة ، ولغة شعر فأما الأولى فتلتزم باستعمال الألفاظ على معانيها الحقيقية دون انحـــراف ، وأما اللغتان الأخريان فيكون استعمال الألفاظ فيهما استعمالا مجازيا وعلى أقدار متباينة طبعا .

يقول "الفارابي" في كلامه على حروف الاستفهام : « وهذه وجل الألفاظ دالة على معانيها التي للدلالـــة عليها وضعت منذ أول ما وضعت ، وتستعمل على معان أخر على اتساع ومجاز واستعارة ، واستعمالها مجازا واستعارة هو بعد أن تستعمل دالة على معانيها التي وضعت من أول ما وضعت ، والخطابة والشعر فإن الألفاظ تستعمل فيهما بالنوعين معا ، وأما الفلسفة والجدل والسفسطائيين ، فلا تستعمل فيها إلا على المعـــاني الأولى التي لأجلها وضعت أولا»(68) .

وتعليل ذلك عند "الفارابي"من خلال تبيانه لغاية كل من الفلسفة والشعر؛ «فالمخاطبة العلمية غايتها تفهيم وتعليم يقتضي بها علم شيء أو يفاد بها علم الشيء » (69) أي أن غايتها هو التفهيم والتعليم ، على حـــين تهدف الأقاويل الشعرية إلى التخييل ، ويقول في ذلك الفارابي : « والأقاويل الشعرية هي التي تركب من أشياء شأنها أن تخيل في الأمر الذي فيه المخاطبة حالا ما أو شيئا أفضل أو أخس ، وذلك إما جمـــالا ، أو قبحـــا أو جلالة ، أو هوانا » (70) .

يتضح مما سبق ، أن "الفارابي" يميز اللغة الشعرية أيضا بمقارنتها بلغة الخطابة فإذا كان هدف الشعر التخييل فإن هدف الخطابة الإقناع ، ويذهب إلى القول بأن المحاكاة ما يميز الشعر من الخطابة وكذا من غيرها مـــن الكلام بالإضافة إلى ذلك فهناك عنصر الوزن ، وبالتالي نجد "الفارابي" يميز بـــين الشـــعر والنثـــر (الخطابـــة والفلسفة)، ويجعل التخييل عنصرا مهمّا في الشعر.

وقد وجه "الفارابي" المحاكاة توجيها تصويريا تمثيليا (تمثيل الأشياء أساسا متأثرا بمفهومها عند "أفلاطون" ناظرا إلى الشعر العربي ونصوصه القديمة المشهورة "لامرئ القيس" وأمثاله ، وفي هذا الاتجاه نجـــد التصـــوير والنحت يشكلان عنده الامتداد الفني للمحاكاة ، في حين يغض الطرف عن الامتداد الآخر لها عند "أرسطو" ، وهو الموسيقى والرقص وما يتصل بهما من نقر على الناي ومن غناء ، فهي ليست عناصر تجسيد وتصوير بل عناصر إيحاء وإيقاع لصور المؤثرات في النفوس لإحداث الآثار ، فبعض الموسيقى يحاكي حالة الحزن فيحزن ، وبعضها يحاكي حال الفرح فيفرح(71).

1- كتاب الحروف ، تحقيق محسن مهدي ، دار المشرق بيروت ، 1969، ص: 164، أورده أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ص: 57 - 58 .

69-المرجع نفسه، ص :164.

70 -إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، ط3 ، مكتبة الأنجلو المصرية/1967، ص: 83 ، أورده احمد محمد ويس ، المرجع نفسه ، ص: 58.

4 - محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 253 .

وإذ قد مضى أن الشعر هو التخييل فإن التخييل - وهو أمر يخص المتلقي - لم ينتج إلا بفعل المحاكاة ؛ أي أن المحاكاة التي ينتجها المبدع هي التي تؤدي بالمتلقي إلى أن يتخيل أمورا ربما لم تكن على النحو الذي هي عليه في الواقع ، بل قد تكون محض خيال ، بل إن هذا هو مؤدى قوله : «إن الأقاويل الشعرية كاذبة بالكل لا محالة » (72) ، ويصح أن يقارب بين هذا القول وبين فكرة "محاكاة المحاكاة" عنده ، وهي الـتي يقـول في بيانها : « ربما لم نعرف زيدا فنرى تمثاله فنعرفه بما يحاكيه لنا ، لا بنفس صورته ، وربما لم نرى تمثالا له نفسه ، ولكن نرى صورة تمثاله في المرآة ، فنكون قد عرفناه بما يحاكي ما يحاكيه فنكون قد تباعدنا ، [وبلغة الحداثة قد انزحنا] عن حقيقته برتبتين ، وهذا بعينه يلحق الأقاويل المحاكية... وكثير من الناس يجعلون محاكاة الشيء بالأمر الأبعد، أتم وأفضل من محاكاته بالأمر الأقرب، و يجعلون الصانع للأقاويل التي بهذه الحال أحق بالمحاكاة، وأدخل في الصناعة وأجرى على مذهبها » (73).

فإذا صح أن المحاكاة انزياح - وينبغي لها أن تكون كذلك - فإن محاكاة المحاكاة هي بالتأكيد انزياح على انزياح ، وغير بعيد عن هذا ما يذهب إليه الفلاسفة المسلمين أذكر منهم : ابن سينا ، ابـن رشـد ، وأبـو حيان... وإن اختلفوا في بعض الجزئيات فيما يتعلق بمعايير التصـنيف (التخييـل ، الصـدق والكـذب، القرب...).

هكذا، وتأسيسا على ما تقدم ، يمكن اتخاذ التفرقة بين ثنائية الشعر والنثر مؤشرا دالا على حضور فكـرة الانزياح في الدراسات التراثية ،ـ وإن اختلفت التسميات والمصطلحات - ، ومن المعروف أن من مميزات اللّغة الشعرية أن تخرج عن الأصل ، وتنحرف عما هو مصطلح عليه ، ولا يستساغ هذا الانحراف إلا إذا كان جماليا ـ وأحسن فيه - يحقق هدف شعرية الخطاب في إثارة الإعجاز أو الدّهشة ، فمهمة الشاعر، في تعرية اللغة واكتشاف القيمة التعبيرية في كل أجزائها التي تغطيها عادات الاستعمال اليومي وإيراد العناصر الجمالية حتى في تلك المناطق المحرمة من اللغة التي درج الناس على تأثيم من يتعرض لها (74)

وعليه كانت فكرة السبق وابتداع المعاني عند النقاد العرب مقياسا من مقاييس الأدبية والبراعة ، فكـان الشاعر يُفضّل على غيره ، أو يُفضّل غيره عليه على أساس ما حازه من ابتداع وسبق ، وبالمثل فقـد غـدت القدرة على التمييز المبتكر من غيره من صفات الناقد المقتدر ؛ وهذا السبق والابتداع هو خروج عن المألوف وبالتالي فهو انزياح وبناء لنظام آخر مبتكر .

72ــرسالة في قوانين صناعة الشعر ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي مع فن الشعر لأرسطو ، مكتبة النهضة المصرية 1953 ، ص: 151 - أورده أحمد محمد ويس : الانزياح النقدي والبلاغي ، ص: 59 .
73 - الفارابي : كتاب الشعر ، أورده ويس ،المرجع نفسه ، ص : 59 .
74 ــ خان محمد : بنية الخطاب الشعري ، الإيقاع ، المعنى ، محاضرات السيمياء و النص الأدبي ، محاضرات الملتقى الثالث ، منشورات جامعة بسكرة 19 – 20 أفريل ، 2004 م ، ص : 176.

2- التفرقة بين الكلام البليغ والكلام العادي :

تطفح مصادر البلاغة العربية بنصوص تؤكد تمييز اللغويين والنقاد والبلاغيين بين مستويين للغة ، المستوى العادي والمستوى البليغ ، نذكر منها - على سبيل المثال لا الحصر - ما يتعلق بمفهوم "البيان" ، ولعل أبرز من تحدث عنه أبو عثمان الجاحظ (150هـ ــ 159هـ ــ 255 هـ) والذي لا يجري في مؤلفاته على معنى واحد *، فيضيق ــ في سياقات - هذا الحقل الدلالي ليرتبط بعلامة متميزة هي العلامة اللغوية بوصفها أداة مكتملة متطورة تمكن مستعمليها من إبراز حاجاته والتعبير عن خوالج نفسه.

ويرتبط معنى "فرع" عندما توظف فيه العلامة اللغوية لقصد فني تكتسب بمقتضاه خصائص نوعية تعدل بها عن الاستعمال السائر إلى استعمال أدبي [وهذا هو عين الانزياح] تتوفر فيه شروط البلاغة والفصاحة ، فمفهوم البيان ، عنده ، يتدرج من العلاميّة مطلقا إلى العلامة اللغوية بمستوييها العادي والأدبي(75) وهذه الأخيرة هي مجال اهتمامي والتفريق بين الكلام البليغ والكلام العادي عند "الجاحظ" يمكن استنتاجه من خلال حديثه عن حسن الكلام - وبالتالي فهو يميز بين نمطين للكلام - البليغ، البيان/ العي ، ــ حيث يقول :« وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهر لفظه » (76) ويزيد في ذلك في قوله : « فكن في ثلاثة منازل ، فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا ، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا ، وقريبا معروفا ، وإما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت» (77) ، فالبيان عنده - بالإضافة إلى معاني أخرى - يعني القدرة على الإفصاح والإبانة وقد اعتمد المؤلف - للإحاطة بخصائصه - على نقيض العي/البيان ، فبرز في مؤلفاته ثنائي تقابلي تتفاعل أطرافه تفاعلا جدليا خصبا ، ويمكن رصد الفروق بين ثنائية البيان / العي من خلال جدول وضعه حمادي صمود ، وكان قد استخلصه من كتابي : الحيوان والبيان والتبيين .

---

* فهو يدل ، في بعض السياقات على وسائل التعبير الممكنة بين البشر ومختلف الكيفيات التي يؤدون بها المعنى بقطع النظر عن نوع العلامة المستخدمة ، و هذا معنى عام يتّسع للغة ولغيرها ، ويدخل في مشغل علامي تمخّض اليوم عن علم قائم الذات يطلقون عليه علم العلامات ، بنظر : حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب، ص: 157 .

75 ــ المرجع نفسه ، ص : 157 .

76 - البيان و التبيين : تحقيق عبد السلام هارون ، ط3 ، نشر مؤسسات الخانجي ، القاهرة ،(د،ت)،ج1 ،ص: 83 .

77 ــ الجاحظ : البيان والتبيين ، ج1، ص: 136 .

البيان	العيّ
- تمييز وسياسة وترتيب ورياضة	- عجز
- علم	- جهل
- بصر	- عمي
- أقدار الألفاظ على أقدار المعاني	- إطناب وإكثار وتقصير عن المقدار
- رباطة جأش ومسك نفس	- خجل وانبهار
- تحكم في مصادر الكلام وموارده	- خلط واضطراب
- فضيلة ومزية	- نقص في المروءة

[78]

وقد ذهب"عبد السلام المسدي" إلى أن "الجاحظ" يصنف استعمال الظاهرة اللغوية إلى مستويين اثنين ، استعمال عادي مألوف ووظيفته مجرد "إفهام الحاجة" واستعمال مطبوع بسمة فنية يحول تصنيف الظاهرة اللغوية عن مجرد الإبانة إلى "مجرى البيان الفصيح" مما يرتقي به إلى النصوص المتميزة عن الرواة الخلص[79]

ويضيف في هذا السياق قوله : « وأما المحور الخامس لدلالة عبارة البلاغة في سياق البيان والتبيين ، فهو محور فني تطبيقي يدور إجمالا من مجرد إبلاغ رسالة لسانية إلى مادة من الخلق الفني -نثرا كان أو شعرا - يطلق عليها الجاحظ مفهوم"الصناعة" وهو استعمال يتلاءم وما اختصت به العبارة بعده "ولعل أول من دقق مدلول عبارة البلاغة فنيا هو أبو الحسن الرماني (ت 386 هـ) في كتابه النكت عندما أرسيت قواعد البلاغة ، كما أنه يمثل حسب المقاييس المعاصرة المجال الأسلوبي في استعمال الظاهرة اللغوية » [80].

وتأسيسا على ما تقدم : يتضح أن "الجاحظ" قد فرق بين مستويين للغة معنى ذلك وجود كلام عادي وآخر بليغ و هذا الأخير يتوفر فيه خصائص نوعية تخرجه وتعدل به عن جاري الاستعمال - حيث يحدث العدول- إلى البلاغة والفن، إلا أن هذه الخصائص ليست صريحة يستشفها القارئ من السياق اللغوي نفسه،وذلك راجع إلى غياب التدعيم من طرف نصوص الجاحظ نفسها كما يرى حمادي صمود .

للرماني حديث عن " البيان" أو "حسن البيان" « إذ ليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن، ومن قبل أنه قد يكون على عيّ وفساد... وليس يحسن أن يطلق اسم بيان على ما قبح من الكلام...وحسن البيان مراتب، فأعلاه مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان »

---

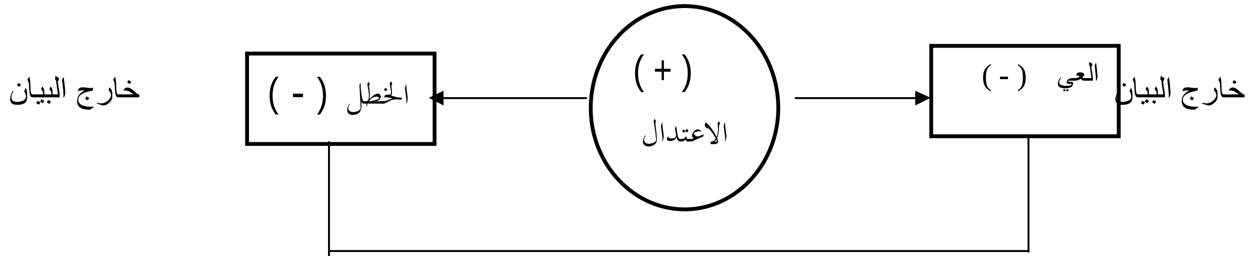
78 -حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب ، ص: 165 ــ 166.
79 - المرجع نفسه ، ص: 187 ينظر هامش الصفحة .
80 -عبد السلام المسدي : قرارات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، نشر الشركة التونسية للتوزيع ، تونس (د، ت) ، ص: 124 .

(81) وعنده أن البلاغة « ليست إفهام المعنى لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيّ،ولا البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ ». (82)

يتضح أن "الرماني" يفرق بين مستويين للغة متكاملين الأول بليغ والآخر عيّ / العجز عن التعبير ، ذلك من خلال تعريفه للبلاغة ؛ فالبلاغة عنده ليست في إفهام المعنى لأن المعنى قد يفهمها بليغ و آخر عي ، وليست البلاغة أيضا بتحقيق اللفظ على المعنى لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره ، ونافر متكلف ،ما يصطلح عليه الجاحظ بالخطل / وهو المبالغة الموصلة للتكلف ومجافاة الحق وكلاهما مذموم وإنما البلاغة في إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة من اللفظ .

ويمكن التمثيل لهذا الكلام بالشكل التالي :

البيـــان



(83)

ومن على شرفة ما تقدم يتبين أن "الرماني" فرق بين لغة تقتصر على عناصر الإفهام، وبين مستوى لغوي آخر يتجاوز هذه المهمة إلى تحقيق مواصفات جمالية أخرى.

وهذا الأخير على وجه الخصوص هو المستوى الذي يحدث فيه الانزياح ، وهذا لا يعني طبعا إسقاط الوظيفة الإفهامية والاهتمام بالوظيفة الشعرية ــ بالمصطلح الحديث - لأن الأولى تقوم مقام الأصل إذ لا يتصور خطاب لغوي مهما كان مستواه لا يكون الفهم والإفهام قاعدته دون إهمال الوظيفة الخطابية بالطبع وهذا ما تأكد عن الدارسين القدماء والمحدثين .

81ــ النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق و تعليق محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف، (دت) ، ص: 106 –107 .

82ــ المرجع نفسه ، ص: 75 .

83 - محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 204 .

وفي المعنى ذاته يقول "أبو هلال العسكري": « إنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغـــة لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضة خلقا لم يُسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى... ومن قال إن البلاغة هي إفهام المعنى فقط، فقد جعل الفصاحة واللكنة...والإغلاق والإبانة سواء » [84]

يتضح من نص "العسكري" التفريق بين مستوى عام يكتفي بأداء الغرض والإحاطة بالمعنى ، ومستوى بليغ يجتهد فيه قائله فوق الإحاطة بالمعنى في اختيار الألفاظ وإحسان نظمها وفصاحتها ، وليس ذلك للعامي الذي قد يحيط بمراده دون حاجة إلى كل هذه الإجراءات ، وعليه فالعسكري يميز بين مستويين الأول إفهامي والآخر بليغ[85] . أما" أبو حيان التوحيدي " فيذهب بعيدا من خلال تصنيف وظيفي للغة في مســـتوييها كليهمـــا فيقول : « والإفهام إفهامان ، رديء وجيد ، فالأول لسِفلة الناس لأن ذلك جامع للصالح والنـــافع ، فأمـــا البلاغة فإنها زائدة على الإفهام بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحيلة الرائعة وتخيير اللفظ واختصار الزينـــة بالرقة والجزالة والمتانة،وهذا الفن لخاصة الناس لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام» [86]

وبغض النظر عن العناية بالشكل في هذا التصنيف،فإنه تلاحظ بوضوح الإضافة الهامة التي يتضمنها ، فاللغة مستويان بنيويا ووظيفيا ، فمن خلال البنية تتميز اللغة الفنية - أو البليغة - بعنايتها بالشكل (شكل التعبير) في حين تكتفي اللغة العادية بالمستوى المغاير أي العناية بما يؤدي الوظيفة في أقصى حدود الاقتصاد ومن حيث الوظيفة تكتفي اللغة في مستواها العادي بالإفهام بينما تزيد عن الإفهام إلى الإطراب على حد قول" أبي حيان "[87] .

3- التفرقة بين أصل الوضع والمجاز (الإصلاحي / الفردي):

لقد حاول رواد الدرس اللساني الكشف عن تجليات الانزياح ورصد كيفياته بغية تحديد وضبط الوظيفة الإبلاغية التي يتأسس عليها الإنجاز اللغوي ، لذلك أضحى المجاز[*] في الدراسات اللغوية مركز تحليل للكثير من النظريات ، فثبت علميا أنه خاصية أصلية من خصائص اللغات الإنسانية باعتباره مصدرا من مصادر التوسع في المعنى ، وقدرة اللغة على امتصاص المفاهيم الجديدة[88] ، فالمجاز يعني في أصل دلالته اللغوية العبور من مكان إلى آخر ، وجدير بالإشارة أن الاصطلاحات البلاغية منذ نشأتها الأولى كانت مختلطة غير مستقرة أو محدودة ،

---

84 - كتاب الصناعتين ، تحقيق ، مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ط2 ، 1989، ص:19 .
85 - جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور(ماجستير) ، جامعة الجزائر ، 2000 ، ص: 04.
86 - عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص:31.
87 - جمال حضري : المرجع السابق ، ص: 05.
*المجاز لغة : هو مصدر من مجاز الطريق جوازا وجهوزا ومجازا ؛ سار فيه وسلكه وأجازه خلفه وقطعه ، وأجازه أنفذه ؟
قال الراجز: خلو الطريق عن أبي سياره حتى يجيز سالما حماره .
88- بنظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ج و ز).

فكان "المجاز"مثلا في أوائل القرن الثالث يعني التوسع في الاستعمال ، أو الترخص في التعبير بصـــفة عامـــة ، فيجمع بذلك كل ما يمكن أن ينطوي تحت هذا المعنى في اللغة والنحو والبلاغة(89) .

وقبل الولوج إلى قضية الزوج البلاغي (المفهومي) : الحقيقة / المجاز أود الإشارة إلى مسألة أثارت جدلا كبيرا في أوساط جهابذة الدارسين قديما ـــ من فقهاء ولغويين... - وهي وجود ثلاثة آراء حـــول الـــزوج الاصطلاحي تتراوح بين التفنيد والتأكيد - ، حيث ذهب "أبو علي الفارسي" (ت 377 هـــ) وتلميذه "ابن جني"(ت 392 هـــ)* إلى القول بأكثرية المجاز على الحقيقة ويتضح ذلك جليا في قوله : « أعلم أن أكثـــر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة وذلك عامة الأفعال نحو قام زيـــد... » (90) في حـــين ذهـــب ابـــن فـــارس (ت 395هـــ) - إلى العكس من ذلك - إلى اعتبار الحقيقة أكثر الكلام فيقول : « وهذا أكثـــر الكـــلام وأكثر آيات القرآن وشعر العرب ، وكذلك "الإمام الغزالي" (ت505 هـــ) وأتباعه ، بل إن البعض أنكـــر المجاز كلية من القرآن الكريم ، ولغة العرب :" كالإمام مالك "والشافعي "و"أبي حنيفة" و"ابن تيميه" ، واعتبروا الكلام كله ضرب من الحقيقة وحجتهم في ذلك أن المجاز كذب ، والكذب محال على الله وأن الالتجـــاء إلى المجاز عجز عن التعبير بالحقيقة والعجز محال على الله (91) .

والمقابلة بين الحقيقة والمجاز لا تعدو أن تكون إجمالا مقابلة بين ما هو أدب وما هو غير أدب، وإن كـــان ذلك لا يمنع التداخل والاشتراك بينهما (92). يذهب "ابن جني" في تفريقه بين الحقيقة والمجاز في باب:

في "الفرق بين الحقيقة والمجاز" : إلى القول : « وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهـــي : الاتساع ، والتوكيد ، و التشبيه ، فإن عدم هذه الأوصاف كانت حقيقة البتة ولتوضيح ذلك يضرب مثلا قوله صلى الله عليه وسلم في الفرس :هو بحر ، فأما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها البحر ، حتى أنه إن أحتيج إليه في شعر أو سجع أو اتساع استعمل استعمال بقية تلك الأسماء ، لكن لا يقضي إلى ذلك إلا بقرينة تسقط الشبهة ، وأما التشبيه فلأن جريه يجري في الكثرة مجرى مائه وأما التوكيـــد

89- الرماني:النكت ، ضمن ثلاث رسائل في المجاز القرآن، ص:161.

* هو أبو الفتح عثمان ابن جني النحوي، مولده قبل الثلاثين وثلاثمائة، وتوفي ليلة الجمعة من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة هجري، - وله من الكتب - التعاقب في العربية، الجمل، العروض والقوافي ما عدده ثمانية وأربعون كتابا.
ينظر :محمد ابن إسحاق النديم : الفهرست ، حققه وقدم له مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985م ، ص: 397 -401 .

90 - الخصائص ، تحقيق محمد علي نجار،دار الكتاب العربي، بيروت لبنان،(د ت) ، ج2 ، ص: 447 .

91 ـــ عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1975، ص : 318- 319.

92 - والناظر في مصادر البلاغة العربية من زاوية المصطلح يلاحظ أن العرب لم يقتصر في تمييزهم الكلام الأدبي عن غيره ، على زوج الحقيقة والمجاز ، وإن كان أكثرها اطرادا وأهم المصطلحات الواردة في وصف الكلام الأدبي الخارج عن المألوف هو مصطلح "العدول" وربما كان أقواها ، والمعبرة عن مفهوم الانزياح وقد ورد عن ابن جني في قوله : « ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله... »، الخصائص ج3، ص: 267 . كما أنه ورد في صيغة المبني للمجهول أي "يعدل " كما هو مذكور في المتن.د .

فلأنه شبه العرض بالجوهر وهو أثبت في النفوس» [93] وعليه فالمعاني التي يعدل من أجلها عن الحقيقة في رأي "ابن جني" هي ثلاثة ، تكون مع بعضها البعض مباحث المجاز وهي الاتساع ، والتوكيد ، والتشبيه .

هكذا، وتأسيسا على ما تقدم، يتضح أن "ابن جني" قد أشار إلى ظاهرة الانزياح وذلـــك مـــن خـــلال مصطلحات*تحمل في طياتها ملامح الانزياح وهي تلامس حدود هذه الظاهرة بشكل أو بـــآخر - تتســـع أو تضيق درجة ملامستها لها - ، فكل من العدول ، والانحراف والخروج ، وشجاعة العربية ، والاتساع ، ...ما هي في ماهيتها إلا خروج عن النمط المألوف وعدول عن الحقيقة وانحراف عن السمت والهدي ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على أن "ابن جنّي" - ومعه آخرون - أدرك ظاهرة الانزيـــاح ، وإن لم يفصـــح عنـــها بالمصطلح الحديث .

وفي سياق عقلية المجاز في الدلالة ، وفرديته ، في مقابل اصطلاحية الحقيقة ووضعيتها يكشف عند تعريف "السكاكي" وذلك في قوله : « هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع » ويكون المجاز هو كلمة يراد بها غير ما وقعت له في أصل الوضع ، و يترتب على هذه التفرقة نتيجة أن الحقيقة تطـــرد لأنها جزء من أصل الوضع ، بينما لا يطرد المجاز لأنه ليس منه ولكنه اختراع فردي مخصوص ، وهي نتيجـــة أخرى تميز بين المشترك والمخصوص ، بل إن المخصوص إذا ذاع وشاع واطرد لم يعد مجازا ويوسع "الفخـــر الرازي" من هذه الفكرة . ما يؤكد أثر الاستعمال في اللغة ، فيقول : « الحقيقة إن قل استعمالها صارت مجازا عرفيا والمجاز إذا كثر استعماله صار حقيقة عرفية».[94] لأن الحقيقة لا تثير متلقيها والمجاز يثيره فـــإذا كثـــر ضعفت الإثارة ، فكذا الحقيقة التي لم تطرد فإنها تكتسب غرابة وجدة وقدرة على تمييز السياق الذي ترد فيه ، وما يمكن ملاحظته – هاهنا - قرب هذه النظرة التراثية من فكرة "التشبع"* في الدراسات المعاصـــرة كمـــا يسميها عبد السلام المسدي أو بعبارة "ريفاتير" خيبة الانتظار La saturation ومعناه أن الطاقة التأثيريـــة

93- ابن جني: الخصائص، ج3، ص:442 – 443.
* لقد خصص "ابن جني" فصلا في كتابه الخصائص (الجزء الثاني) للتحريف الذي يصيب اللفظ ضمن ما أسماه "شجاعة العربية" ، ومن الملاحظ أن "ابن جني" قد جمع لفظ الانحراف إلى جانب لفظ العدول وذلك في قوله : « وكذلك إن انحرف عن سمته كان ذلك دليلا على حادث متجدد له » ينظر: الخصائص، ج3 ،ص: 268 .
كما أن لمصطلح الخروج حضور هو الآخر وذلك في قوله: «قال الأصمعي الشيء الذي إذا فاق في جنسه قيل له خارجي وتفسير هذا ما نحن بسبيله، وذلك أنه لما خرج عن معهود حاله أخرج أيضا عن معهود لفظه... »
بنظر : الخصائص ، ج3 ، ص: 46 .

1 - عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص:121.
* **التشبع**: من المصطلحات الكيميائية وتعني أن المادة المنحلة في السائل - كالسكر في الماء - قد بلغت كميتها حدا لم يعد لكمية السائل معه قدرة على مزيد القبول. واستعملها "ريفاتير" مجازا للدلالة على أن الخاصية الأسلوبية هي بمثابة المادة المنحلة ، والنص بمثابة السائل، فإذا تكررت السمة الأسلوبية باطراد تشبع النص فلم يعد يطيق إبرازها كعلامة مميزة ، ومثال ذلك أن ينبني نص على ظاهرة السجع ، فإذا هي تراوحت مواطنها ظلت محتفظة بطاقاتها التأثيرية وإن اطردت اختفى تأثيرها بل لعل عدول صاحب النص عن ظاهرة السجع من حين إلى آخر في نص بني إجمالا على السجع يصبح هو نفسه خاصية أسلوبية . بنظر : عبد السلام المسدي الأسلوبية والأسلوب ، ص: 170 .

لخاصية أسلوبية تتناسب تناسبا عكسيا مع تواترها فكلما تكررت الخاصية نفسها في نص ضعفت مقوماتها الأسلوبية : معنى ذلك أن التكرار يفقدها شحنتها التأثيرية تدريجيا .

وحين انتقل إلى القرن الخامس أجد - لامحالة في ذلك -"عبد القاهر الجرجاني" والذي يصنف الكلام على ضربين حيث يقول في ذلك :« الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ؛ وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة ، فقلت خرج زيد بالانطلاق عن عمرو فقلت : عمرو منطلق ، وعلى هذا القياس ، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن بذلك اللفظ على معناه الذي يقتضي موضوعه في اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغـرض... وإذ قد عرفت هذه الجملة ، فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول : المعنى ومعنى المعنى ، ونعني بالمعنى ؛ المفهوم من ظاهر اللفظ...وبمعنى المعنى؛ أن تعقل من اللفظ معنًى ثم يقضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر...» [95]. وعليه يمكن القول بأن عبد "القاهر الجرجاني" يعمل في زاوية الانزياح عن القواعد ؛ فهو وريث "أبي عبيدة" و"الفراء" وغيرهما من العلماء الذين حاولوا استنباط قواعد ثانوية على هامش القياس النحوي ، قواعد تستأنس أولا بالعرف العربي واستعمال اللغة فنيا ، ثم تسعى لاستنباط قواعد الشذوذ التي سميت حينا ضرورات وسميت حينا آخر مجازات ، أي أساليب وطرقا غير مأنوسة أو هي خاصة بنص متميز هو القرآن ؛ إن مزية "عبد القاهر الجرجاني" عند المحدثين من دارسي الخصوصية الشعرية يكمن في كونه لم يركن إلى التغليط أو استضعاف الصيغ غير المألوفة [معنى أنه أقر بوجود الانزياح وإن لم يكن بهذا المصطلح] بل سعى لتأويلها وتدليلها ، وجعل همه الوصول إلى قانون لم يصل فيه الرضا والطمأنينة لأن المجال ما انفك أرض خرق تستعصي على الضبط المطلق [96] .

ويظهر مفهوم الانزياح عند "عبد القاهر الجرجاني" بشكل أوضح في حديثه عن النظم الشعري والذي حدد له صفات ست* من بين هذه الصفات نجد أنها تنهض على الإزاحة التي تأخذ عند "عبد القاهر الجرجاني" صور متعددة تتمحور حول نمطين رئيسيين :

أ - نمط الإزاحة الدلالية : وتشمل ظواهر علم البيان من استعارة ، و كناية وتمثيل.

95- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت، لبنان ، ط$_1$ ، 1994 ص:177.

96 - محمد العمري : البلاغة العربية ، ص: 215 .

* 1- أنه يستهدف في الأصل معاني الكلم ، دون ألفاظ الكلم .

2- إن الأولية فيه للمعنى بمفهومه الأول .

3- إنها دلالة إثبات أو نفي للمعنى الذي يمثل غرضا للناظم وليست دلالة إيضاح أو تقرير له .

4- إنها دلالة معاني على معاني وليست دلالة ألفاظ على معان .

5- إنها دلالة إنتاج للمعنى أو بناء له كلما تقدم فيه الباني أو الناظم تغير شكل البناء ، ينظر : عبد الواسع أحمد الحميري : شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط$_1$، 2005م ، ص: 86 -109 .

ب - ونمط الإزاحة النحوية أو التركيبية وتشمل ظواهر علم المعاني ، من حذف وذكر ، وتقـديم وتـأخير ، وتعريف و تنكير ، ...[97] **.

ويقول عن التقديم والتأخير مثلا : « إن هذا التقديم كثير الفوائد ؛ جم المحاسن ، لا يزال يفتر لك عن بديعه ويقضي بك إلى لطفه ولا تزال ترى شعرا يروقك سجعه ، ويلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سـبب أن راقك ولطفك عندك أن قدم فيه شيء ، وحول اللفظ من مكان إلى مكان»[98] كل أولئك دلالات طبيعية إما لمدركات سمعية أو صور تركيبية أو عدول عن أصول (كالتقديم والتأخير...) وهذه الدلالات في عمومها لا تخضع للتقعيد ولا تنتظم بالتعليل المنطقي شأنها في ذلك شأن النغمة الموسيقية، أو اللوحة الزيتية تحبـها أو تتركها ثم لا تستطيع أن ترجع هذا الحب وذلك الكره لسبب غير الذوق[99].

وخلاصة القول أن التفرقة بين الزوج المفهومي الحقيقة / والمجاز هو إدراك لوجود مستويين للغة ، المستوى العادي / أصل الوضع ، والمستوى الأدبي / المجاز وهذا الأخير – المجاز - اختراع فردي مخصوص ، لم يعش في ظل مفهومه اللغوي بل تعداه إلى مفهوم مقابل للحقيقة ، ليدل على الاستعمال الذي لم يوضع له في أصل اللغة لتنحرف - بمعنى نحذف أو نسقط من البين على حد تعبير الجرجاني - عن السمت والهدي وتتزاح عن الأصل المألوف بغية الاستمتاع والتلذذ بالسمات الجمالية ، وهذا هو الهدف من الانزياح .

4- التفرقة بين ثنائية الضرورة والرخص:

كان من الطبيعي أن يكون اللغويون والنحاة أول من تطرق إلى موضوع الضرورة لأنهم في سبيل استنباط نظام نحوي للغة العربية ، درسوا لهجات عربية متعددة ، أهمها لهجات قيس و تميم و أسد ، و جعلوا الشـعر القديم من بين مصادرهم ، ولأن الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها هي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ ، فرضت على هذا النحو أن يتسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمـي ، أو بعبارة أخرى نحوا معياريا لا نحوا وصفيا . وبعد أن وضعوا للغة نظامها النحوي وأقروا قواعدها حكموا هذه القواعد ، فاعتبروا ما خالفها شذوذا يحفظ ولا يقاس عليه إن لم يجدوا وجها يؤول عليـه لإلحاقـه بـدائرة القواعد[100].

---

97 - المرجع نفسه ، ص:86- 99 .

** أ - على أن من شأن الإزاحة الدلالية التي ينطوي عليها النظم الشعري عند "عبد القاهر" ، أنها تستهدف في الأساس : خرق نظام الدلالة ، بوصفه نظام العلاقة بين الدوال ومدلولاتها ، ومن هنا فإن الإزاحة تطال عند الجرجاني الدوال والمدلولات، المعاني والأشياء .

ب- الإزاحة النحوية: / خرق نظام النحو، هذه الانزياحات النحوية تستهدف بالإضافة خرق نظام الدلالة، خرق نظام النحو، أو نظام البناء النحوي للجملة الشعرية ، كحذف مفعول الفعل المتعدي . أو تقديم ما حق نحويا أن يؤخر ، ينظر : المرجع نفسه: ص: 104 .

98 - الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص: 262- 263.

99 - تمام حسان : الأصول ، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، عالم الكتب القاهرة ، 2000 ، ص: 317 .

100 ــ تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت)، 1973، ص:13- 14.

و لم يكن الشعر - المعاصر لهم أو السابق عليهم في الزمن - جاريا كله على السنن محترما لما سطروه من معايير نحوا وصرفا وتركيبا [بمعنى أنه متزاح عن القواعد المألوفة] فعزل وأفرد كما تفرد الظاهرة الخاصة ، وعزي ما حصل فيه من إخلال بالسنن إلى ضغط الوزن والقافية،[ما يسمى في المصطلح الحديث ب: البنى القهرية أو القاهرة] ، وهكذا لا يكاد يخلو مؤلف قديم في النحو واللغة من التعرض بالإشارة أو التفصيل لما اصطلح عليه بـ : "الضرورة الشعرية" لعدم الخلط بين موقفين لغويين(101).

ـــ موقف أساسه الإباحة والتسامح استثناءً ، وموقف أساسه الخضوع للقواعد وجوبا وعليه يمكن إذن أن نعتبر نشوء البحث في الضرورة الشعرية ملابسا لنشأة النحو وتطوره.

وليس غريبا أن يهاجر لفظ "الضرورة"*من الفقه إلى اللغة والنحو ، فقد كان عنوان الثقافة بل الحضارة الإسلامية كما كانت الفلسفة عنوان الحضارة اليونانية ، ومن المعروف أن كثيرا من الألفاظ يجرها التواتر عبر الزمن إلى أن تغادر معناها المعجمي مكرهة - قليلا أو كثيرا - بفعل التطور أو التغيير الذي حصل في تطور الظاهرة ، فيغدوا اللفظ عندئذ حاضرا بقوة الاصطلاح لا بقوة معناه الأصلي(102) .

ويعتبر وضع النحو المناسبة الأولى التي أتاحت ، بل تطلبت حديثا منظما يقابل بين الشعر والكلام من حيث البنية اللسانية ، ويعطي الشعر بسبب ذلك ، مالا يعطي الكلام من حرية التصرف في البنيات التركيبية والدلالية مما يدخل في باب ما يحتمل "الشعر" أو"ما يجوز في الشعر للضرورة" أو"الضرائر الشعرية" إلى غير ذلك من التسميات الدائرة في الموضوع(103) .

وبالرغم من أن "سيبويه" (ت 179هـ) ** لم يستعمل كلمة الضرورة فقد استعمل مشتقات من نفس الأصل كالمصدر / "اضطرار" واستعمل الفعل مثل/ اضطر... واسم المفعول / مضطرين***، وقد ترددت هذه الصيغ وأخرى عشرات المرات في أثناء الكتاب موزعة على أجزائه الأربعة ، إلى جانب مفهوم الاضطرار استعمل سيبويه ألفاظ تتضمن معنى الاضطرار تضمنا غير مباشر ، كالجواز ، والاحتمال ، وقد عقد بابا سماه " هذا باب ما يحتمل الشعر" ويقول فيه : « اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف ، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء ، لأنها أسماء كما أنها أسماء ، وحذف ما لا يحذف (أي ومن

---

101 - أحمد بلبداوي، الكلام الشعري من الضرورة إلى البلاغة العامة ، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 1997م، ص: 14

* لفظ الضرورة: وأصله الضرر والشدة والاحتياج إلى الشيء والإلجاء إليه والتحمل والصبر، ينظر ابن منظور: لسان العرب، مادة (ض ر ر).

102 - المرجع نفسه، ص: 14- 15 .

103 - محمد العمري ، البلاغة العربية ،ص: 117.

** هو عمرو بن عثمان بن قنبر ، صاحب قرآن النحو "الكتاب" وأخذ النحو من شيوخه : ً الخليل بن أحمد ً، وً عيسى بن عمرً، و ً يونس ً... وأخذ اللغات عن أبي الخطاب والأخفش الكبير وغيره ، توفي بفاس سنة تسع وسبعين ومائة (179هـ) ينظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص: 232- 233 .

*** وإذ نعود إلى الكتاب نجد هذه الصيغ قد ترددت في الجزء الأول من الكتاب في الصفحات لتالية على الترتيب: ص:169، ص:98 و ص:307 . ينظر : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، (د . ت)

حذف ما لا يحذف) يشبهونه بما قد حذف واستعمل محذوفا ، كما قال العجاج :« قواطنا مكة مـن ورق الحمى» [104] ؛ من خلال استنطاق النص يتضح أن الضرورة عند "سيبويه" أن يقع في الشعر مالا يجـوز وقوع نظيره في الكلام المنثور ، [معنى هذا أن الانزياح جائز في النص الشعري فقط في نظر سيبويه] ،كمـا يلاحظ أن "سيبويه" لم يقيد الضرورة بعدم وجود مندوحة لشاعر عنها ثم أنهى الباب بقوله : «وليس شـيء يضطرون إليه إلا وهم يحاولون به وجها...»[105] ومعنى هذا أن كل ضرورة ينبغي أن تعتمد على وجـه يصلها بما يصح به الكلام بصلة ما لتكون به صحيحة ، فإن لم تجد وجها فليست من العربية في شيء ؛ فليس للشاعر أن يتحرر من قيود العربية وأقيستها ، أو يخرج عن سننها باسم الضرورة ، بل عليه أن يدور في فلكها وأن ينطلق في داخل إطارها[106] .

وحين نتأمل مفهوم"ما يحتمله الشعر" عند "سيبويه" بشكل أدق ، نجده جزءا من بناء النحو يلامس كل ما يتعلق بالبناء تركيبا ودلالة، يمتد من التصرف في الكلمة بحذف جزء منها ، إلى تعقيد العلاقات الدلالية بالتقديم والتأخير والحذف والإبدال عبر التصرف في الأوجه الإعرابية يتم ذلك كله ضمن مفهوم "التوسع" في اللغـة ، مما يقتضيه الإنجاز ويسيغه "الحمل" والإلحاق عن طريق التشبيه والتوهم ، وغير ذلك من الآليات التي تشـغلها الذات والأعراف الفنية للشعر والخطابة[107] .

وهذه الإجراءات تجد سندها النحوي في آليتي الإرجاع والحمل .

1- الإرجاع إلى الأصل اللغوي الذي ابتعدت عنه لعلّة من العلل [وهذه الظواهر هي التي تشـكل مجـال التصرف في نظر "سيبويه" والتي تسوغ للشعراء الاستفادة منها] مثل فك الإدغام في قولهم :"ضـننوا "بـدل "ضنوا"...

2- الحمل والتشبيه : أي حمل الظواهر بعضها على بعض وتشبيه بعضها ببعض، مثل تشبيه "إذا" بـ:"إن" حيث رأوها لما يستقبل وأنها لابد لها من جواب[108].

إن اعتماد الاستثناءات الكبيرة لصالح النص الشعري في كتاب "سيبويه" يقوي انتماء الضرورة إلى مجـال الوظيفة الشعرية كما يسميها "جاكبسون" ، ويبعدها عن مجال الإجراءات القسرية غير الهادفة ، غير أن تردده بين الاحتمال والجواز في الشعر على الإطلاق ، أي اعتباره شعرا، وبين الاضطرار الناتج عن ضرورة الوزن ، على وجه التحديد ، باعتبار الوزن خاصة نوعية يبطل الشعر باختلالها قد زرع بذرة الاختلاف حول الموضوع وهذا ما يؤكده اختلاف النحاة بعده وانقسامهم إلى فئتين ، إحداهما تقول بالاضطرار[109] . وأخرى تعتبر

---

104 - الكتاب : تحقيق عبد السلام هارون ، ج$_1$ ، ص: 26 .

105 - المرجع نفسه، ج$_1$، ص:32 .

106 ــ إبراهيم حسن إبراهيم : سيبويه والضرورة الشعرية، مطبعة حسان، ط$_1$ ، 1983م، ص:5- 6 .

107 - محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 118 .

108ــ المرجع نفسه، ص : 118 .

109 - المرجع نفسه ، ص: 120 .

الانزياح في اللغة الفنية وخرقها للقواعد المعيارية اتساعا وليس اضطرارا...، ونقل "الجرجاني" في الوساطة عن المتنبي قوله : « قد يجوز للشاعر من الكلام ما لا يجوز لغيره لا للاضطرار إليه ولكن للاتساع فيه واتفاق أهله عليه فيحذفون ويزيدون »(110) .

وعليه فالضرورة التي قصد لها "سيبويه" معيار للتفرقة بين الشعر وغيره ، أي النثر أو الكلام كما سماه هي- في الحقيقة - محاولة لاستيعاب العملية الإبداعية والقدرة على الابتكار والتوليد والإثراء إلى اللغة الأدبية وهذا لكون لغة الإبداع لغة متراحة بطبيعتها عن اللغة المعيار، وما الاستقامة إلا تأكيد على استيعاب سيبويه لطبيعة الكلام وذلك في طرحه للفكرة في باب من كتابه سماه "باب الاستقامة من الكلام والإحالة" ، يقول فيه:
« فمنه مستقيم حسن ، ومحال ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح ، وما هو محال كذب...»(111)
إلى أن يقول: « وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه»(112)
وما تركيزي على هذا الجزء من القول إلا لاعتقادي أنه يقصد هاهنا المجاز - بمعنى الانزياح - الذي يكون مستقيما من مقياس النحو بالإضافة إلى المقياس الجمالي والانطباعي الذي يحدثه المجاز من دهشة ومفاجأة وتوليد اللامنتظر- وذلك لكون المجاز كذب وهو مقابل للحقيقة - (وليس الكذب هنا بالمعنى الأخلاقي المتعلق بإمكانية تحقق الحكم أو عدمه) .

وفي الأخير ، وتأسيسا على ما تقدم من البحث ، يمكن القول بأن "سيبويه" يقر بوجود لغة شعرية خاصة وذلك من خلال فهمه للضرورة ، وما يفعله الشاعر هو إلزام نفسه وجها من وجوه القياس . ويتعدى "الجرجاني" من مجرد "الضرورة" و"الاضطرار" إلى "الاتساع" و"الاختيار" ، وما الأسلوب في الأساس إلا اختيار لغوي يقتضيه حرية الإبداع ذلك ما يدفع الشاعر إلى تكسير رتابة اللغة المألوفة ، و الانزياح عنها باستمرار،- وهو الفارق بين الشعر والنثر في رأي المحدثين - وذلك لغاية إدراك الوظيفة الجمالية وتحقيق المتعة أو اللذة بالمفهوم "البارتي" من خلال المفاجئ والمدهش .

وما أريد الإشارة إليه هو أن ليس كل ضرورة تشكل انزياحا، وما يؤكد هذا الطرح ما ذهب إليه "سعد مصلوح" في حديثه عن الإحصاء في الدراسات الأسلوبية حيث يقول : « وترجع أهمية الإحصاء هنا إلى قدرته على التمييز بين السمات التي ترد في النص ورودا عشوائيا ، أو كما يقول جن ليتش "G.N.Lecch"إلى أهمية التمييز بين ما يتضمنه النص من انحراف متفرد دال Unique signifiant déviation في استعمال اللغة وبين الشطط الذي لا متعة فيه
uninotivated aberration

---

110 - عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص:56.
111 -سبويه: الكتاب، ج1 ، ص: 25 .
112 - المرجع نفسه ، ج1، ص:26 .

وبيان ذلك أنه ليس كل انحراف جديرا بأن يعد خاصية أسلوبية هامة ، بل لابد لذلك من انتظام الانحراف في علاقاته بالسياق ». (113)، وهذا الطرح لا ينطبق فقط على الضرورة بل يشمل كل ظاهرة أسلوبية تؤدي إلى الانزياح.

5- التفرقة بين ثنائية الإغراب و القرب:

وصلت الدقة في تمييز الشعر إلى الفصل بينه وبين النظم ، زيادة في تفعيل المفارقة بين مستويي اللغة ، فــلا يكتفي بالانزياح في مستوى الشكل بل يوضع معيار الإغراب في تشكيل الدلالة ، يقول ابن رشيق :« قال غير واحد من العلماء: الشعر ما اشتمل على المثل السائر ، والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وسوى ذلك فإنمــا لقائله فضل الوزن»(114) وهو ما يؤكده "الشريف الرضي" بإبرازه هذا البعد الذي يجعل الشــعر كلامــا مخصوصا له شفرته التي لا يحلها إلا القادرون على فكها، فيقول إن كلام القوم مبني على التجــوّز والتوســع والاشارة الخفية ، والإيماء على المعاني تارة من بعد وأخرى من قرب لأنهم لم يخاطبوا بشعرهم الفلاســفة و أصحاب المنطق و إنما خاطبوا من يعرف أوضاعهم ،ويفهم أغراضهم »(115)من خلال هذا الــنص يمكــن القول أن "الشريف الرضي" يهدف إلى أن الكلام الفني يدرك ولا يعرف ، ولا يكون ذلك إلا للقادرين على فك شفراته ؛ ذلك أن عملية الإدراك لا تتأتى لكل الناس ، ولأنها غاية جمالية بنفسها ينبغي أن يطال أمدها ، وهذا ما يسمح للقارئ بالتفاعل مع النص [وهنا تظهر ما يسمى بالمصطلح الحديث ، بجمالية التلقي أو المتعة واللذة بالمفهوم البارتي] ولهذا التصور ما يقاربه في الدراسات الحديثة .

وخاصة عند "فيكتور شلوفسكي" 1893 الذي يجعل غاية الفن هو نقل الإحساس بالأشياء عندما تــدرك وليس عندما تعرف* ، ولست هاهنا أقارب على سبيل تقديسي للتراث / الأنا ولا تمجيده ، كما أنه ليس على سبيل التسليم والتبعية للغرب / الآخر فأقع فيما يسميه جابر عصفور "بالتسليم الاتباعي" وإنما على سبيل مد و ربط جسور التواصل لمزيد من التحاور بغية التوضيح .

---

113 - سعد مصلوح : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1991، ص47.

114 - أبو الحسن علي بن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل للنشر ، بيروت ، ج1 ، ص: 129 .

115 - عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد الأدبي ، ص: 40 .

* ويقول في هذا المعنى : « إن الشخص المدرك هو من يقرر الخاصية الفنية للعمل » كما يقول أيضا : « إن الإدراك الفني هو ذلك الإدراك الذي نتحقق فيه من الشكل وانه من الواضح أن الإدراك الذي نحن بصدده ليس مجرد حالة سيكولوجية (الإدراك الخاص بهذا الشخص أو ذاك) وإنما هو عنصر من عناصر الفن ، والفن لا يوجد خارج الإدراك » .

بنظر : إيناس عياظ : إستراتيجية التلقي الأدبي في الفكر النقدي المعاصر، إشراف : عبد الحميد بورايو ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر ، 2000-2001م ، ص: 111، 109 .

ولمزيد من التوسع ، نجد في الدراسات المعاصرة أن شعرية الحداثة تفرز خصوصياتها في نمط أعلى من مجـــرد الانحراف*يتمثل في صورة ثالثة وهي "الإغراب" أو "التغريب" "Singularisation" ** ، وهو الانقطـــاع عن الواقعي من أجل مغايرة يعمد من خلالها أن تكون كاملة ويمثل الحد الأقصى من الانتهاك المنظم لقـــوانين اللغة في الرسالة(116) وفي هذا النمط ـــ الإغراب ـــ يحدث انقلاب حقيقي في بنية اللغة حيث تركيب الجملة لا يعني الإفادة وإنما حضانة لسلوك مفرداتها دلاليا سلوكا حرا في إقامة العلاقات مع مفردات الجمل الأخرى ، وحيث التتابع الزمني للجمل لا يعني ضرورة التعالق الدلالي فيما بينها ، وحيث السياق مرهون باكتشاف البنية المولدة للنص(117).

وعليه يمكن الخلوص إلى أن التمييز بين ثنائية الإغراب والقرب هو تمييز بين مستويي اللغة : المستوى الأدبي الفني / والمستوى العادي ، وهو إدراك لظاهرة الانزياح الناجمة عن التجوز والتوسع والاشارة الخفية والإيمـــاء على المعاني من بعد مما يستوجب عملية إدراك ليست آلية وإنما إدراك فيه نوع من المتعـــة الجماليـــة نتيجـــة الازياحات اللغوية التي تخضع تمثيل الشيء أو الموضوع إلى بنيات غير مألوفة / متراحة .

6- التفرقة بين ثنائية المثال والاستعمال:

يمثل التقدير وسيلة النحاة واللغويين في رعاية النمط المثالي للغة ، وهو مبدأ يمكن من تجاوز ظاهرة العبارة إلى احتمالاتها أو باطنها ،بما يتضمن اتساق الانزياح مع القواعد المقررة ويلاحظ تشابه هذا المنظور مع منظور الاتجاه التوليدي التحويلي في النحو الذي يفترض وجود بنيتين للغة ، بنية سطحية و بنية عميقة مثالية .

وثنائية المثالي والمنحرف أو القاعدة و الانزياح ليست عمل النحاة وحدهم ولكن اللغويين أيضا ،فالأولون يراعون نظام الجملة والآخرون يراعون أصل الدلالة [كما سبق الإشارة إليه] ، وهذه الثنائية - حسب "عبد الحكيم راضي" - هي مقياس الحكم على فنية الأثر الأدبي ، إذ البحث البلاغي العربي انحصر في صـــميمه في ثنائية المثال و الانزياح ولتطبيق هذه الثنائية وضع اللغويون قواعد عدة تحدد عملية الانزياح ، وتتنوع بتنوع المستويات التي يحدث فيها ، ويمكن الإشارة إلى بعضها وهي : الرتبة في مقابل التقديم والتـــأخير ، والحركـــة الإعرابية والمساواة مقابل الزيادة والنقص ، والحقيقة مقابل المجاز ، والمطابقة مقابل خرقها على مستوى مباني التصريف(118).

---

* توجد ثلاث أنماط للتشكيل اللغوي في شعرية الحداثة : النمط الوظيفي ، النمط التجاوزي ، والنمط الاغرابي ، ينظر : محمد فكري الجزار ، لسانيات الاختلاف ، ص: 104.

** يعد مفهوم التغريب المفهوم الشكلاني الأكثر شهرة و يعد أيضا من أهم المفاهيم التي لفتت انتباه المدرسة الألمانية في تأسيس إستراتيجية للتلقي الأدبي تقابل وتوازي مباشرة الإبداع ، و قد اهتم بهذا المفهوم : "شلوفسكي" أثناء وصفه للعمل الفني وطريقة إدراكه ؛ و يعني عنده العلاقة الخاصة بين القارئ و النص و هو يتم من خلال جعل المألوف غير مألوف بواسطة الوصف و باقتراح تغيير صورة الشيء دون تغيير ماهيته ، بنظر : إيناس عياط ، استراتيجية التلقي الأدبي في الفكر النقدي المعاصر ، ص: 111- 112 .

116 - محمد فكري الجزار : المرجع السابق ، ص: 104 .

117- المرجع نفسه ، ص: 174 .

118 ـــ جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور ، ص: 08 .

وسواء أسمى اللغويون والنحاة الانزياح ضرائر و البلاغيون مجازا ، فالأهم أن يكون قادرا على تفسير عملية حيوية وخلاقة وهذا ما يتفق مع ما يذهب إليه "موكاروفسكي" "J.Mukarovsky" في الدراسات المعاصرة وذلك في قوله : «إن نظرية اللغة الشعرية معنية في المقام الأول بالفوارق بين اللغة المعيارية ولغة الشعر ، على حين تعنى نظرية اللغة المعيارية أساسا بالتشابهات بين اللغتين »[119] وهو تصريح دال في حرص أصحاب اللغة والنحو على اطراد القاعدة واعتبار كل ما عداها شاذ أو ضرورة وقع فيها الشاعر اضطرار ، ولا ينبغي أن يقاس عليها أو يعتد بها ، ومن جهة أخرى يوضح هذا التصريح حرص أصحاب نظرية اللغة الشعرية على تأكيد مغايرة هذه اللغة وانحرافها عن القواعد المثالية المرضيّ عنها من النحاة ، وهو حكم ينطلق على مسلك النقاد والبلاغيين العرب ... أنصار الإبداع و الانزياح على حد تعبير - عبد الحكيم راضي - يتمسكون ويتحمسون لصفة الانحراف في اللغة الأدبية بل يسعون إلى تصعيد درجة الانحراف للوصول إلى انحراف بليغ[120].

لقد مكن تطور العلم واتساع مباحثه من التعمق في تحليل طرق الأداء اللغوي وتجاوزت المقابلة بين الحقيقة والمجاز الملاحظات المقتضبة الموجودة في مؤلفات القدماء وأصبحت محورا من محاور البحث القارة فيها ، ولقد تضافرت جهود العلماء من بلاغيين ونقاد ، وفلاسفة ، وأصوليين ، لتؤكد على أن التوسل بالمجاز هو خاصية تميز الأداء الفني عن غيره ، ولقد تواترت في مؤلفاتهم المقابلة بين ما سموه بالكلام المألوف أو المعتاد أو العادي ، وبين الكلام المخرج غير مخرج العادة أو الكلام الشعري أو الكلام عن حيلة ، وهي كلها طرق في التعبير عن المقابلة الرئيسية ، ورغم حدة الوعي بالفرق بين الطريقتين .

- الكلام العادي / والكلام الشعري - إلا أن هذا الأمر لم يمكنهم من صياغة ذلك الفرق صياغة نظرية، وإنما بقوا يعبرون عنه من خلال شواهد شعرية يكتفون فيها بالمقارنة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي ، حتى جاء "عبد القاهر الجرجاني" في القرن الخامس الهجري و أول المسألة تأويلا لسانيا في عبارته المشهورة **"معنى المعنى"**[121] .

وزبدة القول هي أن لظاهرة الانزياح صلات وملامح في التراث اللغوي العربي وإنما لم ترد بهذا المصطلح بل وجدت في ثنايا عدت مصطلحات أذكر منها: الاضطرار (الضرورة) الاتساع ، الجواز ، العدول ، الاختبار ، الشجاعة ، وكلها مسميات لأسماء - ولا تهمنا الأسماء بقدر ما تهمنا المسميات - تصب مفاهيمها في ظاهرة الانزياح بشكل أو بآخر تتسع أو تضيق ، وأعني هنا أنه لا يوجد مصطلح يتطابق مع الانزياح تطابقا

---

119 ــ عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد العربي، ص:334، نقلا عن:
T.Mukarovsky "standard language and poetic language"
Linguistics and literarry style, p:41.

120 ــ عبد الحكيم راضي: نظرية اللغة في النقد الأدبي، ص: 335.

121 ــ حمادي صمود : التفكير البلاغي ، ص: 599 .

كليا مطلق وإنما هناك نوع من الخلخلة والتذبذب ، ما يعني أن فكرة الانزياح لم تتطور على خط مستقيم بل هناك بعض الاعوجاجات التي تختص بكل مصطلح مما يفضي عليها نوعا من التمييز والخصوصية .

ثانيا : ملامح ظاهرة الانزياح عند العرب المحدثين :

اهتمت الدراسات الأسلوبية الحديثة عموما - وكذا الدراسات الأسلوبية العربية- بظاهرة الانزياح - أو بنظرية الانزياح كما يفضل بعضهم تسميتها- باعتبارها قضية أساسية في تشكيل جماليات النصوص الأدبية ، و الانزياح ــ كما عرفنا سابقا ــ هو انحراف الكلام عن النمط المألوف في اللغة ، ومفهوم النمط يتيح إجراء تصنيف أولي لتعدد ظواهر التشكيل اللغوي الذي تفرزه حرية عملية الاختيار في الممارسة اللغوية ؛ إن مفهوم النمط عقلي أساسا ولذا يتكئ على أساس يوجد في الظاهرة المراد تصنيفها كمنطلق لإجراء تصنيفاته[122] ،ولما كانت اللغة تمتلك نظامها الخاص بضبط كل ممارسة لها ، فمن المعقول أن توجد لكل تشكيل لغوي صورتان: واحدة وظيفية / المستوى العادي؛ ويتجلى في هيمنة الوظيفة الإبلاغية على أساليب الخطاب،أي تقوم على توظيف النظام لصالح أغراض الرسالة. وأخرى متجاوزة/ المستوى الإبداعي وهو الذي يخترق الاستعمال المألوف للّغة ، وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة ، ويهدف من خلال ذلك إلى شحن الخطاب بطاقات الأسلوبية وجمالية تحدث تأثيرا خاصا في الملتقى فيما أسمته الأسلوبيات الحديثة بالانزياح[123] .

والناظر لعنوان البحث وهو أحد المداخل المشروعة لفك أسار مجاهيل البحث يجــد أن المســتوى المثــالي الإبداعي التجاوزي هو موضوع بحثي ، وسأحاول رصد هذه الظاهرة عند بعض الدراسيين العرب المحــدثين الذين وان كانت عند جلهم إن لم أقل عند كلهم - يعرضون لمفهوم الانزياح كما جــاء في الدراســات الأسلوبية و اللسانيات الغربية التي تحاول تحديد الواقع اللغوي الذي يعد بمثابة الأصل ثم عملية الخروج عنه - وقد يقول قائل (القارئ) إن هذا الحكم قبلي لا تملكين إلى ذلك سبيلا ، أقول أنني أنطق مــن فرضــيات أو مقدمات وليس من مسلمات و سأحاول البرهنة عليها فيما سيأتي من البحث من خلال التوصل إلى نتائج .

1- ظاهرة الانزياح عند عبد السلام المسدي :

يعرض عبد السلام المسدي مفهوم الانزياح في كتابه: "الأسلوبية والأسلوب"*وفيه يرى أن جل التيــارات التي تعتمد الخطاب أسًّا تعريفيا للأسلوب تكاد تنصب في مقياس تنظيري هو بمثابة العامل المشترك الموحد بينها ويتمثل في مفهوم الانزياح L'écart* *، ولئن استقام له أن يكون عنصرا قارا في التفكير الأســلوبي فلأنــه

---

122 ــ محمد فكري الجزار : لسانيات الاختلاف ، ص: 104 .

123 - نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص: 179 .

* وذلك من الصفحة 97 إلى غاية الصفحة 106 ، كما يضمن مبحث الانزياح ثبتا بالمصطلحات الدالة عليه أو التي تدور في فلكه مع الإشارة إلى مرجعية هذه المصطلحات وسأتعرض لها في حينها من هذا البحث .

* * مصطلح L'écart : عسير الترجمة وعبارة انزياح ترجمة حرفية له : على أن المفهوم ذاته قد يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز أو أن نجيء له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدد وهي عبرة "العدول" .
بنظر :عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب ، ص: 162- 163.

يستمد دلالته - لا من الخطاب الأصغر كالنص والرسالة ، و إنما يستمد تصوره من علاقة هـــذا الخطـــاب الأصغر بالخطاب الأكبر و هو اللغة التي فيها يسبك ولذلك تعذر تصوره في ذاته إذ هو من المدلولات الثنائية المقتضية لنقائضها بالضرورة ، فكما لا نتصور"الكبير" إلا في طباقه مع "الصغير" ، فكذلك لا نتصور انزياحا إلا عن شيء ما ، وهذا المسار الأصلي الذي يقع عن الخروج وإليه ينسب الانزياح هو في ذاته متصوّر نســـبي تذبذب الفكر اللساني في تحديده وبلورة مصطلحه فكل يسميه من ركن منظور خاص ، وقد اصطلحنا عليـــه فيما مضى من بحثنا - والقول للمسدي - **"بالاستعمال النفعي"** للظاهرة اللسانية مختارين في ذلك تســـمية الشيء بوظيفته العملية وغائيته الواعية(124) .

ثم ينتقل "المسدي" بعد ذلك إلى ذكر القواعد التأسيسية المتجاوزة للمنظور الأسلوبي الضيق لتشع بجلاء على حقول التفكير اللساني وصورة ذلك - والقول للمسدي - « إننا قد نستنبط فرضية عمل نعتبرها أن الظاهرة اللغوية في ذاتها مصب جدولين ونقطة تقاطع محورين أولهما الجدول "النفعي" / وهو الجدول الخادم / وضـــع اللغة الأول / الأصل بالذات والزمن ، وثانيهما الجدول العارض / وهو الجدول المخدوم / إذ محوره وضع اللغة الطارئ ، هذان المظهران كلاهما واقع لغوي وأولّهما "متنازل" "Descendant" ويمثل "قضـــية" الموجـــود اللغوي كتجسيد لخصوصية الحيوان الناطق ، والثـــاني "متعـــال" "ascendant" و هـــو "نقيضـــه" ذلـــك الموجود(125) .

ويستطرد"المسدي" في حديثه عن الانزياح ليصل إلى إبراز قيمة هذا المفهوم فيقول في ذلك : « ولعل قيمة مفهوم الانزياح في نظرية تحديد الأسلوب اعتمادا على مادة الخطاب تكمن في أنه يرمز إلى قاربين: اللغة والإنسان هو أبدا عاجز عن أن يلم بكل طرائقها ومجموع نواميسها وكلية إشكالية كمعطى"موضوعي ما ورائي" في الوقت نفسه بل إنه عاجز عن أن "يحفظ" اللغة شموليا ، وهي كذلك عاجزة عن أن تستجيب لكل حاجته في نقل ما يريد نقله وإبراز كل كوامنه من القوة إلى الفعل وأزمات الحيوان الناطق مع أداة نطقه أزلية صوّر ملحمتها الشعراء والأدباء مذ كانوا »(126) ليصل في الختام إلى اعتبار الانزياح احتيال على مستويين : احتيال الإنسان على اللغة ، واحتيال الإنسان على نفسه وذلك حين قال : « وما الانزياح عندئذ سوى احتيال الإنسان على اللغة وعلى نفسه لسد قصوره وقصورها معا »(127) .

كما أن للمسدي وقفة أخرى مع مفهوم الانزياح وذلك من خلال كتابه "النقد والحداثة" ؛ حيث يربط منهج الحداثة بالعدول عن النمط في مقارنته بمنهج القراءة ، فيقول : « أما منهج الحداثة فإنه يحـــتفظ بـــنفس المنظومة الثلاثية - ويقصد هاهنا المنظومة المتعلقة بمنهج القراءة الذي يتدرج على سلم ثلاثي ؛ الأول : متعلق بالتنظير ، والثاني هو المواصفة وأما الثالث فهو الممارسة - ويعكس ترتيب مدارجها ، فيشتق تركيبا مقـــابلا

124 - المرجع نفسه، ص:97- 98.
125 ـــ المرجع نفسه ، ص:105.
126 ـــ عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص106.
127 ـــ المرجع نفسه ، ص106.

ينطلق من الممارسة التي توحي بالعدول عن النمط السائد والمعيار المطرد فيتجه صوب المواصفة لتفسير هذا التجاوز و الانزياح إلى أن يستقر في التنظير حيث يؤسس قواعد الحداثة باعتبارها تجديدا للرؤية وتغييرا للمطرد(128) .

وعليه يمكن القول أن "المسدي" تطرق لظاهرة الانزياح - أو الاستعمال النفعي كما يصطلح عليها وذلك من خلال إطلاعه على المراجع الأجنبية المتخصصة في ذات الموضوع كما انه قام بعرض المصطلحات الدالة على الظاهرة مع ترجمتها وبهذا يكون قد أضاف إلى الدراسات النقدية العربية الكثير .

2- ظاهرة الانزياح عن محمد الهادي الطرابلسي :

لقد اعتمد"محمد الهادي الطرابلسي" الانزياح في دراسته على " خصائص الأسلوب في الشوقيات"* ، وهو يصرح بذلك في قوله : « مضان الأسلوب (يقصد مظان) هي في الجانب المتحول عن اللغة ؛ والمتحول عن اللغة في الكلام عديد الأشكال ، فقد يكون تحولا عن قاعدة نحوية أو بنية صرفية أو وجهة معنوية أو في تركيب جملة كما قد يكون التحول عن نسبة عامة في استعمال الظاهرة اللغوية في عصر من العصور أو يكون بشحنة دلالية خاصة أو بفقر خاص يلحق الظاهرة اللغوية في نوع من النصوص دون آخر... » .

ويواصل "الطرابلسي" حديثه عن الانزياح فيقول:«ويستقطب المتحول عن اللغة نوعان على الأقل ، **المتحول المشترك** : ويضم الاستعمالات التي شاعت في كلام منشئ من المنشئين ، أو في كلام عدد من المنشئين ، في عصر من العصور أو في نوع خاص من أنواع الإنشاء...،و**المتحول الخاص:** ويشمل الاستعمالات التي تظهر هنا وهناك فيما يكتب الكتاب وينظم الشعراء ،ولا يكون لها حظ من الشيوع والتواتر عند غير أصحابها ، بل لا يكون لها حظ من التواتر معتبر حتى عند أصحابها ، فالمتحول الخاص لا يبرح باب الخطأ واللحن حتى يعممه معمم أو يندثر »(129) .

وما أوخذ عليه - "الطرابلسي" -هو أنه اعتمد على أمثلة عشوائية وملاحظات لا يمكن الاطمئنان إلى دقتها العلمية ، وظلت فكرة الانزياح عنده تتراءى على المستوى الخارجي الذي يقاس بشيء منفصل عن النص ، ومن ثم لم تكتسب دراسته طابعا بنيويا حديثا يعتمد على المقارنة الداخلية ـــ وهذا ما طوره "ريفاتير" فيما بعد وأستخلص ما يسمى "بالتضاد البنيوي"(130) - ، ورغم هذا الانتقاد الذي وجهه "صلاح فضل" لمحمد الهادي الطرابلسي" إلا أنه يعد من الذين وضعوا اللبنات الأولى للدراسات الأسلوبية العربية الحديثة بفضل إرساء بعض السوابق التي تمهد السبيل للمقارنة والتحليل في أدبنا العربي من خلال دراسته المذكورة سابقا .

---

128 - عبد السلام المسدي:النقد والحداثة ، مع دليل بيوغرافي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت ،ط1، 1983. ص:11 .

* منشورات الجامعة التونسية، ط1، 1981، تونس.

129ـصلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، ص: 217 .

130 - المرجع نفسه ، ص: 218 .

3- ظاهرة الانزياح عند "تمام حسان" :

لقد خصص "تمام حسان" فصلا كاملا لظاهرة العدول - كما يفضل الاصطلاح عليه بدل الانزيـــاح - تحت ما أسماه بـــ : **الأسلوب العدولي أو المؤشرات الأسلوبية* .**

وقد تحدث عن الأصول الذهنية التي جردها الأقدمون لقواعد اللغة ومبانيها ، ورأوا أن استعمال اللغة أي اللغة في معترك الحياة قد يورد الأصول على حالها فينفق المستعمل في صورته مع المجرد فيســـمي ذلـــك بـــــ "استصحاب الأصل" ، الاستصحاب ، حسب "تمام حسان"- قائما على المستوى الصوتي الصرفي ، المعجمي ، والنحوي بنوعيه (في اللفظ والجملة) ، في مقابل ذلك حينما يحدث تغيير بمعنى أن الاستعمال لم يستصحب الأصل فذلك هو العدول [معنى ذلك أن " تمام حسان" يعتبر الانزياح عملية خروج عن الأصل] ويحدث في كل مستويات اللغة (صوتي ، صرفي ، معجمي، نحوي) .

و إذا كانت الرخصة من حيث المبدأ عدولا عن أصل أو قاعدة مرتبطا بقيود* * فإن ثمة عدول آخر لا قيد عليه إلا أمن اللبس أو بعبارة أخرى لا قيد عليه إلا الإفادة...أما ما عدا ذلك فإن هذا العدول يقـــاس عليـــه ويقبل من الفصيح وغيره وهو ما يصطلح عليه "تمام حسان" بـــ : "الأسلوب العدولي" الذي يعد "خروجا عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها»(131) وكما يكون فهم الترخص من خلال الاعتداد بالقرائن يكون فهم الأسلوب العدولي كذلك...فكل قرينة من القرائن صالحة أن يترخص فيها وأن يعدل عن الاعتماد عليها ولا فرق بين الحالين إلا أن الترخص مغامرة فردية للفصيح من العرب القدماء لو تكررت من المعاصرين لعدّت من قبيل الخطأ ، وأن الأسلوب العدولي مورد من موارد التأنق في الأسلوب أورده من شاء في القديم ويـــورده من يشاء في يومنا هذا .

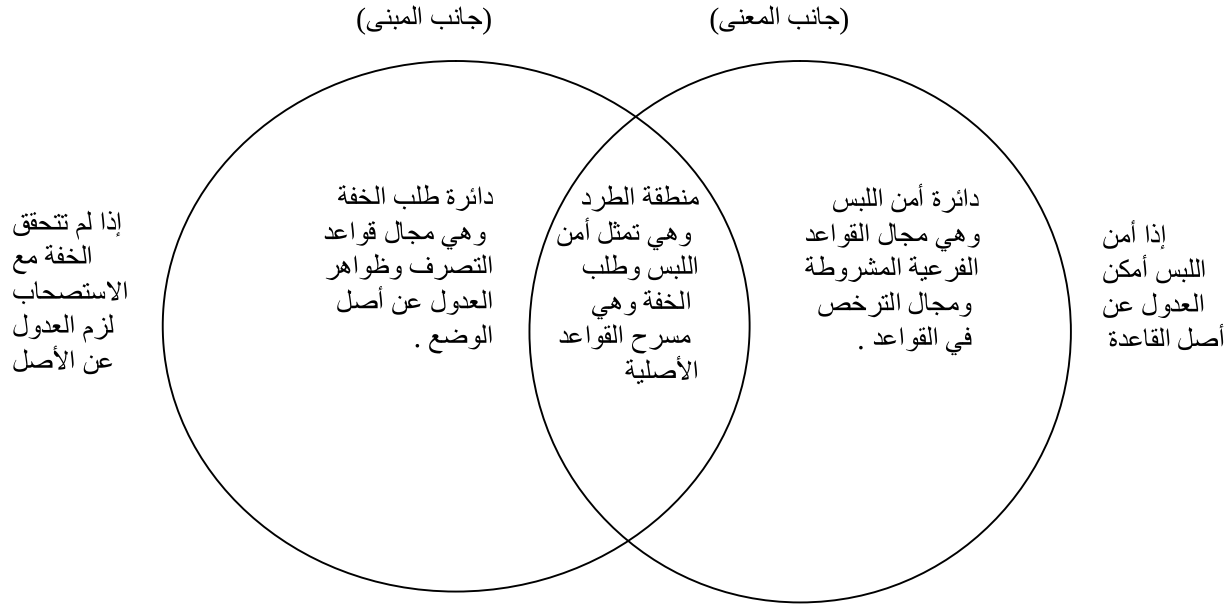
وقد مثل "تمام حسان" للانزياح من خلال الثوابت والمتغيرات الموجودة في اللغة برسم بياني بين من خلاله المناطق التي يحدث فيها العدول .

---

* كتاب البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب،القاهرة ،ط1، 1993، من الصفحة 345...

* * وقد تطرق "تمام حسان" إلى هذا في معرض كلامه عن الترخص في القرائن النحوية التي قيدها بقيود منها:
- أن تكون مرهونة بمحلها فلا يقاس عليها.
- أن تكون من الفصيح لا ممن جاء بعد عصر الفصاحة.
- أن يؤمن معها اللبس. ينظر:"تمام حسان" كتاب البيان ، ص: 346-347.

131 - المرجع نفسه ، ص: 347.



(132)

ومعنى هذا الشكل الإيضاحي انه إذا تحقق أمن اللبس أمكن العدول عن أصل القاعدة هذا من ناحية، والناحية الثانية التي يحدث فيها العدول هي في حالة عدم تحقق الخفة مع الاستصحاب.

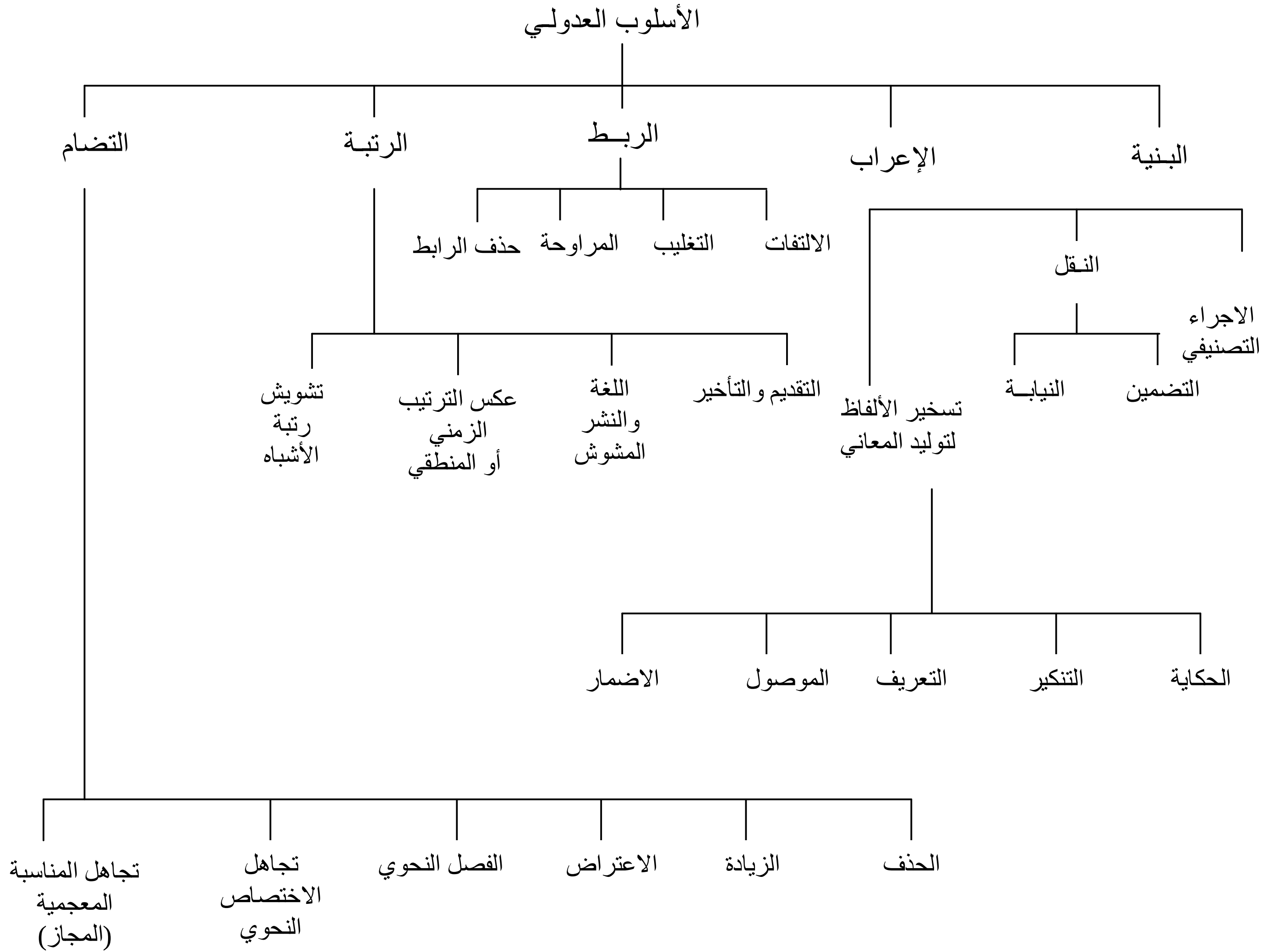
وإذا ما انتقلت إلى كتاب الأصول*فإنني لا محالة واجدة "تمام حسان" قد تطرق لفكرة الاستصحاب بشكل موسع حيث أفرد له دليلا كاملا تحدث فيه عن أصل الوضع (في الحرف والكلمة والجملة) وأصل القاعدة، والعدول عن الأصل والرد إلى الأصل... ومنه أجد نفسي أمام ثنائية الأصل والعدول - التي سبق وأن تطرقت إليها في حديثي عن الانزياح في التراث العربي - وما أريد الوقوف عليه هاهنا هو اعتبار "تمام حسان" أن أصل الوضع تجريد قام به النحاة ليصلوا بواسطته إلى الاقتصاد العلمي ، بتجنب الخوض في أوابد المفردات وتلك هي الغاية نفسها التي يرمي إلى أصل القاعدة... ويواصل " تمام حسان" حديثه عن الاقتصاد فيقول:« إن الاقتصاد في جهد المتكلم أدى إلى العدول ولكن الاقتصاد في جهد الكاتب أدى إلى الاستصحاب ، فإذا كان عمل المتكلم عدولا عن الأصل فإن عمل الكاتب ردما عدل به المتكلم إلى الأصل ليؤول به إلى الاستصحاب ».(133) .

وقد أورد "تمام حسان" القرائن وأمام كل قرينة طرق العدول الأسلوبي المطرد عن الاعتداد بها ، موضحا في ذلك مظاهر الانزياح وطرق ورودها .

وسأحاول رسمها في رسم بياني لغاية الاختصار .

---

132 ـ الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، مصر ، ط1، 2000 م، ص: 15 .
* تمام حسان : الأصول ، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، عالم الكتب القاهرة ، 2000م .
133 ــ تمام حسان : الأصول ، ص:127 .



"رسم بياني للأسلوب العدولي كما هو عند "تمام حسان""

من خلال هذا الرسم يمكن رصد الحالات التي يحدث فيها العدول ـــ الانزياح - مـــن عـــدول في البنيـــة ، الإعراب، الربط ، الرتبة ، والتضام والذي يكون فيها ذو سمة جمالية فنية ، تعدى فيها حدود المعاني الوظيفيـــة والتي كانت مصب اهتمام علم النحو إلى الدراسات الجمالية الذوقية والنفسية(والتي تهتم بها علم المعاني) .

4- ظاهرة الانزياح عند "محمد العمري":

يرى "محمد العمري" أن نظرية الانزياح باعتبارها إجراء لغويا تجد بعدا مهما في التراث البلاغي العربي في الحديث عن المجاز والعدول والتوسع ، وليست نظرية الانزياح في صياغتها اللسانية المتقدمة إلا محاولة لتفسير ما عبر عنه منذ ، القديم بالغرابة والعجب كما هو في كلام "الجاحظ"[134] يقول :« لأن الشيء في غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم ... و كلما كان أطرف كان أعجب »[135] .

بالإضافة إلى ربط محمد العمري الانزياح بالتراث اللغوي العربي ، فهو يشترط على الانزياح ليكون شعريا ينبغي أن يتتبع إمكانيات كثيرة لتأويل النص وتعدديته ، وهذه الفاعلية بارزة في تفاعل الدلالة والصوت... إن الانزياح عندنا - والقول للعمري - ليس مطلبا في ذاته ، بل هو سبيل لانفتاح النص وتعدديته ، وهذا لا يعني أن الانزياح مرادف للغموض ، فالغموض ليس إلا عرضا، وهو نسبي، نعني بالعرضية كونه من مظاهر الانزياح وليس مقوما شعريا في ذاته[136] ، من خلال هذا النص يتضح أن "محمد العمري" ينظر للانزياح على أنه سبيل لانفتاح النص وتعدده وليس مطلبا في حد ذاته ، كما أنه - الانزياح - لا يعني الغموض ، وإنما الغموض لا يعدوا أن يكون سوى عرضا ... ، ويقر الباحث بأن أكمل صياغة لسانية لنظرية الانزياح وأشهرها هي التي صاغها "جان كوهين" في كتابه "بنية اللغة الشعرية" - وقد ترجمه بمعية محمد الولي- ويتبنى رأيه المتعلق بالوظيفة التواصلية للشعر، وهذا ما عبر عنه "جاكبسون" بالهيمنة ، فالخطاب الشعري خطاب لغوي تواصلي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية دون أن تغيب الوظيفة التواصلية .

كما نجد "محمد العمري" أيضا في كتابه الموسوم"بالبلاغة العربية أصولها وامتداداتها" وذلك من خلال استنطاق التراث العربي عند اللغويين والبلاغيين والفلاسفة أمثال "سيبويه" "ابن جني"، "الجاحظ" ، "ابن سينا" ،"الفرابي" ، "الفراء"،"الجرجاني"...وربطهم بظاهرة الانزياح من خلال مصطلحات تحمل في طياتها بذور الظاهرة مثل الضرورة ، شجاعة العربية ، الاتساع ، الغرابة ، التغيير، المحاكاة ، المجاز ، العدول...

وما يمكن ملاحظته هو ربط"محمد العمري" الدراسات الأسلوبية المعاصرة أو الحديثة - وعلى وجه الخصوص ظاهرة الانزياح - بالدراسات التراثية العربية فهو هنا بصدد التأصيل للظاهرة في النقد الأسلوبي مع مد جسور التواصل بثقافة الآخر - بالدراسات الغربية - فهو يزاوج بين الأنا / التراث والآخر / الغرب مع إضافات في مجال التطبيق والممارسة على النصوص العربية وهذا شيء يحسب له لا عليه.

---

134 -تحليل الخطاب الشعري ، إستراتيجية التناص ، دار التنوير ، بيروت،لبنان ، ط1 ، 1985، ص:36- 40 أورده : نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب ج1 ، ص194.

135 ــ الجاحظ : البيان و التبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجدل بيروت ، ج1 / ص: 89 .

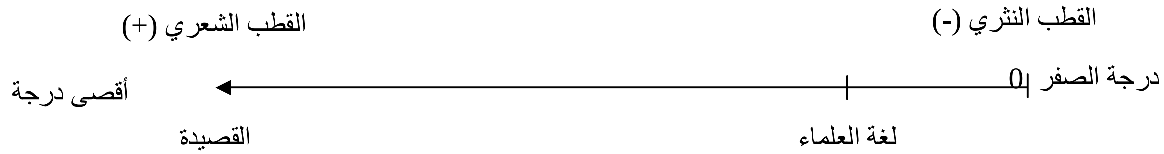
136 ــ تحليل الخطاب الشعري ، ص 43 ، أورده نور الدين السد ، المرجع السابق ، ج1 ، ص: 194 .

5- ظاهرة الانزياح عند "نزار التجديتي" :

ذهب نزار التجديتي كدأب معظم أشياعه من اللغويين والنقاد المحدثين إلى التطرق لفكرة الانزياح من خلال الدراسات الأسلوبية واللسانية الغربية و على وجه الخصوص عند "جون كوهين"[فيما يتعلق بالانزياح والشعر خاصة] ، وذلك في مقاله الموسوم بـــ : "نظرية الانزياح عند"جون كوهين" *

يسترسل"نزار التجديتي" في حديثه عن الانزياح عند "كوهين" ليصل إلى القول بوجود خاصية أو عنصر ثابت في لغة جميع الشعراء على الرغم من الاختلافات ، أي وجود طريقة واحدة للانزياح بالقياس إلى المعيار، وعلى هذا الأساس- والقول للتجديتي - « يمكن تعريف الشعر بأنه نوع من اللغة وتعريف الشعرية باعتبارها أسلوبية النوع ، إنما تطرح وجود لغة شعرية...تعتبرها واقعة أسلوبية لأن الشاعر لا يتحدث كما يتحدث الناس جميعا ، بل إن لغته شاذة وهذا الشذوذ هو الذي يكسبها أسلوبا»[137] ، ونجد الباحث يشخص الأسلوب بخط مستقيم يمثل طرفاه قطبين : القطب النثري الخالي من الانزياح ، والقطب الشعري الذي يصل فيه الانزياح إلى أقصى درجة ، ويتوزع بينهما مختلف أنماط اللغة المستعملة فعليا ، وتقع القصيدة قرب الطرف الأقصى ، كما تقع لغة العلماء بدون شك قرب القطب الآخر وليس الانزياح فيها منعدما ولكنه يدنو من الصفر" [138] .

وسأحاول التمثيل لهذا التصور برسم بياني لمزيد من التوضيح .



يمكن أن نستنتج أن مفهوم الانزياح قد تولد أساسا في حقل دراسة الشعر[139] وهذا ما يؤكد مدى تأثر الباحث "نزار التجديتي" بنظرية "جون كوهين".

يقوم الانزياح عند نزار التجديتي على ثنائية وهي :

---

* مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية ، العدد1 ، 1987 – المغرب .

137 ـــ نظرية الانزياح عند جون كوهين ، ص51- 53 ، أورده نور الدين السد ، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص189.

138 ـــ المرجع نفسه، ص53 / أورده نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص189.

139 ـــ حميدي لحمداني : بنيت النص السردي ، من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، المغرب ،ط3، 2000م ، ص119 .

1- بنية الرسالة.

2- وظيفة الرسالة.

وخصوصية الانزياح هذه تقتضي مرحلتين في دراسته وهما :

1- الوصف .

2- التفسير والتحليل(140) .

من خلال ما تقدم من البحث يتضح أن "نزار التجديتي" قد تأثر بنظرية الانزياح عند "جون كوهين" تأثرا كبيرا ويظهر ذلك جليا بتبني معظم آرائه - إن لم أقل كلها - وذلك باعتبار الشعر هو الحقل الأساس المنـــتج للانزياح وما الانزياح إلا فرع من نظرية كبرى هي نظرية الشعرية .

6- ظاهرة الانزياح "عند عبد الله صولة" :

تكمن ظاهرة الانزياح عند "عبد الله صولة" في بحثه المعنون بــ : " فكرة العدول في البحوث الأســـلوبية المعاصرة"(141) وفيه عرف بمصادر الأسلوبية باعتبارها منهجا في ممارسة الظـــاهرة اللغويـــة ، وقســـمها إلى اتجاهين :

1- الاتجاه الإنساني التكويني : ويبحث في علاقة الظاهرة اللغوية بمقاصد الفرد الأديب النفســـية انطلاقا من مقولة "بيفون" "الأسلوب هو الرجل" مع ربط هذا الرجل بالتحولات التاريخية والحضارية .

2- الاتجاه التعبيري : يعنى بتصنيف طاقات اللغة التعبيرية الكامنة وراء الظاهرة العاطفية لمستعملي اللغة وقد جعلت الأسلوبية بمختلف اتجاهاتها من مفهوم الانزياح عصب البحث الأسلوبي .

ويرى "عبد الله صولة" أن الانزياح في الشعر يعمق ظاهرة الخروج عن مألوف الكلام وهو يذب مذهب "جون كوهين" الذي يرى أن الشعر ليس نثرا يضاف إليه شيء آخر ، وإنما هو اللّانثر lanti-prose ، وتبدو هذه القطيعة مع النثر في المستويات : الصوتية ، والتركيبية ، والدلالية(142).

وعليه فالانزياح عند "عبد الله صولة" هو خروج الكلام عن النمط المألوف وهذا الخروج يكون في الشـــعر ويبدو جليا أن الباحث تأثر بمذهب "جون كوهين" الذي يرى أن الشعر هو انزياح .

كما أنه يشير إلى قضية الانزياح على مستوى البنية ومستوى الوظيفة ، وقد استعان الباحث بمراجع علمية تناولت ظاهرة الانزياح فجاء بحثه متمثلا مقولات الانزياح والخلفيات المعرفية التي أسست أبعاد النظريـــة ، وعليه فما يمكن ملاحظته هو تأثر الباحث المباشر بالأسلوبين الغربيين في تحديدهم لمفهوم الانزياح وخصائصه .

---

140 ــ نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص:190-191.

141- مجلة دراسات سأل : العدد 1، فاس المغرب، 1987م .

142- نور الدين السد :المرجع السابق، ج1 ، ص:192 .

وعلى رأسهم "ميثال ريفاتير" ويتضح ذلك جليا في حديثه عن النص باعتباره جهازا مغلقا لا يفضي إلى العالم الخارجي إلا من خلال خصائصه الأسلوبية مستندا إلى ظاهرة الانزياح والذي ينقسم هو نفسه إلى نوعين :

1- الانزياح عن اللغة العادية العامة : وذلك بأن يمثل الأسلوب تقابلا مع المستوى العادي للكلام ويعتبر خرقا له ، ويكون البحث في خصائص هذا الخرق للواقع الأصل بحثا عما يشكل أركان الحدث الفني في الأثر فما الانزياح سوى خروج عن النمط التعبيري المتواضع عليه ؛ فهو خرق للقواعد حينا ولجوء إلى مـــاعز وندر حينا آخر .

2- الانزياح عن لغة النص : التي تمثل السياق الذي يمكن حصر خصائص الأســلوب في نطاقــه ، فالانزياح في هذه الحالة يتحدد بالسياق الذي يرد فيه النمط العادي ، وهو نسيج الخطاب أو النص ، والخروج عنه هو مدار الأسلوب في ذلك الموطن[143] .

7- ظاهرة الانزياح عند "حاتم الصكر" :

سأحاول عرض ظاهرة الانزياح عند الناقد "حاتم الصكر" وذلك من خلال مقاله الموسوم بـــ : "الداخل الضيق والخارج المتسع" ، يقول في هذه الصلة المنعكسة بين الداخل والخارج ، والذات، والموضوع سوف تكون سببا في اقتراح ما يمكن تسميته بالشعرية المنحرفة أو المحرفة ، وهنا حيث لن نجد صلة منطقية ، سيكون للأشياء معان أخرى ، غير ما نتوقع عند قراءة معان تولّدها الدلالات بالدرجة الأولى[144] .

وباستنطاقي للنص يتضح أن "حاتم الصكر" يربط ظاهرة الانزياح بجملة من التقابلات المتناقضة - إن صح التعبير - وذلك بإيراده لجملة من الألفاظ المتضادة : الداخل / الخارج ، الذات / الموضوع ، وهذا ما يـــؤدي إلى خلق الشعرية المنحرفة حيث الصلة بين المعاني التي تعطيها الدلالات والمعاني نصل إليها من خلال القراءة ، صلة غير منطقية مما يولد المفاجأة ، والدهشة ، واللاّمنتظـــر واللاّمتوقـــع وهـــذا هـــو الانزيـــاح عنـــده .

8- ظاهرة الانزياح عند " عصام القيسي" :

لقد طرح "عصام القيسي" مفهوم الانزياح من خلال عرضه لكتاب جون كوهين – هو الآخر - بنية اللّغة الشعرية ؛ ويعتبر هذا الأخير من أهم ما كتب في النظرية الشعرية ، لأنه قدم إجابة واضحة عن السؤال الآتي : ما هو الشعر؟ ؛ والشعر عنده انزياح أي خروج أو عدول عن قانون اللغة المعترف به اجتماعيـــا إلا أن هـــذا الانزياح لا يمنح صفة الشعرية إلا إذا كان محكوما بقانون يجعله مختلفا عن غير المعقول .

143ــ عبد الله صولة : اللسانيات والأسلوبية ، ص:144- 145 ، أورده : نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ص:192 .

144 ــ حاتم الصكر: الداخل الضيق والخارج المتسع ، ص:01 .

chello…se/kut/makatat.htm.

ويضيف هنا - "عصام القيسي" - ويذهب معه "مروان الغفوري" إلى أن الانزياح مفهوم قد لا يقتصر على اللّغة ، وإنّما قد يمتد إلى ما ورائها ، كالطبيعة مثلا : وهنا يؤكد ضرورة السمة الجمالية للانزياح الشعري فإذا اتفقنا على أن الشعرية هي انزياح عن قانون اللغة ، فإن الشعرية الطبيعية (من الطبيعة) هي انزياح عن قانون الطبيعة ، ولا يكون هذا الانزياح شعريا إلا إذا توفرت له السمة الجمالية ويتضح ذلك من خلال المثالين التاليين :

ظاهرة قوس قزح ← خروج عن الأصل الطبيعي ← فهو انزياح ← لأنه حقق سمة جمالية .

ظاهرة الزلازل ← خروج عن الأصل الطبيعي وهو اللااستقرار ← لكنه يفتقر إلى السمة الجمالية التي نتجت عنها ← ومن ثم لا يكون انزياحا شعريا بهذا المعنى[145].

وعليه فالانزياح عند "القيسي" هو خروج عن قانون اللغة المعترف بها والمألوف ، شريطة أن يكون هذا الخروج ذو سمة جمالية في الانزياح بنوعين : "اللّغوي والطبيعي" ، وهو يربط فكرة الانزياح بالشعر ويعده هو الانزياح ذاته ويظهر لنا هنا مدى تأثره بنظرية "جون كوهين" ويعتبر كتابه "بنية اللغة الشعرية" أهم ما كتب في النظرية الشعرية حيث قام بإنجاز الخطوة التي عجزت البلاغة القديمة على إنجازها ، وهي أن الأشكال والصور البلاغية من استعارة ، وقافية ، وتقديم ، وتأخير ، تلتقي جميعها في اللحظة الأولى عند خرق قانون اللغة وهو ما يسمى "بالانزياح" .

جماع الأمر بعد هذه الوقفة التي كانت لهذا الجزء من البحث حول ظاهرة الانزياح أو نظرية الانزياح - كما يفضل البعض اعتبارها - في الخطاب النقدي العربي الحديث تستقطب اهتمام الكثير من الباحثين منهم من قصصتهم عليكم ، ومنهم من لم أقصصهم أمثال : شكري محمد عياد ، أحمد الشايب ، محمد عزام ، محمد عبد المطلب ، موريس أبو ناظر ، حسن ناظم...

وما رصدت من مشروع هؤلاء في طرحهم الفكري لظاهرة الانزياح أنهم أصلوا لها وذلك من خلال استنطاق الدراسات التراثية والبحث عن ملامح للظاهر في ثنايا الموروث اللغوي ، والبلاغي ، والفلسفي ، وبالفعل قد وجدوا مصطلحات تدور في فلكها ، أمثال : الضرورة ، المجاز ، الشجاعة ، الاتساع التغيير....

ولكنها لا تتطابق تطابقا مطلقا مع المصطلح الحديث بأبعاده وأسسه وربما كانت ملمحا من ملامحه ، - أو جزءا من أجزائه - كما أنهم اطلعوا على الدراسات الغربية وتأثروا بها ، كما سبق وأن أشرت وخاصة فيما يتعلق بنظرية "جون كوهين" في الانزياح - وهنا تأتي البرهنة على الفرضية التي انطلقت منها في التمهيد

---

145. - عصام القيسي : في شعرية اللغة ، ملتقى الأدب العربي ، رابطة نون ، 2005 م

http/ / w w w. aladab . net / u b / archive / index < php / t 438 html

فاستفادوا وأفادوا ، ذلك أنهم درسوا الظاهرة على مستوى التنظير والتطبيق وبذلك شكلوا خلفيات وأســـس ينطلق منها الدارس المعاصر .

II - المرجعية الغربية لظاهرة الانزياح :

أولا : مفهوم الانزياح عند اليونان :

منذ القرن السادس قبل الميلاد عرف الأدب اليوناني التفرقة بين الأجناس الشعرية و الأجناس النثرية ، تحت كل فرع من هذين الفرعين تتفرع أقسام كثيرة ، مثل : الشعر الغنائي ، و الشعر الملحمي ، و المأساة ، و الملهاة ، والخطابة القضائية ، و الخطابة السياسية ... و تضل هذه الأجناس تتفرع وتضيق حسب الظروف التاريخية و الثقافية[146] و الحديث عن هذه الفنون يحيل بدوره إلى الحديث عن أول من اهتم بالمتلقي الأدبي و هم السفسطائيون الذين احترفوا فن القول في العهد اليوناني القديم ، و قد اهتموا اهتماما خاصا بتعليم فـــن الإقناع بشكل خاص ، ومن هذا المنطلق ركزوا كل اهتمامهم حول بلاغة الكلام ، بوصفهم للكلمة أنها تملك من القوة ما يجعلها تقوم بأدوار عديدة إذا أحسن اختيارها من بين الاختيارات العديد ة الممكنة ؛ حيث يرون بأن كل ملفوظ هو احتمال ، و أن الملفوظ في الوقت نفسه لابد أن ينطوي على بنيات تحقق الإقناع التام . و ما يذهب في هذا المنحى هو تركيز "جورجياس" Gorgias Liontini (عاش في القرن 5ق م). على المتلقي عندما يتحدث عن الشعر و الشعراء فيقول : « لا يجب أن يهتموا بتصوير الحقيقة بقـــدر اهتمـــامهم بإدخال البهجة على نفوس السامعين »[147] معنى ذلك أنه لا يهتم بالحقيقة بل المهم عنده هـــو إدخـــال البهجة على نفوس السامعين و إن كان ذلك كذبا ، ومن هنا نجد أنفسنا أمام ثنائية الحقيقة / الكـــذب ـــ الحقيقة و المجاز ـــ أو الحقيقة و الضن ـــ و الكذب ما هو إلا انزياح عن الحقيقة ومن ثم يمكن القول أن الانزياح موجود عندهم و هو وسيلة لأجل غاية و هي المتلقي ؛حيث تجعله يعيش حالة من النشوة و البهجة و الرضا و هو ما يدخل منذ ذلك الوقت في جمالية التلقي كما يصطلح عليها كل من "ياوس" و"إيزر".

1- البعد الشعري و الفلسفي عند أفلاطون و علاقته بالانزياح :

الصراع بين الشعر و الفلسفة صراع قديم ، فالباحث المتأمل يمكن أن يجد ذلك الصـــراع في الحضـــارة اليونانية : فأفلاطون في جمهوريته الفاضلة - في الفصل العاشر - تحدث عن الصراع الذي دار بـــين فلســـفته المثالية التي أرادها لجمهوريته و بين الشعر و الشعراء الذين طردهم منها - من جمهوريته - ، و قد كانـــت المعركة بين البعد الشعري وبين البعد الفلسفي معركة مهمة ذلك لأن الشعر كان له مكانة مرموقة في المجتمع اليوناني وقت ذاك ، و على الرغم من تأثر "أفلاطون" بالشاعر "هوميروس" ، إلا أن هذا لم يمنعه مـــن قـــول

---

146 ـ أحمد درويش: النص البلاغي في التراث العربي و الأوروبي، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، ط1، ص: 173.

147 ــ إيناس عياط : استراتيجية التلقي في الفكر النقدي المعاصر ، ص: 02 .

الحقيقة - حسب رأيه - بعيدا عن العاطفة و الأحاسيس و هذا ما يؤكده حين قال : « يجب علي أن أقول الحقيقة بالرغم من هذا الحب الذي أكنه للشاعر "هوميروس" ذلك الحب الذي ربيت عليه منذ الطفولة ، و الذي يمنعني من الكلام ، و على الرغم من أن "هوميروس" هو شاعر الشعراء النبلاء التراجيديين ، يجب علي ألا أكرم الرجل أكثر من إكرامي للحقيقة إنه ينبغي علي أن أقول الحقيقة فقط »(148) .

من خلال ما تقدم يتضح أن أفلاطون رفض الشعر و الشعراء و أكرم الحقيقة فقط. و ذلك لأسباب ثلاثة:

1 ــ **السبب الأخلاقي:** اعتبر الشعر اليوناني نوع من الرياء و الكذب تجاه الآلهة و الناس معا.

2 ــ **السبب النفسي:** العملية الشعرية في نظر أفلاطون نوع من العاطفة الجارفة و الجامعة التي تفقد المرء السيطرة على نفسه و على عقله.

3ــ **السبب الماورائي** :(الميتافيزيقي): لقد عنى أفلاطون بهذا الوصف أن الشعر غير واقعي لا يمت إلى الواقع الحقيقي للإنسان بصلة ، وقد أراد أفلاطون لجمهوريته ملكا فيلسوفا عادلا يسعى وراء الحقيقة وحدها مبتعدا عن العاطفة التي يمكن أن تتولد من العملية الشعرية التي هي مدح وتفريط وكذب ورياء وتقليد(149) .

وأجد هذا الموقف شبيه نوعا ما بموقف بعض العلماء العرب القدماء في رفضهم للمجاز باعتباره كذبا والأصل في اللغة هي الحقيقة ، كما أن رفض الإسلام للشعر والشعراء في عصر صدر الإسلام تستدعي وقفة تأملية لتبيان التقاطع و الاختلاف ؛ حيث إن رفض الفلسفة العربية الإسلامية للشعر والشعراء في صدر الإسلام من خلال قوله تعالى :(**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ . إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ** .) (150) ، إنما هو رفض للوظيفة اللغوية والفنية و الاجتماعية للشعر الجاهلي والتي يمكنها أن تؤدي إلى تشتيت أفراد "الأمة" ولو لم يكن الأمر كذلك لن نجد القرآن الكريم نفسه قد تحدى الشعراء تحديا فنيا ولغويا وحضاريا بينما كان أفلاطون يهدف من وراء رفضه للشعر والشعراء إلى تحويل الشعر ليكون فلسفة خالصة تسعى وراء الحقيقة وحدها(151) والحديث عن الشعر والفلسفة يقودني إلى الحديث عن الشعر والشعراء عند

---

148 - I must be uttered, janswered, though a certain lve and reverence for horner: which i have from my child lived would forbid my speaking for sevrely of allthose nuble tragic poet , he is the master and theleader still. I must not honour aman more than . I hnour truth but utter what I have to say"

ينظر : مازن الوعر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،ط1 1980، ص:584، نقلا عن: .plato supra, p292

149 ــ المرجع نفسه ، ص:584 .

150 - الشعراء: 224-227 .

151 ــ مازن الوعر: المرجع السابق ، ص : 588- 589 .

الفيلسوف"أبي العلاء المعري"في"رسالة الغفران" وعن "أفلاطون" في جمهوريته، وفي هذا المقـــام يعقـــد "مـــازن الوعر" مقارنة بينهما ، ويرى في ذلك أن طبيعة الصراع تختلف في الحضارة اليونانية عنـــها في الحضارة العربية على الرغم من أن الموضوع واحد هو الشعر والفلســـفة ، ويخلـــص إلى القـــول : « إن الفلسفة العربية الإسلامية لم ترفض الشعر والشعراء رفضا إيديولوجيا بحتا بحيث تستبعدهم وتطردهم من "الأمة" - كما فعل أفلاطون - فقد أدركت أن الفن جزء لا يتجزأ من الـــنفس الإنســـانية الحساســـة والمتأملة... وبالتالي فهي لم تقصهم من الأمة عكس "أفلاطون" »(152).

وفي الأخير ــ يمكن القول - أن أفلاطون حينما أقصى الشعر والشعراء من جمهوريته ، دليل على رفضه للشعر وتمجيده للحقيقة ؛ واستنادا إلى ما سبق فإن "أفلاطون" كان قد وصف الشعر بالرياء والكذب والتفريط والخروج عن الواقع ، ولما كان الأمر كذلك ينتج لدينا الزوج المفهومي الحقيقة/في مقابل الكذب(المجاز) أو الانزياح من هذه الزاوية وبما أنه قد أقصى الشعر معنى ذلك أنه نفي وجود المجاز / الكذب - على الأقـــل في النص الشعري - أو على الأقل إن لم أقل نفى أقول لم يهتم / أهمل المستوى الأدبي الذي يحدث فيه الانزياح وبالتالي فهو استبعاد للانزياح ، وربما يعود السبب في ذلك إلى الظروف الدينية والتاريخية من انهزام أثينا والرغبة في النهوض بالمجتمع مرة أخرى .

2- **مفهوم الانزياح عند "أرسطو"**:

لو جيء إلى الطرح الأرسطي يكون ذلك من خلال الترجمات والشروح التي قدمت وخاصة منها ما يتعلق بالفلاسفة المسلمين أمثال : "ابن سينا" ، "ابن رشد" ، و "الفرابي" والوقوف على الترجمة ليس كالوقوف على النص الأصلي ؛ ذلك أن الترجمات والشروح لا تعدو أن تكون تأويلات تحتمل الزيادة والنقصـــان والمنحـــى نفسه سلكه "تودوروف" حينما قال : « لن نبالغ إذا ما قلنا بأن تاريخ الشعرية يلتقي في خطوطه الكبيرة مع تاريخ فن الشعر (لأرسطو) ، وعليه فإن كل ما يرى ضرورة الاتصال بهذا النص المؤسس للنظرية الأدبية في أوروبا (و أنا منهم) ، ثم لا يستطيع قراءته في اللغة التي كتب بها ، يكون قد خبر شعور الغبن الذي تحدثـــه قراءة ترجمة من ترجماته ،... فيمكن إذن أن نقرأ هذا التأويل "لأرسطو" أو ذاك... ولكننا لا نقرأ أبدا نـــص أرسطو نفسه »(153).

من المصطلحات التي وردت في كتب الفلاسفة أثناء كلامهم عن "أرسطو" هي التغيير، المحاكاة ، التخييل ... وكلها مصطلحات لها صلات بمصطلح الانزياح ؛ فقد ورد لفظ "التغيير" في ترجمة فن الشـــعر كمقابـــل لأحد النعوت دالا بوجه عام على المعنى الذي أراده "أرسطو" ، وبناء على فهم "ابن سينا" مـــن التغـــيير في

---

152 - مازن الوعر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث : ص590 .

2 ــ محمد العمري : البلاغة العربية أصولها و امتداداتها ، ص226 نقلا عن :

T.Todorov,prefae de la poetique d'aristote.Teaduction de 1980, p5.

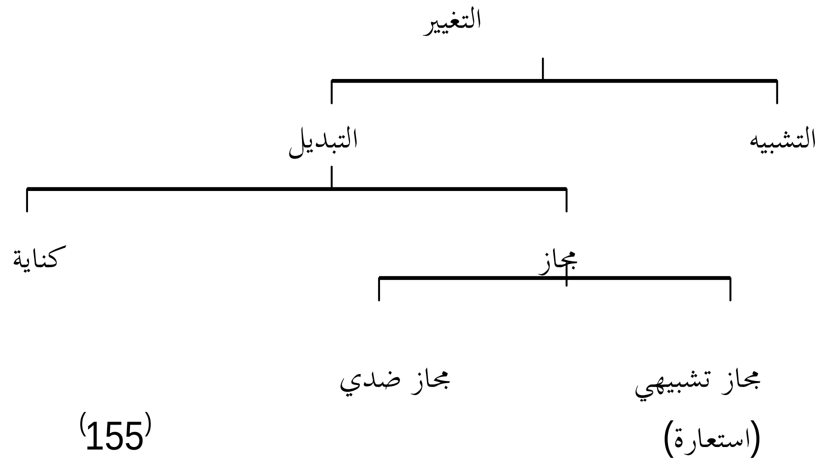
كتاب الخطابة وجه التغيير في فن الشعر وجهة دلالية : "المتغير هو المستعار والمشبه"[154] ، وقد استعمل هذا الأخير - ابن سينا - لفظ التغيير والمتغير في تلخيصه للخطابة كمفهوم عام تندرج تحته عـــدة صـــور مـــن الإجراءات الدلالية القائمة على الإلحاق (التشبيه والتمثيل) و الإبدال (الاستعارة ، الكناية ، والمجاز عامة) .

وما يستخلص من هذا الاستعمال بصفة عامة هو:

1- التغيير ليس جذعا عاما تتفرع عنه جميع مكونات الأسلوب ، بل توجد إلى جانبه المقابلات الدلاليـــة وصور من صور الكناية القائمة على وصف الأفعال وصولا إلى التعرف على الشيء واستحضاره ، و الكنايـــة هي نفسها من الاسم حسب الأمثلة وما فهمه الشراح .

2- التغيير يقابل الوضع ، أي أنه انزياح عن مواضعة قائمة على المطابقة بين الدال والمدلول .

3- يتسع التغيير للصور الدلالية التالية: التشبيه، التبديل(وفيه المجاز والكناية) ويمكن التمثيل له – التغيير- بخطاطة .



[155]

ما يمكن ملاحظته واستنتاجه هو أن التغيير فعل يؤدي بالكلام العادي المألوف إلى أن يخرج عن مخرج العادة ، وفي هذا السياق ما قاله ابن سينا :«أن القول يرشق بالتغيير، و التغيير هو أن لا يستعمل كما يوجبه المعنى فقط ، بل أن يستعير ويبدل ويشبه »[156] ولعله قد بدا واضحا الآن أن مؤدى التغيير عند "أرسطو" لا يختل كثيرعن مؤدى الانزياح أو الانحراف .

وكثيرا ما ورد مصطلح التغيير جنبا إلى جنب مع مصطلح المحاكاة ولا شك أن "أرسطو" هو نفسه الـــذي سهل هذا الانتقال من المحاكاة إلى التغيير ؛ حيث قارنة بينهما بالوظيفة والأثر : اللذة كما هو صريح في قوله

---

154 ــ ابن سينا: فن الشعر، ضمن فن الشعر لأرسطو، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت،(د ت)، ص :192.

155 - محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وإمتداداتها ،ص: 260- 261 .

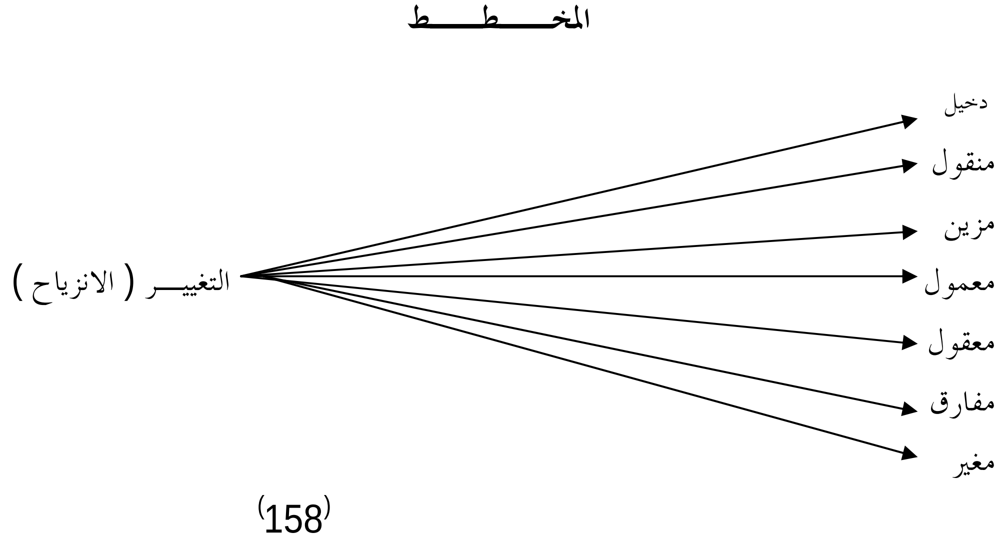
156 ــ أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث البلاغي ، ص:40 ، نقلا عن : الخطابة من كتاب الشفاء .

: « والتغيير أيضا لذيذ لأن التغيير أمر طبيعي ، وذلك أن استمرار الشيء نفسه [ورد نفس الشيء] يخلــق إفراطا في الحالة العادية ، ومن هنا قيل : « التغييرات في كل الأمور لذيذة ». (157) فالتغيرات تلتحق أيضــا بالمحاكاة من حيث تخرج من العادي فتعطي معرفة جديدة ومفاجئة وهنا تحدث اللذة. واللذة الحقيقية عنده لا تكمن في المنظر المسرحي ولا في المأساة في حد ذاتها إنما اللذة الحقيقية تكمن في الرحمة والخـــوف؛ والرحمـــة والخوف لا يصدران إلا عن طريق تأليف الأحداث كما يقول.

وقد أورد "ابن رشد"سبعة أسماء مقابل التغيير وهي كما يقول "أرسطو" :« وكل اسم فهو إما حقيقـــي ، وإما دخيل في اللسان ، وإما منقول نادر الاستعمال وإما مزين، وإما معمول ، وإما معقول وإما مفارق ، وإما مغير» .

ويمكن تمثيلها بخطاطة :

المخـــــطـــــط



(158)

وما يلاحظ هنا أن هذه المصطلحات تصب في مفهوم الانزياح ، أما ما يجب الإشارة إليه فهو إلحـــاح "ابن رشد" - *في أعقاب إشارات "أرسطو" واستجابته للطبيعة الخطابية للنص القديم - على ضرورة التفاعل

157 - محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها ، ص: 262 نقلا عن فن الخطابة .

158 - المرجع نفسه ، ص: 263 .

* ليشيرإلى مفهوم التغيير، اهتم ابن رشد بنعت الأصل المغيّر أو المنزاح عنه والمعيار وهكذا نجد منظومتين من الألفاظ الدالة على المعنيين .

بين المعيار و الانزياح أو بين المغير والمستولي حتى لا يخرج الكلام إلى أحد الطرفين المتباعـــدين : المعمـــى أو المبتذل .

وعلى أساس ما تقدم يتضح لي أن "أرسطو" فرق بين مستويين للغة، اللغة

العادية واللغة الأدبية ، كما انه تحدث عن المعيار وبالتالي تحدث عن الانزياح وهذا الانزياح مرهون بمبـــدأ لا إفراط ولا تفريط - بمعنى أن لا يخرج الشاعر في كلامه إلى حد الرمز ولا ينزل بالمستوى فيخرج عن طريقـــة الشعر إلى الكلام المتعارف / العادي - وهذا الخروج بطبيعة الحال يحدث تغييرا في نفس المتلقي وهنا تظهـــر اللفظة التي تمثل الوجه الآخر لعملية الانزياح وهي الغرابة ، والغرابة تستطيع العجب أو التعجب والتعجـــب يحدث الدهشة والمفاجأة وهي أهم ما في الانزياح ، وهذا الخروج هو القيمة في ذاته وما كان قيمة في ذاته فهو القيمة .

ثانيا : مفهوم الانزياح في البلاغة الكلاسيكية :

لم يكن حقل الدراسات البلاغية عند الأوروبيين هو حقل الجمل والتعبيرات الجزئية - كما كان الشأن في كثير من بحوث البلاغة العربية - ولكن كان الاهتمام يوجّه أيضا إلى العمل في جنسه* الأدبي الذي ينتمي إليه وفي تناسق أجزاء القول بعضها مع البعض الآخر ، حتى يتعاون في إحداث التأثير الذي ينشده مبدع العمـــل الأدبي ، ومن هنا فقد استخلص من التراث البلاغي القديم قواعد "الإقناع" التي ترتكز على قواعد رئيسية من أهمها : الابتكار ، والترتيب ، والأسلوب ، والحدث...

لكن هذه العناصر العامة للإقناع ترجع في معظمها إلى ما يمكن أن يسمّى بالمنطق ، ... ومن هنا عرفت البلاغة الأوروبية الوسيطة تقسيمات أخرى للإنتاج القولي من بين هذه التقسيمات : التقسيم الذي يعتمد على دعائم ثلاثة :

1- الأجناس ، 2- الأساليب ، 3- الصور ، وهذا التقسيم العام للأجناس الأدبية الذي أخذت به البلاغة الأوروبية الوسيطة اعتمدت فيه على البلاغةالقديمة ظل بدوره يمثل الهيكل العام للإنتاج(159).

المعيار	الانزياح
المبتذل	الغريب
الحقيقي	المغيّر
المستوليّ	اللّغوي
الأهليّ	المختلف
	المنقول

أورده العمري : المرجع نفسه ، ص: : 268 .

* وترتبط الأجناس الأدبية بدورها بالأساليب، كل أسلوب وما يتناسب مع كل جنس، وكان القدماء قد استقروا على وجود ثلاثة ألوان من الأساليب هي: الأسلوب البسيط، الأسلوب المتوسط، الأسلوب السامي، ينظر:
أحمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي والأوروبي ، ص: 174.

159 ــ بيرجيرو : الأسلوب والأسلوبية : ترجمة منذر عياشي ، ص: 13 .

لقد طرح البلاغيون - من وجهات نظر مختلفة - معايير عديدة للتفرقة بين الكلام البسيط والشائع أو الطبيعي ، وبين الكلام المجازي (figuré) وذلك في مستوى اللفظ فقط ؛ إذ أن بحوثهم تنصب على المجازات والصور وقد أجمل "تودوروف" هذه المعايير في أربع ثنائيات :

1- منطقي/ لا منطقي.

2- شائع / قليل الشيوع.

3- القابلية للوصف / عدم القابلية للوصف .

4- حيادي / قيمي .

المعيار الأول: منطقي / لا منطقي:

يعتبر الكلام الطبيعي منطقي ، أمّا الكلام المجازي فهو انزياح نحو اللامنطقية مثل وصف الشيء بتفاصيل كثيرة وأفكار فرعية مستوحاة من منبع واحد وهذا ما يمكن تسميته بالإطناب - في البلاغة العربية - وقد قابله البلاغيون الغربيون بالمنطق ، معنى ذلك أن الإطناب هو اللامنطقي ، وبالتالي هو انزياح عن الكلام العادي في مقابل ذلك نجد للغرب صورة أخرى للانزياح وهي الحذف - وهي غير الإيجاز عند العرب – وعدّوا الجملة التي ينقصها عنصر ليست منطقية ، ويتضح ذلك جليا في هذا المثال المترجم حرفيا

— ماذا تريدون أن يفعل ضد ثلاثة ؟

— أن يموت .

هذا الجواب في نظرهم غير منطقي ذلك أن التركيب الأساسي هو :

ما نريده هو: "أن يموت".

هكذا وبناءا على ما تقدم يتضح أن البلاغيين الغربيين اعتبروا كل حذف أو زيادة ؛ إنما هو غير منطقي وبالتالي فهو انزياح نحو اللامنطقية ، ومن ثم وقعوا حبيسي المعيارية ورهينة للمنطق وعجزوا عن مسايرة عبقرية اللغة[160]

حتى أن "دومارشيه" "du marsais" يقول :« لا يجب الاعتقاد بأنه يسمح بأخذ كلمة مكان أخرى سواء من خلال الكناية أو المجاز - يجب مرة أخرى - أن تكون العبارات المجازية (figurée) قد أجازها الاستعمال... كل جزء لا يؤخذ على أنه كل، وكل اسم جنس لا يؤخذ على أنه نوع معين، ولا اسم نوع على أنه جنس، إنه الاستعمال وحده الذي يعطي برغبته هذا الامتياز لكلمة دون أخرى »[161].

---

160 ــ جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور ، ص:16-17 .

161 ــ جمال حضري: ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور ،ص17: نقلا عن :
Tzvetan todorov.Litterature et signification p101.

المعيار الثاني : شائع / قليل الشيوع:

هذا المعيار يجعل من الكلام البسيط غير متضمن للصور النادرة ، فعباراته شائعة ومشتركة ومألوفة [هذا ما يمكن تسميته بالمستوى العادي للكلام أو المستوى البسيط ، أو اللغة اليومية ... إلى غير ذلك من التعـــابير الدالة على المستوى العادي للكلام] بينما يقابله الكلام المجازي حيث الصور النادرة البعيدة.بمعنى أن المستوى العالي أو المجازي هو الذي تتوفر فيه الصور البلاغية النادرة والبعيدة التي لا تدرك بمجرد القراءة وإنما تستوجب التأمل والتأويل ، ويقول "فونتانييه" "fontanier" في ذلك : « نستطيع الإثبات بألف مثال بـــأن الصـــور الأكثر جرأة ...تكف عن أن تكون منظورا إليها كصور حينما تصبح مشتركة معتادة » (162) إلا أن هـــذا الموقف تعرض للنقد الشديد من طرف "دومارشيه" حيث إنه لا يعتبر الشيوع والندرة معيارا صلبا إذ لـــيس التعابير النادرة كلها صور كما أن الصور ليست دائما نادرة . حتى أن الكلام دون صور هو النـــادر بينمـــا الكلام العادي هو الحامل للصور عادة ولذلك عدل "فونتانييه" عن هذا المعيار إلى آخر يعتد بالكثرة النســـبية وهو وجود عبارات ذات صور أقل شيوعا من عبارات لها نفس المعنى فالكلام المجازي يفارق الكلام الطبيعـــي من خلال عبارات أقل شيوعا من عبارات لها نفس معناها في الكلام الطبيعي(163)ويمكن الإحالة هنا إلى كثرة الاستعمال والشيوع في الدراسات المعاصرة التي تؤدي إلى فكرة "التشبع" .

المعيار الثالث : القابلية للوصف / عدم القابلية للوصف :

الخطاب الذي يعرض أفكاره من غير صور هو خطاب غير مرئي وشفاف وغير موجود وبالتـــالي يصـــبح مستحيل الوصف وهو مستوى الكلام العادي والمشترك بينما الخطاب المجازي هو خطاب يعرض أفكـــارا في صور مخصوصة كرسوم فوق تلك الثقافة مما يجعل هذا الخطاب مرئيا ، موجودا ، وبالتالي قابلا للوصف ومن ثم يمكن القول إن وجود الصور يعادل وجود الخطاب .

المعيار الرابع : الحيادي / القيمي :

جُعل هذا المعيار للتمييز بين الكلام المجازي والكلام الطبيعي ، ويجب التفرقة هاهنا بين ما هو واصف وحيادي وما هو محدد ، وعلى هذا الأساس تكون الصورة محددة غير حيادية ، وتأتي بامتيازات وبخواص إيجابية للخطاب كتجسيد للمجرد ، وتحقيقا للتناغم بين التعبير والفكر ، وهذا الاشتراط هو ما دفع البلاغيين ، إلى التمييز بين استعمال يشوه الخطاب وآخر يحسّنه فيما أطلقوا عليه الصورة والخطأ مع أن كليهما يمثل الوجه المقابل للتعبير الصحيح والمعياري ، فالصورة - على هذا الأساس - خرق لقاعدة.بمعنى أنه انزياح وبحال هذا الخرق هو بين اللانحوية واللامقبول في لغة ما(164)، معنى ذلك أن للانزياح صورتان : صورة إيجابية وفيها

---

162 ــ المرجع نفسه ، ص: 17 نقلا عن :

T. todorov.Litterature et signification p101

163 ــ المرجع نفسه ، ص: 18.

164 ــ جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور، ص:18-19 .

يحدث الخرق أو الخروج عن المعيار والقاعدة والتمرّد وعلى الخطاب الأبوي الذي يمثل اللغة القواعدية في أبرز تجلياتها - اللانحوية - لكن بغرض تحقيق صورة جمالية ، وصورة سلبية متمثلة في خرق اللامقبول في لغة ما الذي لا يؤدي إلى وظيفة جمالية ولا يعطي صورة لهذا الخطاب ، ويوجد في التراث البلاغي العربي- نوع من هذا الطرح الفكري ، وذلك من خلال كتاب "سيبويه" في باب الاستقامة والإحالة ، وفيه يتحدث عن أنواع الكلام*.- كما سبق وأن أشرت - ليصل إلى القول : « وما هو محال وكذب وضرب مثال لذلك بقوله: « سوف أشرب ماء البحر أمس »(165) وهنا خرق للقاعدة النحوية بالإضافة إلى ذلك فهو كذب بمعنى أنه غير مقبول وغير معقول وبالتالي فهذه الصورة الانزياحية لم تحقق صورة جمالية وفي هذا السياق ما ذكره "تودوروف" عن "فونتانيه" ، عبقرية اللغة تسمح أحيانا بالانزياح عن الاستعمال العادي أو بتغيير أفضل تسمح وتقر استعمالا ليس هو الاستعمال المشترك والمعتاد ، وإن لم تجز أبدا فوضى حقيقية ، تستطيع على الأقل إجازة نوع من التغيير في الانتظام ، انتظام أو تسوية جديدة وجد خاصة »(166) .

وفرّق من خلاله بين ما يسمى جملا أو عبارات أو أطوارا (périodes) وما يسمى صـــورا (figures) ومن ثم فرق بين مستويين للكلام ، المستوى العادي الذي يكون فيه الخطاب شفافا والمستوى الأدبي الـــذي يكون فيه صور مخصوصة كرسوم وبالتالي تجعله مرئيا ومن ثم يكون قابل للوصف .

رغم أن هذه النظرة تبرز الصور مثل لباس مضاف إلى الخطاب وزينة فوقية فإن الشعرية الحديثة أفادت من هـــذا التصـــور كـــثيرا في تحديـــدها للخطـــاب الأدبي مـــن خـــلال ثنائيـــة "الثخونـــة"* lopacité / والشفافية la transparence ، فقد ذهبت المدرسة "الإنشائية"على لسان أحد أعلامها. ز "تودوروف" إلى أن وعي الإنسان باللغة يدور على قطبين : المقال الشفاف (discours transparent) والمقال الـــثخن أو الحاجز(discours opaque) . أما الأول فإنه يسلمنا إلى المعنى ويختفي هو ذاته عن الإدراك ، والثاني لكثرة ما رقش على جسده من صور وأشكال لا نلمح شيئا وراءه ، وتماشيا مع نظريتهم في الأدب قالوا إنه لا يحيل إلا على نفسه ولا يرجع إلى حقيقة خارجية .

---

* الكتاب :ج1، ص: 24- 25 .

165 ـالمرجع نفسه :ص 26

166 ـجمال حضري : المرجع السابق، ص: 19 نقلا عن :

Tzve . todorove M litterature et signification p 104

* يدل اللفظ الفرنسي على صفة الشيء غير الشفاف ، واستعمل مجازا لتعريف الخطاب الأدبي باعتباره يستوقفه قارئه أو سامعه بمجرد صياغته ، ولفظ الثخونة يدل أصلا على الغلظة والصلابة واستعمله الفلاسفة مع لفظ الكثافة للدلالة على خاصية الأبخرة والسوائل عندما تعوق الأشعة عند اختراقها وذلك في معرض حديثهم عن المادة والهيولي . ينظر عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص: 143 .

وأطرف ما نتج عن هذا التصور ، في رأينا - والقول لحمادي صمود - وقوفهم على وظيفة مـــن وظـــائف البلاغة لم ينتبه من جاء قبلهم إليها وهي : "خلق الوعي بوجود الكلام "[167] يقول "تودوروف" : [168]

" On voit surgir ici une nouvelle fonction de la rhétorique, c'est de nous faire prendre conscience de l'existence du discours. Le langage qui ne sert qu'à transmettre autre chose n'existe pas car ils s'oblitère dans la communication"

وفي الختام يمكن القول : بأن "فونتانيه" يقر بوجود الانزياح في اللغة وهو - كما يـــراه - خـــروج عـــن الاستعمال العادي المألوف الذي تسمح به عبقرية اللغة في مقابل ذلك فإنها – اللغة - لا تســـمح بإحـــداث فوضى في الاستعمال .بمعنى التحرك أو التصرف وفق حدود معروفة ولا يجوز تخطي الخطوط الحمراء. [169]

وعلى أساس ما تقدم يمكن القول بأن البلاغة الكلاسيكية الغربية ميّزت بين المعنى الحقيقي المنبعـــث مـــن اللفظ المعتاد والضروري والإجباري وبين المعنى المجازي الذي تحققه الصور التي تبتعد عن الطريقـــة البســـيطة العادية والمشتركة للكلام ، فالمعنيان الحقيقي / والمجازي متقابلان ويعكسان مقابلة بين مستوى بسيط للكلام - يبتعد عنه باستمرار - ومستوى عالي يبتعد عنه باستمرار .

ثالثا : مفهوم الانزياح في الدراسات الغربية الحديثة :

ليس من السهل تصنيف جهد متواصل وإنتاج غزير بدأ مع مطلع القرن الماضـــي ، ولا ســـيما والأمـــور متداخلة والمسائل آخذ بعضها برقاب بعض ، فيها الأدب وفيها اللغة وهي تسعى إلى أن تستقل عن هذا وذاك ، إذا كان ذلك كذلك ، فلا غرابة إن استعملت أكثر من طريقة للتصنيف ولا غرابة إن كان في كل مقترح نقص وعليه مأخذ ذلك أن ظاهرة الانزياح مرتبطة كل الارتباط بالأسلوب وتختلف درجة هذا الارتباط مـــن دارس لآخر ، فمنهم من يعتبر الأسلوب هو الانزياح نفسه ومنهم من يعده ظاهرة مهيمنة - إن صح التعبير - في الأسلوب..، وسأحاول تناول مفهوم الانزياح عند عدد من الدارسين الغربيين المحدثين ، مع الإشـــارة إلى الاتجاهات الأسلوبية التي ينتمون إليها.

---

167 حمادي صمود: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، 1981م، ص:167.

168 ــ المرجع نفسه : ص: 167 نقلا عن :

Littérature et signification. La rousse. Paris. 1967. PP .102 - 103.

169 -جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر صلاح عبد الصبور ، ص: 16 .

وظاهرة الانزياح هو الواسطة التي شدت البلاغة الكلاسيكية إلى النظريات الحديثة والمعاصرة ثم لعله من أهم العوامل في بعثها الحالي من خلال البلاغة الجديدة ونظريات علم النص* .

ونظرية الانزياح تعتبر الخطاب الأدبي تأليف لجدولي القضايا والنقائض في الظاهرة الألسنية ، وتمثل قضايا الواقع الأصلي للكلام ، بينما تمثل النقائض الواقع العرضي ، وهكذا يظهر لنا مفهوم الانزياح ، ولقد قام "عبد السلام المسدي" بوضع كشف لأبرز الدوال المستعملة للدلالة على المعنى الأصلي و الانزياح مع ذكر من بادر ببثها وسأعرضها فيما بعد .

---

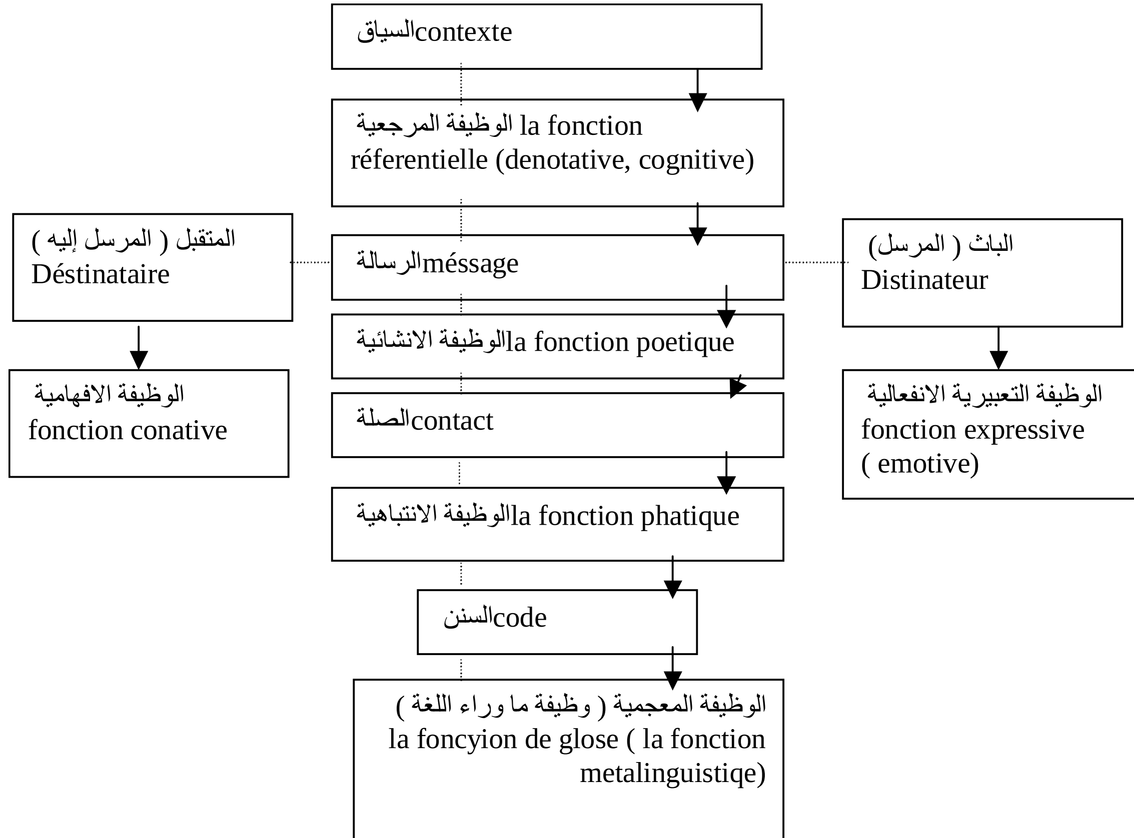
* إن علم لغة النص يختص بتصور مهمة جديدة له تتجاوز مهمته التقليدية ، فلم يعد يقتصر على مجرد تنظيم الحقائق اللغوية فحسب ، أو بعبارة أكثر دقة لم يعد يعنى بالمستويات اللغوية الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية من خلال وصف الظواهر لكل مستوى وتحليلها في إطار مناهج تتسم بموضوعية مرنة وإنما تعددت مهمته إلى الاهتمام بالاتصال اللغوي وأطرافه وشروطه وقواعده و خواصه وآثاره وأشكال التفاعل ، ومستويات الاستخدام وأوجه التأثير التي تحققها الأشكال النصية في المتلقي وأنواع المتلقين وصور التلقي ، وانفتاح النص وتعدد قراءاته ، ينظر : سعيد حسن بحيري : علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، 1997، ص: 162-163 .

1ـ مفهوم الانزياح عند "رومان جاكسون" : "Roman Jakobson"

استنادا إلى ما أقره "رومان جاكبسون" في تحديده للوظائف الست *التي يستقيم بها وجود النص إبـــداعا يمكن القول أن أهم وظيفية أخذت عناية هذا اللغوي هو ما اصطلح عليه بالوظيفة الشعرية ** أو الإنشائية - والتي في رأيه ليست الوظيفية الوحيدة وإنما هي وظيفة مهيمنة dominante والتي تجعل من الرسالة اللغوية غاية ووسيلة معا حيث يعدل منشئها فيها عن الكلام العادي ليوظف الكلمات توظيفا فنيا يخرج فيـــه علـــى المألوف من ناحيتي الخروج على نموذج الكلام اللغوي المعروف ، وتوفير العناصر الفنية .
(الصور ، الإيقاع ، التركيب النحوي ، والمعجمي والصرفي) التي تعيد صياغة المعنى وتفقد الكلام معناه الاصطلاحي وتغطيه معنى جديدا خاصا به في الشعر.... وهذا هو الانزياح أو الانحراف أو العدل الذي

---

* سأحاول تمثيل الوظائف الستوذلك انطلاقا من جهاز التخاطب في نظرية الإخبار والمكون هو بدوره من ستة عناصر وذلك يربطها بما تولده من وظائف - بمعنى ربط كل عنصر بالوظيفة التي يولدها - استنادا في ذلك إلى ما أورده المسدي في كتابه الأسلوب والأسلوبية من ص157- إلى غاية ص160.



** - يترجم البعض الشعرية بـــ (poétique) على أن هذه الترجمة قد تحد الحقل الدلالي للعبارة الأجنبية ذات الأصل اليوناني ولذلك يعمد إلى تعريبها فيقول"بيوطيقا" والسبب في ذلك أن اللفظة لا تعني الوقوف عند حدود الشعر وإنما هي شاملة للظاهرة الأدبية عموما ولعل أوفق ترجمة لها - والقول للمسدي- هي الإنشائية " إذ الدلالة الأصلية هي الخلق والإنشاء. ينظر: عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص: 171 .

قال به كثير من الأسلوبين الذين رأو أن المستوى الأدبي في الكلام مبني أساساً على مفهوم الانزياح - على مفهوم الخروج عن المألوف اللغوي .

ويقوم العمل الأدبي والشعري عند "جاكيسون" على مبدأين متا كملين هما التعادل والتجاور ؛ فالتعادل يضبط انتقاء الشاعر للوحات الكلامية ، ومن دلالاته التكرار الصوتي وأما التجاور فهو ترتيب الوحدات اللغوية في محورها الأفقي المتعاقب ، ومن دلالاته في الشعر المنطق الزمني لتسلسل المواضيع وتطورها(170) .

ولقد استغل "جاكبسون" - معطى لسانيا قارا يتمثل في أن الحدث اللساني هو تركيب عمليتين متواليتين في الزمن ومتطابقتين في الوظيفة وهما اختيار المتكلم لأدواته التعبيرية من الرصيد المعجمي للغة ثم تركيبه لها تركيبا تقتضي بعضه قوانين النحو وتسمح ببعضه الآخر سبل التصرف في الاستعمال [وهنا يحدث الانزياح] فإذا بالأسلوب - أو الوظيفة الشعرية للكلام - يتحدد بأنه توافق بين العمليتين ، أي تطابق لجدول الاختيار على جدول التوزيع ، ولم يكتف "جاكبسون" بالتنظير ، وإنما قام بدراسات تطبيقية على النصوص الأدبية(171) ولعل أشهر دراساته هي التي قام بها على قصيدة القطط للشاعر الفرنسي "بودلير" حيث حلّلها تحليلا شكليا ودلاليا مع التأكيد على تفاعلهما ، وذلك بالاشتراك مع العالم الأنثروبولوجي البنيوي "كلود ليفي ستراوس"(172).

وفي الأخير يمكن القول بأن "جاكبسون " اعتبر الأدب هو الأدب بما يتوفر فيه من خصائص تجعله أدبا وأن موضوع الدراسة ليس الأدب و إنما الأدبية ؛أي ما يجعل الأثر أثر ا أدبيا ، ولا يكون ذلك إلا إذا تولّد اللامنتظر من خلال المنتظر وهذا هو عين الانزياح ومن ثم نجد "جاكبسون" يقر بالانزياح ويجعله الحجر الأساس في الدراسة الأدبية ويستبعد الظروف المحيطة بالكاتب من بيئة وعصر ..... وهو في ذلك يذهب كدأب أشياعه من أعلام المدرسة الشكلية الروسية .

---

170 ــ محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا. ص: 122 – 123 .
171 ــ عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب، ص: 96.
172 ــ محمد عزام: المرجع السابق، ص: 123- 124.

2- مفهوم الانزياح عند " ليو سيتزر" :

إن الدراسات الأسلوبية للنص الأدبي عند "سبيتزر"* تعتبر الأسلوب الأدبي انحرافا* * في الأسلوب الكاتب من الأنماط اللغوية ، وأن أدبية النص تنشأ عن العدول ، فالحقيقة الأسلوبية عنده هي انزياح شخصي ، ومن أهم اهتماماته هي دراسة وقائع الكلام ، وتحليل الانحراف الفردي والأسلوب الخاص الذي ينم عن شخصية الكاتب ، والأبحاث الموازية في مجال التعابير العامة ، والصيغ المعبرة التي أوردها المبدعون في لغتهم الخاصة ، واضعا كل ما توصلت إليه الألسنية من معرفة في خدمة المنهج التحليلي للإثارة الأدبية(173) .

وقد ميز "سيتزر" بين النمط العام أو الاستعمال العادي للغة وبين الواقع العرضي الذي يمثل الانحراف ، ويتخذ "سيتزر" من هذا الأخير - الانزياح - مقياسا لتحديد الخاصية الأسلوبية عموما و مسبارا لتقدير كثافة عمقها ودرجة نجاعتها، ثم يتدرج في منهج استقرائي يصل به إلى المطابقة بين جملة هذه المعايير وما يسميه بالعبقرية الخلاقة لدى الأديب(174) .

وانطلاقا مما تقدم يتضح أن "ليوسيتزر" اعتمد على ظاهرة الانزياح - أو الانحراف - بشكل كبير حتى عد الأسلوب انحرافا عن الأنماط اللغوية .

3-مفهوم الانزياح عند "جون كوهين "J. COHEN"

يعتبر كتاب"بنية اللغة الشعرية" أهم ما كتب في النظرية الشعرية؛ ذلك أنه قدم إجابة واضحة عن السؤال ما هو الشعر ؟ والشعر عنده انزياح أي خروج أو عدول عن قانون اللغة المعترف به اجتماعيا ، إلا أن هذا الانزياح لا يمنح صفة ا لشعرية إلا إذا كان محكوما بقانون يجعله مختلف عن غير المعقول .

---

* يعتبر ليوسيترز (1887- 1960) أشهر من مثل تيار أسلوبية الفرد - الملمح الظاهر مجاز إلى الباطن - ويعتبر هذا التيار المرحلة الحاسمة في تأسيس أسلوبية أدبية تتخذ من النص الراقي موضوعا وتنفذ من بنيته اللغوية وملامحه الأسلوبية إلى باطن صاحبه ومجامع روحه ، وهي لهذا تعتبر منعرجا حاد بالقياس إلى مرحلة البدايات مع عالم الأسلوب "شارل بالي" .ينظر: حمادي صمود ، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة ، دار شوقي للنشر ،ط1، ص:93 .

* * هي النظرية المعروفة بنظرية l'écart وجل علماء الأسلوب ومنظري الأدب يوظفونها عند الحديث عن خصائص النص غير العادي سواء كان العدول عندهم إحصائيا أو معنويا دلاليا أو نحويا تركيبيا بما في ذلك "البنى القاهرة" كالوزن والقافية . ينظر: المرجع نفسه ، ص: 130 .

173- محمد عزام: الأسلوبية منهجا نقديا، ص: 95 - 96 .

174 - عبد السلام المسدي: الأسلوبية والأسلوب ص: 102.

ويعتبر "جون كوهين" أن الشعر مجاوزة (انزياح) . لأن النثر هو المستوى اللغوي السائد وذلك في قولــه :« وربما أن النثر هو المستوى اللغوي السائد ، فإننا يمكن أن نتخذ منه المستوى العادي ونجعل الشعر مجاوزة تقاس درجته إلى هذا المعيار» (175) ، فهو يرى أن النثر تحكمه كمية من القيود عكس الشعر* الذي يكسر هــذه القيود ويتجاوزها ، وهل "الوزن" في الواقع إلا "مــجاوزة" مقننة ، بقانون التحول ، بالقياس إلى المســتوى العادي الصوتي للغة المستعملة .

تقوم نظرية الانزياح عند "جون كوهين" - أو الانتهاك - على مجموعة من الثنائيات انطلاقا من ثنائيــة المعيار / الانزياح ، وكان قد أخذ مفهومي المعيار و الانزياح من الأسلوبية وبخاصة من "ليو ســيتزر" الــذي يرى : « أن الأسلوب انزياح فردي بالقياس إلى ا لقاعدة » بينما "كوهين" أخذ هذا المفهوم وطوره وكــان يرى أنه : « في لغة جميع الشعراء يوجد عنصر ثابت على الرغم من الاختلافات أي وجود طريقــة واحــدة للانزياح بالقياس إلى المعيار»(176) و الجدير بالذكر هو أن جون كوهين بالإضافة إلى اســتعماله لمفهــوم الانزياح فانه يستعمل مفاهيم أخرى قريبة منه وان كانت تحمل تلوينات دلالية مختلفــة مثــل : انعطــاف DETOUR مخالفة INFAATTION ، خرق TRANSGRESSION ، وانتــهاك أو اغتصــاب VIOLATION

4- مفهوم الانزياح عند ميشال ريفاتير Michel Riffatere :

يعتبر الأمريكي "ريفاتير" من أبرز من ساهم في النصف الثاني من القرن الماضي في تأصيل مــا يســمى بالأسلوبية البنيوية ، وتعتبر "محاولاته" - وهو عنوان كتاب من كتبه - جهدا بارزا لتجاوز الإشكال النظري والإجرائي الذي طرحه التفكير في الشروط الموضوعية التي يقتضيها التحول بالمنهج البنيوي من مستوى اللغة إلى مستوى الكلام(177) وموضوع الدراسة الأسلوبية عند "ريفاتير" هو النص الأدبي الراقي ، وهو ما يؤكد أهمية المنعطف الذي كان "ليو سيتزر" يدفع إليه الدراسة لإخراجها من طرق البدايات حيث كانت الأسلوبية دراسة لإمكانيات اللغة التعبيرية ، لا صلة لها بالنصوص الأدبية الفردية(178) ومن ثم يتبين أن "ريفــاتير" لا يخرج عن مفهوم الانزياح ـــ وإن حاول الإيماء بغير ذلك والقول للمسدي - في تحديد الظاهرة الأســلوبية ، ويعرفه بكونه انزياحا عن النمط التعبيري المتواضع عليه ، ويدقق مفهوم الانزياح بأنه يكون خرقا للقواعــد

175- جون كوهين : بناء لغة الشعر ، ترجمة أحمد درويش،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة ، 1990.ص: 23.

*Du point de vue stylique (la prose litteraire)
ne differe de la poésie que d’ un point de vue quantitatif ; (elle) N’ est qu’ une poésie modérée, ou si l’ on veut la style .
J . cohen , steucture du langage poetique ed flammarion ,paris , 1966 p : 149.

176 ــ نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ج1 ، ص: 189 .
177 - حمادي صمود: الوجه والقفا، ص:115.
178 - المرجع نفسه، ص:120.

حينا ، ولجوءا إلى ما ندر من الصيغ حينا آخر ، فأما في حالته الأولى فهو من مشـــمولات علـــم البلاغـــة ، فيقتضي إذن تقييما بالاعتماد على أحكام معيارية ، و أما في صورته الثانية فالبحث فيـــه مـــن مقتضـــيات اللسانيات عامة والأسلوبية خاصة(179) .

ويعتبر "ريفاتير" الانحراف حيلة مقصودة لجلب انتباه القارئ ، وكان الاعتقاد السائد أن النمط العادي يحدده الاستعمال غير أن مفهوم الاستعمال نفسه نسبي ، ولا يمكّن الدارس من مقياس موضوعي صحيح ، فيقتـــرح هذا الأخير- ريفاتير - تقويض مفهوم الاستعمال بما يسميه "السياق الأسلوبي" وقد اســـتقر عنـــده فكـــرة الانحراف الداخلي بعد أن تبين له أن طريقة القارئ العمدة* تكفي لاكتشاف الانحراف .

ويحدد ريفاتير المعيار لاكتشاف هذا الانحراف بالسياق الخارجي ويسمي وحدتـــه الأساســـية "بالســـياق الأصغر" فهما مع الانحراف أو المخالفة يشكلان معا ما يسميه مسلكا أسلوبيا نحو وصف شيء بما لا يعد من صفاته . ويمكن التمثيل لذلك كما يلي:

سياق أصغر + مخالفة / انحراف = مسلك أسلوبي

شمس ⟵ سوداء = مسلك أسلوبي (180)

"اسم" "وصف"

لقد اعتبر "ريفاتير" أن الشعور في الأساس لا يحاكي الواقع ، ولا يشير إلى مرجع ، غير أن "يوري لوتمان" - وحديثي عن "لوتمان" إنما كان لوجود عناصر متشابهة مع "ريفاتير" - الذي يتزعم الجيل المعاصـــر مـــن السميائيين السوفييت يضع الخطاب الشعري في مقابل ثلاثة أنواع من "الضبط الذاتي" الضبط الذاتي للغـــة ، الضبط الذاتي للحس العام والضبط الذاتي لصورتنا المكانية البصرية عن العالم ، وباختراقه لعطالة هذه الأنظمة الثلاثة - التي هي الأنماط المعروفة في الإدراك والفكر والكلام - يصحب الشاعر القصيدة إلى العمل ولتوضيح ذلك أورد قصيدة من شعور "ميرون" بعنوان فراق :

لقد اخترقني غيابك .

كما يخترق الخيط إبرة.

فكل ما أفعله مطرز بلونك.

---

179 ــ عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص:103- 104.

* القارئ العمدة : Architecteur هو مجموعة الرواة الذين يستخدمون لكل مثير أو متوالية أسلوبية كاملة ، إنه وسيلة لاستخراج مثيرات النص لا أكثر ولا أقل ، ويستدرك ريفاتير قائلا : إنه من الضروري أن نستبعد تصنيفات القراء حتى لا نتورط في تصنيفات جاهزة ، ينظر : طارق البكري : الأسلوبية عند ميشال ريفاتير 2005 .
http:// www. alwalam voice/ pubpit.php? go= articles 8at:p1

180 - محمد شكري عياد : اللغة و الابداع . مبادئ علم الاسلوب العربي ، ط1 انترناسيونال بر ، 1998 ص: 92 و طارق البكري ، المرجع السابق ، ص: 01.

هذه القصيدة بسيطة معقدة في تقدير "لوتمان" لأنها تنتهك حرمة التوقعات في نظمه الثلاثـــة المـــذكورة ، والمعلومات الشعرية ، ككل المعلومات لأخرى ، تتناسب عكسيا مع التوقع - بإحداث المفاجأة وهـــذا مـــا يسميه جاكسون بتوليد اللامنتظر من المنتظر - وما لم نتوقعه في هذه القصيدة هو النهاية الدالـــة علـــى دوام الشعور بالافتراق بدلا من حدته .

وما ينبغي ملاحظته أيضا أن "الانتظام" الواضح في لغة القصيدة قد يكـــون نفســـه انتـــهاكا للتوقعـــات "الشعرية".[181]

وفي الأخير يمكن القول أن نظرة "لوتمان" للشعر مشابهة من نواح كثيرة مع نظرة "ريفاتير" ؛ فكلاهما يركز على "انحراف النص الشعري" أو التجاوزات النحوية فيه ويصر على ضرورة أن يضفي القارئ عليها معـــنى بالعودة إلى لغته وجهازه الثقافي ، غير أنهما يختلفان تماما في ما يخص مشكلة الإحالة أو المرجع ، وحيث يرى "لوتمان" أن الفائدة من الشعر معرفة العالم والعلاقات التي تربط الناس بينما يصمت "ريفـــاتير" ويتشـــكك بالإضافة إلى ذلك نجد "ريفاتير" يجعل النصوص السابقة الصورة الوحيدة لأصل الشعر بينما "لوتمان" يشعر أن القصائد يمكن أن تأتي كما يحلو لها ، مادامت تتبنى التقنيات والأساليب[182] .

---

181 ـ روبرت شولز : سيمياء النص الشعري ، اختيار و ترجمة سعيد الغانمي ، من كتاب اللغة و الخطاب الأدبي ، المركز الثقافي العربي ،ط1، 1993 ص: 106 – 107 .

182 ـــ المرجع نفسه : ص: 108- 109.

5- مفهوم الانزياح عند جماعة "مو" "Groupe "mu *

ابتدأت جماعة "مـــو" كتابها البلاغة العامة بذكر مصطلح "الانزياح" واختلافه باختلاف الأقلام التي أوردته في بحوثهم المتنوعة الاهتمامات ، ومن هذه المعادلات على سبيل المثال : نجد "تجاوز عند (فاليري) ، وانتهاك عند (ج كوهين) ، و "زلة" عند (بارت) "وشذوذ" عند (تودوروف) وجنون عنـــد (أراكـــون) و "انحراف" عند (سبيتزر) و"هدم" عند (ج بيطار) ، وخرق عند (م ثيري) ، ولاحظت الجماعة أن هذه المصطلحات مع أنها تنتمي إلى معجم أخلاقي لم يبد أي واحد من خالقيها أو مروجيها أي رد فعل حيال هذا الأصل المعجمي الذي قد يوحي في المجمل الأعم ، أو يحيل إلى تلك النظرية التي تعتبر الفن ظـــاهرة مرضـــية phénomène pathologique الذائعة الصيت في القرن التاسع عشر[1] .

والجدير بالذكر هنا أن "جماعة مو" تستعمل لفظ "البلاغة" صفة تلحقها ياء النسب لكلمة "وظيفة" فيصبح لدينا : "وظيفة بلاغية" وهذه الأخيرة مرادفة لما يسميه "جاكبسون" "بالوظيفة الشعرية" .وتعتبر أن الانزياحات تحدث في الوظيفة البلاغية [2]

و الانزياح عند جماعة "مو"هو خروج عن أصل الوضع(المواصفة)(convention) وقد قامت هذه الأخـــيرة بوضع جدول يبين الفروق بين المستويين : الانزياح وأصل الوضع** .

- وهم ج، ديبوا (jacques d'ubois) ، ف . آيدلين : (f. Edeline) ، كلينكا نبارغ (j.m.klinkenberg) ، مينقاي (p.minguet) بير (f.pire) ، ترينون (h. trinon) اشتركوا في وضع كتاب "البلاغة العامة"

1- Parmi les équivalents proposés souvent innocement, on relève encore abus (valezy) viol j.cohen), scandale (r. barther) anomalive t.todorov), jolie (aragon) deviation (l. spitzer), subversion (j. peytard), infraction (m. thiry) etc.
Groupe u- rhétorique générale- points- édition du seuil 1982-p16.

2- Ecart- au sens rhétorique, nous entendrons l'écart comme altération ressentie du dégré zéro…nous conviendrons d'appeler rhétorique les seules opérations visant à es effets poétiques (au sen jakobsonien) et que l'on rencontre notamment dans la poésie, lhumour, l'argot. Etc
group u : rhétorique générale ، p43 ينظر:.

-**

écart	Convention
Nom systématique Localisé Surprenant Diminue la prévisibilité	Systématique Réparti Non surprenant Augmente la prévisibilité

group u : rhétorique générale ، p43 ينظر:.

وإذا كان الانزياح - عند جماعة "مو" - ابتعادا عن درجة الصفر فلا بد هنا من التمييز بين نوعين من الانزياح : انزياح بلاغي ، وآخر بلاغي مندرج ضمن دائرة التواطؤ . من خصائص الأول عدم انتظار ظهوره وفقدانه من ثم صفتي الجاهزية والتوقع والثاني عكسه ، يربط الاتصال بين الباث والمتلقي ولا يخلق أية مفاجأة ، ولكنه مع ذلك يثير الانتباه - شان الانزياح الأول- إلى المرسلة ذاتها ، والشعر يستثمر النوعين معا ، ويلجأ إلى طريقتين في البث اللغوي : طريقة يقلص فيها من نسبة الحشو ينجم عنها الانزياح ، وأخرى يقوى فيها هذه النسبة . وبذلك يحدث مساحات يخيب فيها الانتظار وأخرى يتحقق ، فتغدوا المرسلة الشعرية عبارة عن لعبة إضاءة وتعتيم يستعين فيها المتلقي بالمساحة المضاءة لإضاءة المساحة المعتمة ، وهي تتبع في سبيل ذلك طرقا يمكن إجمالها - حسب جماعة "مو" دائما - في أربعة تتحول بمقتضاها اللغة في كل مستوى من مستوياتها هي : الحذف ، والزيادة، والحذف / الزيادة ، والمبادلة .

ويمكن تسمية العملية الثالثة بإطلاق لفظ "الإبدال" عليها عوض "الحذف / الزيادة" ما دام الأمر ينتهي في آخر المطاف بتعويض عنصر حذف بعنصر آخر يحل محله[183]

هكذا ، وتأسيسا على ما تقدم من الطرح يتضح أن ظاهرة الانزياح - أو نظرية الانزياح كما يفضل البعض اعتبارها - ظهرت بجلاء عند اللغويين والنقاد الغربيين المحدثين - وإن اختلفت منطلقاتهم - وسأكتفي بإيراد كشف لأبرز الدوال المستعملة مع نسبتها إلى من بادروا ببثها سواء كانوا من الأسلوبيين المعاصرين أو ممن سبقهم : وذلك انطلاقا مما ذكره "عبد السلام المسدي .

أما المصلحات المعبر عنها عن "الواقع الأصل" فهي: (الاستعمال الدارج ، الاستعمال المألوف،التعبير البسيط،التعبير الشائع) عند "فونتانياي" و(الكلام الفردي) عند "بالي" ، و(الوضع الحيادي / الدرجة الصفر) عند "ماروزو" و (النمط العام/ الاستعمال العادي) عند "سبتزر"،(الاستعمال السائر) عند "ولاك" و"فــاران" و (الاستعمال المتوسط) عند "ستاروينسكي" ، (السنن اللغوية) عند "تودوروف"، (الخطاب الساذج / العبارة البريئة) عند جماعة "مو"(النمط) عند "ريفاتير" وأخــيرا (والاستعمال النمط) عند دولاس .

وأما الدوال المعبرة عن "الواقع العرضي" فهي :(الانزياح/ التجاوز)عند " فاليري"،(الانحراف)عند "سبيتزر"(الاختلال) عند "والاك وفاران" و (الإحاطة) عند "بايتار"، (المخالفة) عند "تيري"، (الشناعة) عند "بارت" (الانتهاك)عند "كوهين"، (خرق السنن/ اللحن) عند "تودوروف" (العصيان) عند "آراقون" وأخيرا وليس آخرا (التحريف) عند جماعة مو[184]

هذه المصطلحات وأخرى - كلها - تعبر عن كسر لنمطية الكلام /. كسر للقاعدة اللغوية أو المعيار ، وبالتالي تخرج من السنة المتداولة وتخرق المعهود وتنتقل من الدرجة الصفر لتشكل فسحة من خلال الحرية في

---

183 ـ أحمد بليداوي : الكلام الشعري ،ص: 140- 141 .

184 ـــ عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، ص: 99- 100-101.

مجال التصرف داخل اللغة ، كل هذا التمادي الذي يسعى المبدع من وراءه إلى تجاوز الدلالة المعجمية وتخطيها من أجل تقديم رؤيته وإحساسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيرا ليصل في الأخير إلى تحقيق الإمتاع ، أو المتعة أو اللذة ، ـــ بالمفهوم البارتي - أو النشوة أو الدهشة من خلال خرق أفق التوقع ، و اللامنتظر و اللامعقول .

تبقى أن المشكلة الأساسية التي تواجه نظرية الانزياح تتمثل بالدرجة الأولى في تحديد طبيعة المعيار الـــذي يحدث عنه الانزياح ، فهو- الانزياح - يفترض مسبقا أن هناك معيارا* أو ما يسمى بالقاعدة والمعيار ، اللغة العادية و الأسلوب المستعمل ، ويتم تحديد الأسلوب على أساسه .

وإذا كان النظام هو المعيار الذي يتحدد به الانزياح ، فإن الأمر قد امتد ليشمل تفريقا بين اللغة المنحرفـــة واللغة غير المنحرفة ، أو ما يوجد عند الشكلانيين الروس، اللغة الشعرية واللغة اليومية ، والتي كما يبدو لا يمنع استخدام الانحرافات في اللغتين وإن كانت هذه الانزياحات في اللغة اليومية غير مرتبطة بقصد كما في اللغـــة الشعرية ، إذ أن الانزياح في اللغة الشعرية له تأثير جمالي وفني مقصود عكس الأولى وهذا ما يمكن من الكشف عن الفروق بينهما ، بينما ذهب "جون كوهين" وآخرون إلى أن النثر هو المستوى العادي بينما الشعر مجاوزة ، ويظهر ذلك جليا في قول جون كوهين : « وبما أن النثر هو المستوى اللغوي السائد ، فإننا يمكن أن نتخذ منه المستوى العادي و نجعل الشعر مجاوزة تقاس درجة إلى هذا المعيار »(185)

من خلال ما سبق يتضح أن جون كوهين يولي اهتماما كبيرا للغة الشعرية

- والشعر والشاعر - وجعلها المستوى الثاني (المنحرف) ، فكلما كان الانزياح دالا بالقصد برزت شعرية الخطاب "والشاعر" بقوله لا بتفكيره وإحساسه ، إنه خالق كلمات وليس خالق أفكار ، وترجع عبقريته كلها إلى الإبداع اللغوي (186) .

ولكن لا يمكن التسليم بهذا الاعتقاد بشكل مطلق ذلك أن هناك انحرافات يمكن أن تظهر في لغة الأجناس الأدبية الأخرى ، فالانزياح لم يعد خاصا بلغة الشعر ، إذ أن مظاهر الانزياح من استعارة ومجاز وكناية و تخييل وغيرها قد تتجلى في العمل الروائي والقصصي بالإضافة إلى النص القرآني والذي فيه من الانزياحات ما يفوق

---

* وقد ظهرت في الموروث البلاغي والنقدي أسماء تشير إلى المعيار، ومن الأمثلة على ذلك " حد الاستعمال والعادة، وذلك في قول القاضي الجرجاني: " وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة وخرج عن حد الاستعمال والعادة" الوساطة ص429 معادلة لما عرف في البحث الأسلوبي المعاصر بـ " المعيار" الذي تخرج عنه اللغة الشعرية في مخالفتها لما هو عادي ومستعمل ، كما أن القدماء أصل يقاس إليه كل خروج في اللغة فقد أشاروا إلى كثير من الأشياء التي تحدد المعيار الذي يتحدد به كل خروج من الخروجات ، فقد تواترت عندهم مقولة (أصل اللغة) فنجدها عند " العسكري"في تعريفه للاستعارة في كتابه الصناعتين ص706، وكذا الرماني في النكت ص 85-86....
كما أن هناك أسماء معادلة للمعيار في التصورات النقدية والبلاغية القديمة وذلك مثل (أصل المعنى) عند " الجرجاني" و(الأصل) عند " القاضي الجرجاني" ، و" ابن الأثير" و (أصل الوضع) عند " ابن الأثير "، و" ابن جني"...

185 ـــ جون كوهين : بناء لغة الشعر ، ترجمة أحمد درويش، ص:23 .
186 ـــ خان محمد: بنية الخطاب الشعري، الإيقاع والمعنى، ص:175.

التصور ، وهو ليس يشعر كما يعلم الجميع ولا يقول كاهن ولا مجنون مصداقا لقوله تعالى :(**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ . وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ . تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) [187] .

و زبدة القول ، أن "جون كوهين" لم يتوصل في طرحه لقضية المعيار إلى نتائج دقيقة يمكن التسليم بها مطلقا رغم وجود الانزياح في الشعر بشكل كبير ، أما بالنسبة لـ "ريفاتير" فإنه يرى ضرورة اعتماد السياق الأسلوبي ليكون هو المعيار ، وهي طريقة و حسبه أكثر سلامة من البحث عن المعيار الخارجي ، وقد حد السياق الأسلوبي على أنه نسق لغوي يقطعه عنصر غير متوقع .

187 ــ الحاقة: الآية: 40- 43.

الفصل الثاني

I - الانزياحات غير اللغوية :

:6

لعلّه ليس من الغلوّ في شيء، إذا ذهبنا إلى أنّ النص القرآني كان بالنسبة إلى الثقافة العربية الإسلامية العامل الأساسي الذي و جّــه الفكر و رسم آفاقه؛ بسببه نشأت جملة من العلوم التي تدور في فلكه، مثل التفســـير و أسباب النـــزول و الناسخ و المنسوخ و الفقه و أصوله و علم الكلام... وكذلك العلوم الـــتي تـــدور في الظاهرة بعيدة عن مثل علم اللغة و النحو و خاصة البلاغة.

لكن الصلة بين النظرية البلاغية و النص القرآني تبدو في تقديرنا - و القول " لمحمد النـــويري"- ســـابقة لحاجات سياسة الدلالة فيه، ذلك أنّ النص قد مثل بالنسبة إلى الثقافة العربية كلّها الأفق البياني المستحيل الذي لا يسع أيّ بليغ إدراكه، فقد ارتقى في بيانه و حسنه المرتبة التي تنحسر دونها الهمم، و تنقطـــع الرقـــاب؛ ذلك أنّ محاكاته خرجت عن الوسع، و عباراته أدركت المستوى الذي فارق قدرة البشر مما دفع إلى معرفـــة أسرار إعجازه، و الاستدلال على الأسباب التي جعلته خارجًا عن طاقة البشر.(188)

و قد جاء التحدي و الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله Ψ: [**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**] (189) ، و قوله كذلك Y [**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**] (190)، فالأسلوب القرآني خارق للعادة، و خارج عن مألوف العرب.

و من أبرز النظريات التي ركز عليها العلماء أبحاثهم و دراساتهم اللغوية الخاصة بإعجاز القرآن الكريم(*) نجد جملة من النظريات تـــترتب حسب الأسبقية في الظهور زمانيا على النحو التالي:

1. نظرية الإعجاز اللفظي. " الجاحظ "
2. نـــظرية إعـــجاز البـــلاغة " الباقلاني "
3. نـــظرية إعـــجاز النـــــظم " الجرجاني "

188- محمد النويري: علم الكلام و النظرية البلاغية عند العرب، دار محمد علي الحامي للنشر و التوزيع- صفاقس ، ط1، 2001م، ص: 7-8.

189- الإسراء: 88.

190- هود: 13- 14.

(*) إنّ وجوه الإعجاز في القرآن الكريم كثيرة: 1- اتساق عباراته و معانيه و أحكامه و نظرياته، 2- انطباق آياته على ما يكتشفه العلم من نظريات علمية، 3- إخباره بوقائع لا يعلمها إلاّ علاّم الغيوب، 4- فصاحة ألفاظه و بلاغة عباراته و قوة تأثيره.

ينظر: عبد الوهاب خلاف: علم أصول الفقه، الزهراء للنشر و التوزيع، ط2،- الجزائر ، 1993م، ص: 27-31.

4. نظرية إعجاز الإيقاع النغمي ً الرافعيً

5. نظرية إعجاز التصوير الفني (*) ً " سيد قطبً

إنّ تبني قضية الإعجاز اللغوي كمسلمة ثابتة بالنسبة لخصوصية المعجزة القرآنية ليس تعبيرًا عن قناعة شخصية بالمرّة- وحتى و إن كان ذلك كذلك- و لكنّه يلخص النتيجة العامة التي يؤكدها استقراء الأبحاث المتخصصة لإعجاز القرآن، بإجماع غالبية العلماء المتخصصين في الدراسات القرآنية و اللغوية... إلاّ أنّ الأمر الذي قد يحيّر الباحث في تناول هذا الموضوع، هو ذلك المصير الذي آلت إليه الأبحاث اللغوية الخاصة بالإعجاز القرآني من تنوع في النظريات و تعدد في الآراء، حتى جاز لنا - على حدّ تعبير ً عيسى بن سديرةً - الحديث هذه المرّة عن أوجه متعددة داخل نطاق الإعجاز اللغوي ذاته، و هو ما يستشف الإعجاز اللغوي إلى مواضيع خاصة بالألفاظ المفردة أو الأنساق و التراكيب المنتظمة أو البلاغة أو الإيقاع و ما إلى ذلك.(191)

و لمّا كان الأمر كذلك، كان حري بالباحثين أن يفيدوا الدرس القرآني بآليات اللسانيات؛ باعتباره يحتوي على مضامين الحياة و الواقع بشتى طروحاته المعرفية المتعددة و المتجددة، في الوقت نفسه لم يكن مخصوصًا بالبيئة العربية القديمة؛ بل كان ولا يزال يضم رمزيات الواقع و مكنوناته باعتبار الشمولية المؤسسة فيه؛ لأنه محكوم في جوهره بمنهجية معرفية من شأنها أن تستوعب كلّ ما جدّ و استحدث، لذلك يستحيل تقييده في إطار زمن محدد، أمّا التناول الحديث للنص القرآني، فإنّ الأمر في معظمه لم يتجاوز ترديد ما ذكرته تفاسير الأقدمين، و ذلك بإعادة صياغتها دون سعي جليّ و واضح في التطوير- إلاّ بنسب قليلة- فنصّنا اليوم في رحاب العولمة الثقافية و التثاقف هو في حاجة ماسة إلى ضرورة مواصلة دراسته وفق الخصوصيات الحديثة ككل بالاستفادة ممّا درّ به الفكر المعرفي المعاصر، و بخاصة تلك الحقول العلمية التي اهتمت بـ "اللغة"، و طالما أنّ القرآن الكريم هو تعاقب لغوي بدرجة أولى فحري بنا أن نطوّر الدراسات القرآنية بالاستفادة من معطيات النظرية اللسانية، إنّ مواصلة المسار الإبداعي في دراسة القرآن الكريم شيء حتمي تفرضه ضرورات الوجود الإسلامي ذي الطابع الكوني الذي يهدف في جوهره إلى استقطاب النماذج البشرية ككلّ، صحيح أنّ القرآن الكريم معجز ببيانه و بلاغته، لكن لازلنا نقول- والقولُ لعبد الحليم بن

(*) التصوير الفني هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني، و الحالة النفسية، و عن الحادث المحسوس، و المشهد المنظور، و عن النموذج الإنساني و الطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، و إذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، و إذا النموذج الإنساني شاخص حي، و إذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية، فأما الحوادث و المشاهد و القصص و المناظر، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة، و فيها الحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل. ينظر: سيد قطب: التصوير الفني في القرآن الكريم، القاهرة، ط10، 1986م، ص: 34

191 - عيسى بن سديرة: الخصائص التركيبية و الأسلوبية في المكي و المدني من القرآن الكريم، ص: 80.

عيسىً- إنّ الإعجاز لا يعني التـــعجيز؛ بل إنّه يفتح المجال أكثر من أجل استمرارية و مداومة التجديد وفق ما تمليه الضرورات الزمنية المتعاقبة*.(192)

و على محلل النص القرآني أن يهتمّ بضبط العائد المعرفي للمفردة و بدقة الاستعمال اللغـــوي في الـــنص القرآني من جهة، و قيمة العلاقة المرهونة بين اللفظ و المعنى في كل سياق لغوي من جهة ثانية، و هذا ما جعل "أبا القاسم حاج حمد" يؤكد على أنّ التحليل الدقيق للقرآن الكريم يتطلب قاموسًا قرآنيا جديدًا يعتمـــد في فكرته على تحديد معاني المفردات كما يحددها القرآن نفسه، و كما يستخدمها، فهناك فارق دقيق بين شاعرية العرب اللـــغوية مع تفردها اللساني، و دقة التوظيف القرآني لهذه اللغة، إنّ هذا القـــاموس سيكشـــف عـــن استخدامات قرآنية للمفردات قلّ أن فكّر فيها العرب أنفسهم، و سيساعد في جلاء مفهوميات كثيرة ظلـــت مكنونة في القرآن.(193)

و يضرب "محمد أبو القاسم حاج حمد" مثالاً لذلك من خلال نماذج قرآنية أذكر منها الآيتين الكـــريمتين لإظهار الفرق بين لفظتي "لمس"، و "مسّ"، و ذلك من خلال قوله Y : [**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**] (194)، و قـــد فسّر بعض المفسرين- إن لم أقل معظمهم- "يَمَسُّـــهُ" بـــ "يَـــلْمَسُهُ"، غير أنّ "المَـــسَّ" في اللغة العربية المتميزة و في استخدام القرآن الكريم هو ما يصيب في كلية الموضوع و أعماقه أو وجدانه، أمّـــا استعمال لفظة "لمس" فيتجـــه إلى الموضـــوع الاحتكـــاكي العضـــوي، قال Y :[**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**](195)، فالـــعائد المـــعرفي بين "لمـــس" و "مس" حددنـــاه انطلاقًا من ورودها في القرآن الكـــريم ككلّ؛ فـــ "المسّ" إذًا غير "اللمس"، و لننظر إلى الآيـــة الأولى؛ حيث أردف السياق القرآني عبارة "لا يمسّه" بـــ "توضيح عقلي" لمن يتشابه عليه المعنى اللساني فقال:[**إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ**] و لم يقل: "المتطهّرون" لأنّ التطهر من الحدثين الأصغر و الأكبر هو من عند البشر يأتونه بالحركات العملية من وضوء و غســـل، و لكن الطهر هنا نسب إلى مصدر غير الإنسان هو اللهΨ، و بذلك تستقيم هذه العبارة على النحو التالي: "إنّ

* و في هذا الإطار توجد - على سبيل المثال لا الحصر- دراسات ًمحمد عابد الجابريً في أثره "اللفظ و المعنى في البيان العربي و دينية العقل العربي"، ً محمد أبو القاسم حاج حمدً في كتابه " العالمية الإسلامية الثانية"، و ً جابر عصفورً، وً أحمد شيخ عبد السلام ً في مقال له: "نحو علم لغة خاص بالعلوم الشرعية... و ذلك بالاستفادة و لو ضمنيا من الرؤية المنهجية اللسانية الحديثة في تناول القرآن، و تجاوز ثنائية الظاهر و الباطن.

192 -عبد الحليم بن عيسى: اللسانيات و النص القرآني، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد:03، قسنطينة، 2003م، ص: 294.

-193 محمد أبو القاسم حاج حمد: العالمية الإسلامية الثانية: جدلية الغيب و الإنسان، المجلد الأول، دار ابن حزم للطباعة و النشر و التوزيع- بيروت- لبنان، ط2، 1996م، ص: 55-56.

194 -الواقعة: 87- 89.

195- النساء: 43.

هذا القرآن كتاب مكنونة معانيه ذات أعماق و أبعاد لا ينفذ بجوهره إلاّ إلى داخل النفوس التي طهرها الله"؛ و بذلك تسقط كلّ الأحكام التي افترضها الفقهاء من تحريم لا يملكونه أصلاً و لو بالقياس "للمس" المصحف دون طهارة ظاهرية، فليست المسألة هي العلاقة الشكلية مع المصحف، و لكنها العلاقة الموضوعية، علاقة الأخذ عنه و التدبر فيه، و الأمر في تقدير المصحف و احترامه متروك لأخلاقية المسلم نفسه، و ليس لنص شرعي، فالله لا يفترض في الإنسان ما افترضه بعض الفقهاء من أنّه مجرد من آداب الفضيلة ليسلك بنفسه سلوكًا صحيحًا تجاه كل ما هو من عند الله.(196)

و عليه فالتمييز بين التوظيف الإلهي للغة و التوظيف العربي- بتعبير حاج حمد- واجبة لا محالة لمعالجة النص القرآني ؛ذلك أنّ الاستخدام الإلـهي للمفردة استخدام مميز يرقى بالمفردة إلى مستوى المصطلح يتعارض مع ما وثّقه العرب في لسانهم البلاغي و يصطدم كذلك بمرجعية الموروث لأن القرآن الكريم ارتقى بكمالات التميز و التفرد في خصائص الكلمات، فما من كلمة إلاّ و لها معناها المحدد الذي لا يحتمل- كنفسية العربي تمامًا- أيّ تماثل أو تطابق مع كلمة أخرى.

و من هنا يصبح تفسير القرآن من أدق العمليات اللغوية الحضارية التي يعرفها تاريخ اللغات و الثقافات في العالم، ما من كلمة إلاّ و لها دلالتها المتميزة و لو بدت مترادفة أو متشابهة، لذلك لا يمكن تفسير القرآن بالاستطراد و التداعي على السياق، و ليس الأمر قضية ظاهر و باطن، و إنما حرف محدد، و قد رأينا كيف أنّ فرقًا لم يبد للناس جوهريا بين "مسّ" و "لمس" قاد إلى اجتهادات كلّها خطأ في خطأ، و أقول صراحة – و القول لأبي القاسم حاج حمد- أنّ الأخطاء كثيرة، و ترجع الأسباب في معظمها إلى مراحل الانحطاط الحضاري اللغوي منذ القرن الهجري الثالث، فحُمّلَ القرآن ما ليس من طبيعته، وفُهمت مكنوناته خطأ في جوانب هامة تتصل بحياة المسلمين.

غير أنّ معرفة اللغة العربية وحدها لا تكفي في الفهم الدقيق لبعض خفايا الكتاب، فالقرآن ليس عربيا فقط باعتباره متنزلاً بلغة العرب، و لكنه كبناء إلـهي ضمن هذه اللغة استوعب مفردات اللغة نفسها ضمن استخدامات دقيقة للغاية، قلّ أن فطن إليها أهل اللغة أنفسهم.(197)

و تأسيسًا على ما تقدم يمكن القول أنّ الاعتماد على اللسانيات بنتائجها القيمة و المتنوعة في تناول النص القرآني باعتباره معطًى لغويا بدرجة أولى، يعد في جوهره منهجية علمية من شأنها أن تزيح الكثير من الإشكاليات المعرفية المتنوعة التي كانت تصادف الدارسين؛ بل إنها ستساعدنا من أجل التبصّر في المنهج القرآني الكلّي الذي يحكم تنظيم هذا الكون؛ قلنا – والقول لعبد الحليم بن عيسى- "المنهج القرآني" لأنّ الإعجاز القرآني ليس مرتبطًا بالمبنى اللساني فقط، بل هو على صلة أيضًا بالمعنى المنهجي الدقيق الذي يحكم هذا المبنى، كما أنّ الارتكاز على بعض مباحث علم اللغة لم يكن وليد هذا العصر؛ بل لقد أثبت النحو بقواعده التقليدية

196- محمد أبو القاسم حاج حمد: العالمية الإسلامية الثانية، المجلد 2، ص: 159.
197- المرجع نفسه، ج1، ص: 56- 57.

جدارته في الكشف عن الأحكام الشرعية في القرآن الكريم، كونه يعد في جوهره الآلية التي نفهم من خلالها علائق التركيب اللغوي، و لّما كان الأمر كذلك- اعتبار النحو من الأساسيات القاعدية في تتبع الأحكام الفقهية- فإنّ علم اللغة باعتباره منهجية أوسع تأخذ بكل المكونات المحققة للغة سيسهم بفعالية أكثر في إثراء الدراسات القرآنية، و هنا نشير كذلك إلى أنّ النص القرآني الذي يعد في جوهره مدونة لغوية سامية يمكن أن يقدم للسانيات عينات و شرائح لغوية متنوعة للتحليل اللغوي، فحريٌّ بالباحثين إذًا أن يهتموا بالنص القرآني و يُكثّفوا دراستهم و تحليلهم له فيسهموا من ثمّ إلى إثبات العالمية فيه درسًا و دراسة.(198)

و لقد لاحظ القدماء حسن النسق في النص القرآني- و هو جانب من جوانب إعجازه- و حاولوا دراسته كلٌّ بما يناسب تفسيره؛ و القرآن الكريم لشدّة تماسكه عُدّ كالكلمة الواحدة على الرغم من أنّ كل سورة من سوره ذات شخصية متفردة، و ذات ملامح متميزة، و ذات منهج خاص، و ذات أسلوب معين، و ذات مجال متخصص في علاج هذا الموضوع الواحد، و هذه القضية الكبيرة، و مع ذلك فإنها- السور المكية خاصة، و سورة النمل منهم- تجتمع على الموضوع و الغاية*، ثم تأخذ بعد ذلك سماتها المستقلة، و طرائقها المتميزة و مجالها المتخصص في علاج هذا الموضوع و تحقيق هذه الغاية.

و لّما كان الأمر كذلك كان حريّا بالباحثين الاعتماد على علم اللّغة النصّي في دراسة النص القرآني، و هو ذلك الفرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النص باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، و ذلك بدراسة جوانب عديدة؛ أهمها الترابط، التماسك و وسائله و أنواعه و الإحالة أو المرجعية "Référence"، و أنواعها، و السياق النصي"Textual Context"، و دور المشاركين في النص (المرسل و المستقبل)، و هذه الدراسة تتضمن النص المنطوق و المكتوب على حدّ سواء.(199)

---

198 -عبد الحليم بن عيسى: اللسانيات و النص القرآني، ص: 302- 303.

199 - صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة بين النظرية و التطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، ج1، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، د.ت، ص: 32.

1- في رحاب السورة الكريمة: "سورة النمل"

"سورة النمل"؛ سورة كريمة نزلت بمكة المكرمة بعد سورة الشعراء، آياتها ثلاث و تسعون، و قد عدّت آياتها في عدد أهل المدينة و مكة خمس و تسعون، و عند أهل الشام و البصرة و الكوفة أربعًا و تسعين. و أشهر أسمائها "سورة النمل"، و كذلك سمّيت في صحيح البخاري، و جامع الترمذي، و تسمّى أيضًا "سورة سليمان"، و هذان الاسمان اقتصر عليهما في الإتقان و غيره.

و ذكر أبو بكر بن العربي في "أحكام القرآن" أنها تسمّى "سورة الهدهد"، و وجه الأسماء الثلاثة أنّ لفظ "النمل" و لفظ "الهدهد" لم يذكرا في سورة من القرآن غيرها، و أمّا تسميتها "سورة سليمان" فلأنّ ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصّلاً لم يذكر مثله في غيرها.

و هذه السورة مكية بالاتفاق كما حكاه ابن عطبية و القرطبيّ و السيوطي و غير واحد، و ذكر الخفاجي أنّ بعضهم ذهب إلى مكية بعض آياتها (كذا و لعلّه سهو صوابه مدنية بعض آياتها) و لم أقف على هذا لغير الخفاجيّ.

و هي السورة الثامنة و الأربعون في عدد نزول السور و السابعة و العشرون في ترتيب المصحف، وهي إحدى ثلاث سور نزلت متتالية و وضعت في المصحف متتالية؛ و هي: الشعراء، النمل، القصص. (200)

و "سورة النمل" هذه تتحدث عن التفوق الحضاري و أهمية أن يمتلك المسلمون معالم حضارة قوية من العلم و التكنولوجيا و القوة المادية و العسكرية. و كان رمز التفوق الحضاري في هذه السورة: سيدنا سليمان υ، و مملكته التي جمعت بين الإيمان و النجاح في الحياة، هذه المؤسسة هي أشبه ما تكون بلغة اليوم: شركة عالمية متعددة الجنسيات توظف ضمن جهازها الإداري جنسيات مختلفة، من الجنّ و الإنس و الطير و النمل و الوحوش...

و قد تناولت السورة الكريمة- سورة النمل- القرآن الكريم، المعجزة الخالدة لمحمد ρ ،ثمّ تحدثت عن بعض قصص الأنبياء، فذكرت بالإجمال قصص كلّ من "موسى"υ، و"صالح"υ و "لوط"υ، و ما نال أقوامهم من العذاب بسبب شركهم و إعراضهم عن دعوة الله Y .ثم تحدثت بالتفصيل عن قصة "داوود" و ولده سليمان عليهما السلام، و ما أنعم الله عليهما من نعم جليلة و فضل عظيم، ثم ذكرت قصة سليمان مع بلقيس؛ حيث تركت عبادة الأوثان و أسلمت مع سليمان لرب العالمين، كما تناولت السورة كذلك الدلائل و البراهين على وجود الله ووحدانيته من آثار مخلوقاته و بدائع صنعه، و ساقت بعض الأهوال و الشدائد من مشاهد يوم القيامة.

200- محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر- تونس- د.ت، ج18- 19، ص: 217.

و سميت بـــ "سورة النمل" لأنّ الله Y ذكر فيها قصّة النملة التي وعضت جيشها بدخول مساكنهم حتى لا يحطمهم سليمان و جنوده، و فهم نبيّ الله كلامها و تبسم ضاحكًا من قولهـــا و شكر الله على ما منحه من فضلٍ و إنعامٍ.(201)

2- الهيكل البنوي لسورة النمل:

تبدأ السورة بقوله تعالى: [**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**] (202)

فماذا عسى أن تكون الآيات المشار إليها التي تشتمل عليها هذه السورة من سور القرآن؟ إنها مـــن ثلاثـــة أنواع:(203)

أولا: الخوارق:

اشتملت السورة من هذه الطائفة على تسع خوارق، ترتيبها كما يلي:

أ/ من قصة "موسى"u: و هي أوّل قصة في سورة النمل، نجد ما يلي:

1. [**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**](8).
2. ﴿ **وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ**﴾ (10).
3. [**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ**] (12).

ب/ و من قصة "سليمان"u نجد:

4. [**وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ**] (16).
5. [**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**] (18).
6. [**فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**] (22).
7. [**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**] (40).

ج/ و نجد من قصة "صالح"u ما يلي:

8. [**وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**] (50).

د/ و من قصة "لوط"u:

9. [**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ**] (58).

---

201 - محمد حسن سلامة: الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم، دار الآفاق العربية- القاهرة- 2002م، ص: 217.
202 - النمل: 01- 06.
203 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 594.

فهذه الآيات جميعا من خوارق الطبيعة، و في ارتباطها بقصص الأنبياء ما يجعلها معجزات من آيات الله الـــتي يؤيّد بها رسله إلى خلقه.

ثانيا: البيّنات:

و هي جميعا دلائل على قدرة الله و ألوهيته، و ترد في صورة أمر إلى النبيّ ρ أن يحمد الله و يســـلم علـــى رسله الذين اصطفاهم لتبليغ رسالته، فأحسنوا تبليغها و كانوا أمناء عليها، ثم يرتب على هذا الأمر ستة مـــن الأسئلة يعقبها أمر آخر، و ذلك على النحو التالي:

1. [**آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**] (59) .

2. [**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**] (60). أي أ فعل ذلك إله مع الله؟![204].

3. [**أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**] (61).

4. [**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**] (62).

5. [**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ**] (63).

6. [**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّه**] (64).

ويأتي الأمر الثاني للنبي ρ أن يقول ما من شأنه أن يتمم الدلائل السابقة على ألوهية اللهY.

7. [**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**] (65).

ثـالثًا: الأجوبة المشتملة على الوعيد:

و هذه الأجوبة تترتب على سؤال إنكاري ساقه الكفار:

[**وَقَـالَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا أَئِـذَا كُنَّـا تُرَابًـا وَآبَاؤُنَـا أَئِنَّـا لَمُخْرَجُـونَ**] (67).

[**لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**] (68).

ثم يوغلون في عنادهم و يقولون:[**وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**] (71).

و هنا تأتي الأجوبة المشربة بالوعيد على النحو التالي:

1. [**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**] (72).

---

204 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 595- 596.

2. [وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ] (74- 75).

3. [إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ] (78).

4. [إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ] (80- 81).

5. [وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ] (82).[205]

6. [وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ] (83- 85).

7. [وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ] (87).

ثم تختم السورة بالإشارة إلى جملة الآيات، إذ يقول تعالى:[**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**] (93).[206]

3- الخوارق: المعجزات من منظور انزياحي:

أودّ هاهنا الوقوف على بعض الخوارق الواردة في سورة النمل من منظور انزياحي؛ و ما الخارقة في ماهيتها إلاّ خروج عن المألوف و كسرًا لنمطية المعهود و خرقًا لأفق التوقع و توليد اللامنتظر من خلال ما تحدثه من دهشة و مفاجأة، و لما كان ذلك كذلك جاز لي اعتبار الخوارق/ المعجزات انزياحات عن المعيار أو النمط أو الأصل إلى رتبةٍ مشوشة/ و مستوى آخر، و إن لم تكن تحدث في الحقل اللغوي، و إنما تجاوزته لفتح باب التدبر في أغرب و أدهش و أروع ما جسدته و خطته و أبدعته يد القدرة الإلهية على سجل الوجود.

و تأسيسًا على ما تقدم من تعريف للانزياح في الفصل الأول- و الذي لا يعدو أن يكون خرقًا و كسرًا و شذوذًا و انتهاكًا و جنونًا- فإنّ الخارقة انزياح من منظور معين.

---

205 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 596- 597.

206- المرجع نفسه، ص: 598.

الانزياحات غير اللغوية (الخوارق):

الانزياح الأول (الخارقة الأولى) الذي ورد في سورة النمل يتمثل في المعجزة التي أيّد الله تعالى بها سيدنا موسىυ- معجزة العصا- و يتضح ذلك جليًّا في قوله تعالى: [**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**] (207).

فلمّا ألقى عصاه كما أمر إذا هي تدبّ و تسعى و تتحرّك حركة سريعة كحركة ذلك النوع الصغير السريع من الحيات "الجان"*، و في قراءة أخرى "جأن" و أدركت موسىυ طبيعته الانفعالية، و أخذته هزة المفاجأة التي لم تخطر له ببال، و جرى بعيدًا عن الحية دون أن يفكر في الرجوع! وهي حركة تبدو فيها دهشة المفاجأة العنيفة في مثل تلك الطبيعة شديدة الانفعال، وهذه الصورة الخارجة عن المعهود- الخارقة- هي ما يمكن اعتباره انزياحًا عن النمط المألوف.

و بعد أن اطمأنّ موسى و قرّ، تأتي الآية الكريمة:[**وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**] (208)؛ هذه المعجزة المتمثلة في خروج يد موسىυ من الجيب بيضاء مشرقة لا عن مرض- على حد تعبير سيد قطب- إنما هو خرق للمعهود و خروج عن المألوف، وعليه فهذه المعجزة إنما هي انزياح- بالإضافة إلىالآيات التسع(**) الموجهة إلى فرعون و قومه، و التي لم تذكر في هذا المقام- يثير الدهشة و يبين قدرة الخالق على الإتيان بأفعال عجز عنها بنو البشر.

بعد ذلك نتوقف على خارقة أخرى تتمثل في معجزة العلم، و نقول معجزة؛ لأنّ الله سبحانه و تعالى كشفها لأنبيائه دون اكتساب منهم ولا معاناة لأسباب تحصيلها، فتكون هذه العلوم معجزة لهم و أدلة من دلائل صدقهم، لأنّ مثل هذه العلوم و المعارف لم تكن موجودة في زمن النبي الذي علّمه الله سبحانه إياها، و قد تكون عزيزة المنال حتى لمن يطلبها و يبذل الجهد من أجل اكتسابها و تحصيلها، فمعرفة النبي بها لابدّ أن تكون من أدلة صدقه و مؤيّدات نبوته.

---

207 - النمل: 10.

* الجان: الحية التي ليست بعظيمة. ينظر: ابن محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: تفسير غريب القرآن، شرح و مراجعة: إبراهيم محمد رمضان، منشورات دار و مكتبة الهلال- بيروت- ط1، 1991م، ص: 276.

208- النمل: 12.

لقد أعطى الله سبحانه ً داوود ً وً سليمان ً عليهما السلام كثيرا من العلوم إلى جانب علوم الدين تأييــدا لنبوّهما، قال تعالى:[**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ**] (209)، و لم تبين الآية الكريمة ماهية هذا العلم و نوعه، فقوله سبحانه: "علمًا" بالتنوين إمّا أن يدل على النوع، أي نوعا من أنواع العلم، أو يدل على التعظيم لهذا العلم، أي علما عظيما، و تصدير الآية بقوله تعالى: "**لَقَدْ آتَيْنَا**" باللام الموطئة للقسم، و نون التعظيم في " آتينا" للدلالة على عظمة المـــعطي المتفضل سبحانه و تعالى، و هذا يـــدل أن الله سبحانه و تعالى أعطى ً داوود ً و ًسليمان ً علمـــا عظيمـــا و كبيرا، استقبلاه بحمد الله و شكره على ما أعطاهما " **وَ قَالا الحَمْدُ لله**" عطفه بالواو إشعارًا بأنّ ما قالاه بعض ما أتيا به في مقابلة نعمة العلم، فالواو تدل على فعل محذوف مقدّر، كأنّه قال: ففعلا شكرا له ما فعلا و قالا الحمد لله، فلنـــتأمّل الإعجاز البياني في حرف واحد من حروف الآية الكريمة و ما يحمل هذا الحرف من معانٍ كبيرةٍ(210).

و تأتي الآية الكريمة:[**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**] (211).

[**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ**] يذيعها ً سليمان عليه السلام ً في الناس تحدثًا بنعمة الله و إظهارًا لفضله، لا مباهاة ولا تنفجًا على الناس، و يعقب عليهما:[**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِــينُ**] فضل الله الكاشـــف عن مصدره الدال على صاحبه. فما يملـــك تعليم منطق الطير لبشر إلاّ الله، و كذلك لا يؤتي أحدًا من كـــلّ شيء- بهذا التعميم إلاّ الله.(212)

هذه الخارقة التي تخالف مألوف البشر المتمثلة في تعلم منطق الطير(*) لا على طريقة المحاولة منه و الاجتهاد لتفهّم و سائل الطير و غيره في التـــفاهم، على طريـــق الظن و الحدس كما هو حال العلماء؛ بل هو عـــن طريق الجزم و اليقين لأنها معجزة الله لنبيه ًسليمان ً υ.

هذا الخرق و الانتهاك للطبيعة البشرية إنما هو عدول عن النوع البشري و انزياح عن المتعارف عليه.

(**) لم تعد هنا بقية الآيات التسع، و التي كشف عنها الله تعالى في سورة الأعراف؛ و هي سنون الجدب، و نقص الثمرات، و الطوفان، الجراد، و القمل، الضفادع، و الدم، لأن التركيز هنا على قوة الآية لا على ماهيتها و على وضوحها. ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، المجلد الخامس، الأجزاء 19- 25، بيروت، 1974م، ص:2630.

209- النمل:15.

210 -عبد الحميد محمود طهماز: المعجزة و الإعجاز في سورة النمل، دار القلم دمشق، دار المنارة ،بيروت، ط1، 1987م، ص 39- 40.

211 - النمل: 16.

212 - سيد قطب : في ظلال القرآن ، مجلد 5 ، الأجزاء :19-25 ، ص : 2634 .

* - وقال قتادة : النمل من الطير . ينظر : ابن قتيبة : تفسير غريب القرآن ، ص:276.

على أنّ هذا كلّه لم يكن إلاّ شقّا واحدًا للخارقة- الظاهرة الانزياحية- التي أتاحها الله لعبده ً سليمان ً، أمّا الشق الآخر فكان تسخير طائــفة من الجن و الطير، لتكون تحت إمرته و طوع أمره كجنود من الإنـــس سواء بسواء، و يظهر ذلك جليًّا في قوله تعالى: [وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ](213).

هذا التسخير لجموع من الإنس و الجن و الطير لسيدنا ً سليمان ً هو الخرق للمألوف، والعــدول عــن الطبيعة المتعارف عليها ومتى كان الجن و الإنس و الطير مجتمعات تحت امرأة "رجل".

بعد ذلك أجد نفسي أقف على انزياحين اثنين عن طريق الخارقة و الإعجاز، و ذلك في الآية الكريمــة: [حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ](214)

- **الخارقة الأولى:** هي خارقة إدراك النملة أن هذا سليمان و جنوده، فقد تدرك النملة أنّ هؤلاء خلق أكــبر، و أنهم يحطمون النمل إذا داســوه، و قد يهرب النمل من الخطر بحكم ما أودع الله فيه من القوى الحافظــة للحياة، أمّا أن تدرك النملة أن هذه الشخوص هي ًسليمان ً و جنوده، فتلك هي الخارقة الخاصة التي انزاحت عن المعيار فأصبح للحيوان سلطان.

- **والخارقة الثانية:** هي خارقة إدراك سليمان لتحذير النملة* لقومها، بمعنى أنّه أدرك منطق النملة كما أدرك منطق الطير؛ أي أنّه أدرك منطق الحيوان- إلى حد معين- و هذا مما علمه الله ً لسليمان ً، و لقد تطرقــت إلى وجه الانزياح في هذا الشأن؛ فيما يتعلق بتعلمه منطق الطير في الآية السادسة عشر.

- **و الخارقة الموالية** هي الخارقة المتعلقة بقصــة سليمان مع الهدهد و ملكة سبأ، و ذلك في قوله تعالى: [وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ](215). إنّ إدراك ًسليمان ً غياب طائر من بين هــذه الحشود من الطير و الجن و الإنس؛ هذا من الخرق للمعهود و دليل على الفطنة و الحــزم و الانضباط، كما أنه دليل على قدرة الخالق.

---

213 - النمل: 17.

colin ,Paris (Nouvelle Edition) , 1980,p:7

214 - النمل: 18- 19.

* و قد يقول قائل أنّ العلماء أدركوا لغة النمل. أقول: هذا صحيح لكنه لا يعدوا أن يكون على سبيل التخمين و المحاولة لا على اليقين كما أدركها سليمان، و يقول في هذا الصدد "أندري مارتيني" (1908- 1999م)، فلغة الحيوان غدت من ابتكار الأسطوريين "Une invention des fabulistes"، فلغة النمل "Langage des fourmis" تمثل بالأخرى فرضية "Une hypothèse" أكثر مما تقدم مسلمات للملاحظة". ينظر: Andre Martinet: Eléments de Linguistique Generale. Arland colin ,Paris (Nouvelle Edition) , 1980,p:7

215 النمل: 20.

- **والخارقة الأكثر تجاوزًا للمعيار** هي قصة الهدهد الذي أدرك من أحوال ملكة سبأ و قومها ما يدركه أعقل الناس و أذكاهم و أتقاهم، و كان ذلك أيضًا عن طريق الخارقة و الإعجاز، و ذلك في قوله تعالى: **[فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ]** [216].

حقيقة إنّ سنة الله في الخلق جرت على أن يكون للطير إدراك خاص يتفاوت فيما بينهم، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان، و إنّ خِلقة الطير على هذا النحو حلقة في سلسلة التناسق الكوني العام، و أنها خاضعة- كحلقة مفردة- للناموس العام، الذي يقتضي وجودها على النحو الذي وجدت به.

و طبيعة الهدهد الذي يعدو أن يكون مجرد طائر كسائر الهداهدة التي وجدت منذ ملايين السنين، له العوامل الوراثية نفسها، و التي تكاد تكون صورة طبق الأصل من الهدهد الأول، ومهما بلغ التحوير فيه فهو لا يخرج عن نوعه ليرتقي إلى نوع آخر... و هنا تقع الخارقة عندما يريدها الله خالق السنن و النواميس، و قد تكون الخارقة ذاتها جزءاً من الناموس العام، الذي لا نعرف أطرافه جزءا يظهر في موعده الذي لا يعلمه إلاّ الله، يخرق المألوف و المعهود للبشر- بإدراكه حقيقة مملكة سبأ- و يكمل ناموس الله في الخلق و التناسق العام.[217]

بعد ذلك انتقل إلى ظاهرة أخرى خارجة عن المألوف، و ذلك في قوله تعالى: **[قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ]**[218].

و أتوقف هنا عند قوله تعالى: **[الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ]** و هو الذي يعرض إحضار عرش الملكة في غضون طرفة عينٍ لسليمانٍ ، و لم يذكر اسمه ها هنا و لا الكتاب الذي عنده علم منه، وإنما نفهم- والقولٍ لسيد قطبٍ - أنه رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سرًّا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز و الأبعاد، و هو أمر يشاهد أحيانًا على أيدي بعض المتصلين، و لم يكشف سره ولا تعليله لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية[219].

---

216 النمل: 22- 23.
217 - سيد قطب: في ظلال القرآن، ص: 2635.
218 - النمل: 40.
219 - سيد قطب: مرجع سابق، ص: 2641.

وهنا تظهر ظاهرة الانزياح، و لا أعني بذلك مخالفة هذا الذي عنده "علم من الكتاب" قدرة الآخـــرين، و ذلك من خلال قدرته على إحضار عرش المـــلكة قبل أن يرتد طرف ًسليمان ًυ، بعدما عرض عليه عفريت من الجن إحضاره قبل أن يقوم من مقامه - ًسليمان ً- فاستطول سليمان هذه الفترة و استبطأها فيما يبدو.

و تأسيسًا على ما تقدم تظهر ظاهرة الانزياح من خلال هـــذه الخارقة التي لا تقع في مـــألوف الحيـــاة، و التي جرت بإذن الله و تدبيره و تسخيره حيث لا يملك من لم يرد الله أن يجريها على يده أن يجريها. و من ثم تبدو المعجزة الإلهية جلية في الإتيـــان بما هو خارق للمعهود، و الذي يعجز أمامه سائر المخلوقات، و الـــتي اعتبرتها انزياحات، و كما وردت الانزياحات الخارجة عن نطاق اللغة كذلك و ردت أيضًا انزياحات لغوية في إطار ما يسمى بـــ "الأسلوب العدولي"، و هي ما سأتطرق إليه فيما سيأتي من البحث.

المفاجأة الأخرى- و المفاجأة و الدهشة من أهم ما تحدثه ظاهرة الانزياح عند المحدثين- الـــتي تســـتدعي التوقف عند حدودها و تأملها و الاعتبار منـــها هو الصرح الممرد من قوارير، أقيم على أرضية فـــوق المـــاء و ظهر كأنه لجـــّة، فلما قيل لها: "أدخُلي" كشـــفت عن ساقيها، و بعدما تمت المفاجأة كشف لها ًسليمان ً عن سرها، و تتجسد هذه الحادثة جليا في قولهY: [**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**] (220).

هنا وقفت الملكة مفجوءة مدهوشة أمام هذه العجائب التي تعجز البشر، و تدل على أنّ سليمان مسخر لـــه قوى أكبر من طاقة البشر؛ فهي قوى خارقة للعادة و خارجة عن المألوف، متزاحة عن المتعارف عليه، فرجعت و أسلمت " مع سليمان" لا ً لسليمان ً، و لكن "لله ربّ العالمين".

[**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**] (221)، و الانزياح الوارد في الآيتين الكريمتين هو القيام بفاحشة الشذوذ الجنسي بإتيـــان الرجال و ترك النساء على غير الفطرة التي فطر الله الناس عليها، بل عامة الأحياء، و هذا الانحراف عن نسق الفطرة، و الشذوذ- و ما الانزياح إلا شذوذ بتعبير بعضهم غريب، والأغـــرب منـــه أن تنحرف الفطرة انحرافًا جماعيا كما حدث في قوم لوط، بدون ضرورة دافعة إلى عكس اتجاه الفطرة المستقيمة التي جعلـــها الله بميل الجنـــس إلى الجنس الآخر، لأنه جعل الحيـــاة كلها تقوم على قاعدة التزاوج، حتى التي لا يوجد لها من جنسها ذكر و أنثى تجتمع خلايا التذكير و التأنيث في آحادها و تتكاثر بهـــذا الاجتمـــاع؛ و عليه فهذا الخرق لسنن الله و هـــذا الشذوذ و الخروج عن مألوف البشرية لهو الانزياح و العدول.(222)

---

220 - النمل: 44.

221 - النمل: 54- 55.

222 - سيد قطب: في ظلال القرآن، ص:2643.

[وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ][223]، و يقول سيد قطب في هذا المقام و لا يـــذكر تفصيلات هنا عن هذا المطر المهلك كما وردت تفصيلاته في السور الأخرى، فنكتفي نحن بهذا مجاراةً للسياق، و لكننا نلمح في اختيار هلاك قوم لوط بالمطر، و هو الماء المحيي المنبت أنه مماثل لاســـتخدامهم مـــاء- مـــاء النطف- في غير ما جعل له، و هو أن يكون مادة حياة و خصب...و الله أعلم بقوله و مراده، و أعلم بســـننه و تدبيره، وإن هو إلاّ رأي أراه في هذا التدبير- على حد تعبير سيد قطب-[224]

بهذا الذي أسلفت بسطه في محاولة لرصد بعض الانزياحات غير اللغوية الـــواردة في "ســـورة النمـــل"، و المتصلة أساسًا بالخوارق، و التي تظهر من خلالها قدرة اللهY و التي تفوق كلّ إدراك و توقع مـــن خـــلال كسر نمطية المألوف و توليد اللاّمنتظر و اللاّمتوقع، و حسب هذا برهنة للإعجاز الرباني الخارق للمعهـــود، و تبقى البؤرة المهيمنة لهذا الإعجاز الذي كان من خلال الانزياحات غير اللغوية الواردة في سورة النمل هي: *دلالة التوحيد*.

223 - النمل: 58.
224 - سيد قطب: المرجع السابق ، ص: 2648 .

II – الانزياحات اللغوية :

:6

في هذا الجزء من البحث المخصص للجانب الصوتي و الصرفي سأحاول رصد الانزياحـــات الـــواردة في سورة النمل، مع الإشارة إلى صعوبة الفصل بين مستويات اللغة لأنها متداخلة جدّا، و كل مستوى نجده متعلّقًا بالآخر، و أنا في حقيقة الأمر بصدد إجراء دراسة أسلوبية، و الدراسة الأسلوبية كما يعلم الجميع غايتــــــها القصوى دراسة التضافر الأسلوبي، و عليه فالفصل بين المستويات يكاد يكون مستحيلاً إن لم أقل مســـتحيل، و إنما قيامي بذلك لما تقتضيه دواعي المنهجية فقط.

أ- الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم :

إنّ المتناهي في الفصاحة و العلم بالأساليب التي يقع فيها التفاحص، مـــتى سمـــع القــــرآن عـــرف أنـــه مـــعجز[225]، و إنّ إعجاز القرآن الكـــريم إنما هو في رصفه و نظمه في قليله و كـــثيره، و هـــذا الـــنظم يشتمل بلا ريب كل حرف في القرآن، فالنظـــم و الرصف يبدأ من نظم و رصف الأحرف في الكلمات أو أقل اختيار كلمات مشتملة على أحرف مخصوصة، و من ثم يقع الإعجاز و التحدي برصف هذه الأحرف و نظمها في نسق خاص، تدل على معاني القرآن و أسراره. و من ثم ورد عن "ابن عطية" في المحرر الوجيز قوله:« لو نزعت حرفًا من القرآن ثم أدرت اللغة من ألفها إلى بائها لتجد ما يسده، فلن تجد »[226]، و مـــن ثم فإنّ المقصود بالإعجاز الصوتي للقرآن مجيئه على هيئة خاصة من جهة البناء الصوتي، أو التشكيل الصوتي سواء لكلماته أو جمله و آياته، أو على المستوى الموسيقي أو الإيقاعي في السورة بأسرها، و مدى موافقة ذلـــك و اتساقه و تواؤمه مع المعاني و المقاصد التي تقصد إليها السورة على نحو من المواءمة و المطابقة العجيبـــة التي يستبعد وقوعها في مثل كلام البشر بهذه الدرجة من المطابقة و الموافقة و المواءمة لمعاني الكلام.[227]

و عن هذا- إعجاز النظم الموسيقي- تحدث مصطفى صادق الرافعي؛ حيث قال:« و حسبك بهذا اعتبارًا في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، و أنه مما لا يتعلق به أحد، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها و مخارجها، و مناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس و الجهر، و الشدة والرخـــاوة، و التنغـــيم و الترقيـــق، و التفشي و التكرير، و غير ذلك»[228] .

و يضيف أيضًا:« و ليس ينفي أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، و أنّ هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرج فيه مدّا أو غنّةً أو لينًا أو شدة، و بما يهيء له من الحركـــات المختلفـــة في

---

225 - أبو بكر الباقلاني: إعجاز القرآن (في حاشية الإتقان للسيوطي)، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دت، ج1، ص: 35

226- أورده: هنداوي عبد الحميد: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، الدار الثقافية للنشر - القاهرة- ط1، 2004م، ص: 13.

227 - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

228 - مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط8، 1965م، ص: 177.

اضطرابه، و تتابعه على معايير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز و الاجتماع أو الإطناب و البسط، مقدرا ما يكسبه من الحدة و الارتفاع و الاهتزاز و بعد المدى و نحوها مما هـو بلاغـة الصوت في لغة الموسيقى»(229) .

و لن أركز في بحثي هذا على دراسة الدلالة الصوتية للكلمة من خلال النظر في صفات الأصوات من حيث الجهر و المس و الرخاوة و الشدة و الانطباق و الانفتاح و الاستعلاء و الانخفاض و الصفير و الاستطالة و التفشي و المد و اللين و التكرير... و غير ذلك، و إنما سأركز على الانزياحات الواردة على مستوى الأصوات مع الإشارة إلى هذه الصفات و ما يصاحب الكلمة من ظواهر صوتية كالنبر و التنغيم كلما اقتضى الأمر ذلك.

سأحاول في هذا الجزء من البحث؛ التطرق إلى الظواهر الانزياحية الناجمة لقصد رعاية الفاصلة القرآنية من عدول بأقسامه الثلاثة، و تقديم و تأخير، و حذف الياء التي هي ياء المتكلم، بعد ذلك أعرج على القراءات القرآنية لأستشف منها ملامح انزياحية من خلال الاختلاف في القراءات، متخذة النص المصحفي المعيار برواية "حفص" مع الإشارة إلة نظرة "كابرونا" للقرآن مع النقد، بعد ذلك أقف على بعض الظواهر الناتجة عن اختلاف رسم الكلمات في المصحف و الحكمة فيه من زيادة و حذف، ثم أتوقف عند ظاهرة الإدغام من منظور جمالي اختياري، و في الختام أعرض بعض القضايا المختلفة و المتمثلة في انزياحات صرفية تحت عنوان أشتات مجتمعات. مع نماذج تطبيقية لكل ظاهرة من هذه الظواهر من سورة النمل.

أوّلاً: الفاصلة القرآنية و جمالية الانزياح فيها:

يوجد في القرآن الكريم إيحاء باسم الفاصلة، و ذلك في قوله تعالى:﴿ **كِتَابٌ فُصِّلَتْ** ﴾(230)، و ﴿ **آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ**﴾(231).

و الفاصلة لغة: لمادة (ف ص ل) في اللغة العربية عدد من المعاني المتلاقية ترادفًا أو تضادًّا سأذكر هنا بعضها فقط و منها:

- الفصل: بون ما بين الشيئين، و الفصل من الجسد: موضع المفصل، و بين كل فصلين وصل، مثل ذلك: الحاجز بين الشيئين، و الفصل القضاء بين الحق و الباطل...(232)

و الفاصلة اصطلاحًا: " في علوم القرآن"

« يقصد بها أواخر الآيات في كتاب الله Y فواصل بمنزلة قوافي الشعر جل كتاب الله، واحدها فاصلة»(233).

و لم يعدم العلماء أن يجدوا في القرآن الكريم مستندًا للمصطلح أو احتجاجًا به، حين الاختلاف على تمييز مصطلحات القرآن. قال ابن منظور في لسان العرب و قوله Ψ : [**كِتَابٌ فُصِّلَتْ**] بيناه

---

229 - مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن ، ص: 177- 178.
230 - الأعراف :52 .
231 - الأعراف: 133.
232 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (ف ص ل) و دائرة المعارف الإسلامية مادة (ف ص ل).
233 - ابن منظور: لسان العرب، ج11، مادة (ف ص ل).

بقوله Y : ﴿ آيَاتٌ مُفَصَّلَاتٌ] بين كل آيتين فصل، تمضي هذه و تأتي هذه، بين كل آيتين مهلة، و قيل: مفصلات: مبينات. و الله أعلم، و سمي "المفصل" لقصر إعداد سوره من الآي»[234].

و الملاحظ أنّ هذه المدلولات لا تخرج عن سنن المدلول اللغوي "فصلناه" أو "مفصلات"، لما رأينا- على حد تعبير "محمد الحسناوي"- و بذلك يتعانق المدلول اللغوي و المدلول الاشتراطي أو الإجرائي فضلاً عن المدلول "الشيئي"[235].

لم يمنع اتفاق العلماء على المصطلح "فاصلة" من أن يختلفوا في تعريفه، فمن تعريفاتهم قول "الرماني": « الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، يقع بها إفهام المعاني»[236].

- و قول "أبو عمرو الداني": « الفاصلة كلمة آخر الجملة»*[237].

- و قول "الزركشي": « الفاصلة هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر، و قرينة السجع»[238].

و بوسعنا- و القول "لمحمد الحسناوي"- أن نخرج الآن بتعريف للفاصل، جامع مانع، مع شيء من التوفيق و التدقيق، فنقول: الفاصلة: كلمة آخر الآية كقافية الشعر، و سجعة النثر، والتفصيل: توافق أواخر الآي في حروف الرويّ أو في الوزن مما يقتضيه المعنى، و تستريح إليه النفوس.[239]

و قد تطرّق إلى موضوع الفاصلة الكثير من اللغويين المحدثين لأهميتها، أذكر منهم: "مصطفى صادق الرافعي"، "سيد قطب"، "إبراهيم أنيس"، "عائشة عبد الرحمن"، "عبد الكريم الخطيب" و "محمد الحسناوي"... و لا يسعني المقام هنا للتفصيل.

و قد صنف القدماء فواصل القرآن باعتبار الكيف إلى خمسة أنواع:

1. **الفواصل المتماثلة**: و هي ما تماثلت أصواتها، أو المتجانسة كما يسميها "الرماني" في "النكت"، وذلك في مثل قوله تعالى:

[وَالطُّورِ] [وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ]
[فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ] [240] .

2. **الفواصل المتقاربة**: و هي ما تقاربت أصواتها و لم تتماثل، من هذا النوع قوله تعالى:

---

234 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل).
235 - محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن الكريم، دار عمار للنشر و التوزيع، ط2، 2000م، ص: 25.
236 - الباقلاني: النكت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص: 89.
* 237 و فرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل و رؤوس الآي، فقال: أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل مما بعده و الكلام المنفصل قد يكون رأس آية و غير رأس، و كذلك الفواصل يكون رؤوس آي، و غيرها، و كل رأس آية فاصلة، و ليس كل فاصلة رأس أية. ينظر: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1408هـ/ 1998م، ج1، ص: 53- 54.
238 - المرجع نفسه ، ج1، ص:53.
239 - محمد الحسناوي: المرجع السابق، ص: 29.
240 - الطور: 1- 3.

[ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ] (241)

فالدال و الباء متقاربين، لكونهما صوتين مجهورين من أصوات القلقلة.

3. **الفواصل المتوازية**: و هي التي تتفق فيها الكلمتان في الميزان، و أصوات الفاصلة، كقوله تعالى:

[فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ] (242).

4. **الفواصل المتوازية**: و هي أن يراعى في مقاطع الكلام الميزان فقط، كقوله تعالى:

[وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ] (243) 244 .

5. **فواصل المطرف**: و هي أن تتفق الكلمتان في أصوات الفاصلة، لا في الميزان، كقوله تعالى:

[مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا] (245).

كما أنّ الفواصل أيضًا تنقسم باعتبار الكم أو الطول إلى ثلاثة أقسام:

- فواصل قصيرة.
- فواصل طويلة .
- فواصل متوسطة .

و تتميز الصور المكية- بوجه عام- ببنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة، لتتابعها و بروز موسيقاها- و سورة النمل منهم- و ترتبط هذه السمات الصوتية للخطاب المكي بحرارة التعبير على المستوى الأسلوبي؛ إذ يكثر في السور المكية أسلوب القسم، و أسلوب الاستفهام الإنكاري، و التحذير و الوعيد، و ضرب الأمثال للإفهام(246).

و عليه، فالفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة مهمة تراعى في كثير من آيات القرآن، و ربما أدّت رعايتها إلى تقديم عنصر أو تأخيره من عناصر الجملة، و لقد يتكلم البلاغيون في أغراض التقديم و التأخير فيوردون من أسباب ذلك أمورًا تدور حول رعاية المعنى، ربما جعلوا الاهتمام بمدلول اللفظ عنوانًا يندرج تحته الكثير من هذه الأمور، و هذا أمر لا اعتراض عليه، و لكن الشيء الذي لا أجده يشكل موسع هو اعتبار ورود التقديم و التأخير لمراعاة الفاصلة، و هذا يتفق تماما مع ما ذهب إليه تمام حسان في قوله:« و لكنني لا أعلم واحدًا

---

241 - ق: 1- 2.
242 - الغاشية: 13- 14.
243 - الغاشية: 15- 16.
244 - محمد سليمان العبد : من سور الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد36 ، السنة 9 ، الكويت ، ص :86-87.
محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن ، ص:145 وما بعدها .
245 - نوح: 13- 14.
246 - محمد السيد سليمان العبد: المرجع السابق، ص: 87- 88.

منهم جعل من أغراض التقديم و التأخير الانتفاع بجرس اللفظ، ربما تركوا ذلك لاهتمامات الشعراء أنفسهم عند اختيارهم للقوافي»[247].

و عليه سأحاول استخراج بعض هذه الانزياحات الواردة في سورة النمل لرعاية الفاصلة، وسيكون عبارة عن جهد فردي يحتمل الصواب و الخطأ بالاعتماد على بعض الإشارات التي وجدتها في هذا المجال، و يكون ذلك من خلال هذه العناصر:

1. **العدول:** و له ثلاثة أشكال.
2. **التقديم و التأخير**.
3. **حذف الياء التي هي لام الكلمة أو ياء المتكلم**.

و في محاولة لرصد هذه الانزياحات التي تشهد أنّ الفاصلة القرآنية قيمة صوتية ذات وظيفة معينة في القرآن الكريم، هذه الوظيفة الجمالية تستحق الرعاية و لو تعارضت رعايتها مع بعض أنماط التراكيب النحوية، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، لا بنحو عربي متين، و هكذا امتدت تراكيبه على رحاب اللغة، و لم تنحبس في بوتقة القواعد النحوية، فالقرآن يهيمن على اللغة كلها، ما اطرد منها و ما لم يطّرد، فنجده يتحدى أصول النحاة بالعدول، كما أنّه يتحدّى قواعدهم بالترخص؛ وهذا العدول و ذاك الترخص قد يكون لرعاية الفاصلة[248]، بالإضافة إلى الأغراض البلاغية الأخرى التي نجدها في مثل هذه الحالات.

النماذج الإجرائية الواردة في سورة النمل لغاية رعاية الفاصلة القرآنية:

1. العدول من أجل رعاية الفاصلة:

تحدثت فيما أسلفت بسطه أنّ العدول من أهم المظاهر التي جاءت لرعاية الفاصلة القرآنية، و له ثلاثة أشكال في تفريعات القدماء، و هي:

أ/ العدول عن إيراد أحد القسمين مطابقا للآخر.

ب/ العدول عن إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي أورد نظيرها من الجملة الأخرى.[249]

ج/ العدول عن صيغة المضي إلى الاستقبال.[250]

سأحاول رصد هذه العدولات الواردة في سورة النمل لغاية رعاية الفاصلة.

---

247 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 282.
248 -المرجع نفسه ، ص: 283.
249 - محمد السيد سليمان العبد: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 89.
250 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1/

- نمــاذج تطبيقية للعدول في سورة "النمل" لغاية رعاية الفاصلة:

ت1- قال تعالى: [**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**][251] في هذه الآيــة الكريمــة عدول؛ هذا العدول في إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي أورده نظيرها في الجملة الأخرى، و يمكن تخريجها على النحو التالي: أصدقت أم كذبت؟ و هذا هو مقتضى الظاهر*، بالإضافة إلى ذلك فإنه لا يمكــن نفي أغراض أخرى لهذا العدول**.

ت2- و الآن مع نموذج آخر من نماذج العدول مراعاة للفاصلة، و ذلك في قوله تعالى: [**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**][252]. نستطيع القول أنّ في الآية الكريمة عدول عن إيراد القسم الثاني من الآية مطابقًا للقسم الأول منها، و ذلك لغاية رعاية الفاصلة، و كان بالإمكان أن تكون على النحو التالي: فمن شكر فإنمــــا يشــكر لنفسه و من كفر فإنما يكــفر لنفسه أو عليــها، أي: فضرر كفرانه عليها، و الملاحظة هنا أنّ الانزياح الواقع في هذه الآية الكريمة هو الإتيان بلفظة "كريم" رعاية للفاصلة، وكان ذلك كذلك لأنّ الآية التي قبلها جـــاءت فاصلتها على هذا النحو، و يتضح ذلك جليا حينما نتأمل قوله تعالى:[**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**] [253]. فإذا ما عقدت موازنة بين الآيتين أجد أنّ لهما الوزن نفسه؛ فكلمة:

أَمِيــنٌ ←—— فَــعِيلٌ ←—— *0/0//*

كَــرِيمٌ ←—— فَــعِيلٌ ←—— *0/0//*

و هذا التوازي في الوزن مما يحدث إيقاعًا و انسجامًا موسيقيا. و من ثم كان هذا الانزياح ذو سمـــة جماليـــة بالإضافة إلى أغراض أخرى تتجلى في استغناء المولى سبحانه و تعالى عن شكر عباده، و هو كريم يترك العقوبة و بالإنعام على من كفر نعمته و لم يشكر.[254]

---

251 - النمل: 27.

* غير أنّ النظم القرآني أثار هذه العبارة "أم كنت من الكاذبين" للإيذان بأنّ كذبه في هذه المادة يستلزم انتظامه في سلك الموسومين بالكذب، الراسخين فيه. ينظر: أبو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي: روح المعاني و تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني، قرأه: محمد حسين العرب، دار الفكر للطباعة و النشر - لبنان- 1414هــ/ 1994م، المجلد الحادي عشر، ص: 288.

** "أصدقت أم كنت من الكاذبين"، أي: أم كذبت و التغيير للمبالغة و محافظة الفواصل. ينظر: البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، دار الجبل- بيروت- دت، ص: 502.

252 - النمل: 40.

253 - النمل: 39.

254 - ينظر: الألوسي: روح المعاني، ص: 307.

محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الجيل- بيروت- ط8، 1995م، المجلد الثاني، ص: 409- 410.

ت3- ثالث انزياح يمكن ملاحظته مجسد في قوله تعالى:[قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ][255].

و يمكن تخريج هذه الآية على النحو التالي: "أهتدي أم لا تهتدي؟" أو "أم لا"، و هذا الانزياح متلق بالعدول عن إيراد أحد جزئي الجملتين على الوجه الذي ورد نظيره.

ت4- قال تعالى:[وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ] [256]. و وجه الانزياح هنا في إيراد الجزء الثاني من الجملة على غير الوجه الذي ورد عليه الأول، ذلك أنّه يمكن تخريج هذه الآية على النحو التالي: "ما تكنُّ صدورهم و ما تعلن صدورهم"، و نجد هنا طباقًا بين كلمتي "تكِنُّ" بمعنى "تخفي" و "يعلنون".

ت5- قال تعالى:[وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ][257]. و وجه العدول هنا هو عدم إيراد القسم الثاني مطابقًا للقسم الأول، و ذلك لرعاية الفاصلة و تخريج هذه الآية هو: و من ضلّ فإنما يضل لنفسه أو عليها.

ت6-قال تعالى:[قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ][258].

ويمكن تخريجها على النحو التالي : "ما كنت قاطعة أمرًا حتى أشهدكم".

و العدول الذي يمكن ملاحظته في هذه الآية هو العدول من صيغة الماضي إلى المستقبل.

هكذا و تأسيسًا على ما تقدم يتبين أنّ العدول- الانزياح من هذا المنطلق- بهذا المفهوم أحد أشكال التنوع الأسلوبي " Stylistic Variation "، أو تنويع الكلام*، و تنويع الكلام و الافتتان فيه أفضل من الاستمرار على ضرب واحد، ذلك أنه « كلما كان الكلام مقتصرًا به على فن واحد من الإبداعات، و إن كان حسنًا في نفسه، لم يحسن لأنّ ذلك مؤدٍّ إلى سآمة النفس، فإنّ شيمتها الضجر مما يتردد و الولع بما يتجدد»[259]. و من ثم كان للعدول بأشكاله المختلفة قيمة أسلوبية تعبيرية، من حيث إيراد أحد قسمي

255 - النمل: 41.
256 - النمل: 74.
257 - النمل: 92.
258 النمل: 32.
* و قد لاحظ القدماء ذلك و منهم القرطاجني (ت 684هـ) حيث يقول:« و يحسن أيضًا أن يقصد تنويع الكلام من جهة الترتيبات الواقعة في عباراته و في ما دلت عليه بالوضع في جميع ذلك، و البعد به عن التواطؤ و التشابه، و أن يؤخذ الكلام من كل مأخذ حتى يكون مستجدا بعيدًا عن التكرار، فيكون أخف على النفس و أوقع منها بمحلّ القبول. و يقتدر على هذا بمعرفة كيفيات تصاريف العبارات و هيئات ترتيبها و ترتيب ما دلت عليه، و البصيرة بضروب تركيبها و شتى مآخذها». ينظر: حازم القرطاجني: مناهج البلغاء و سراج الأدباء، تقديم و تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية – تونس- 1966م، ص: 16- 17.
259 - المرجع نفسه، ص: 61.

الجملة علة غير الوجه الذي تتوقعه آلية السماع و التلقي، بالإضافة إلى ذلك ما توفره هذه الفواصل التي عدل من أجلها للكلام من تناغم و انسجام صوتي، إذ جاءت الآية بعد الآية.

2- التقديم و التأخير لغاية رعاية الفاصلة:

لعله من أهم مظاهر رعاية الفاصلة القرآنية التي أشار إليها القدماء: التقديم و التأخير، في وحدات الجملة متى كان ذلك جائزًا و لا لبس فيه، و لما كانت لغة القرآن الكريم هي النموذج الأعلى للعربية، وجب- إذ ذاك- النظر إلى هذه الظاهرة مرتبطة بتحقيق غاية أسمى هي (المناسبة) بين الفواصل التي لم يعرفها كلام العرب قط في صورتها المثالية التي عرفت بها في كتاب الله تعالى.

و إذا كان التقديم و التأخير- مرتبطًا بالفواصل- من المسائل الدقيقة في لغة القرآن الكريم، فإن بعض البلاغيين القدماء قد فطن إلى قيمته في حسن نظم الكلام. ولقد فسرت كثير من مواضع التقديم و التأخير في القرآن على أنها للاختصاص، و من ذلك قوله تعالى:[**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**][260]. فقد ذكر الزمخشري في تفسيره أنّ التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص[261].

على العكس من ذلك ما ذهب إليه "ابن الأثير"(ت 637هـ) و ذلك في قوله:« لم يقدم المفعول فيه على الفعل للاختصاص، وإنما قدم لمكان النظم، لأنه لو قال "نعبدك" و "نستعينك" لم يكن له من الحسن ما لقوله "إياك نعبد و إياك نستعين"، ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى:[**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**]، فجاء بعد ذلك قوله: "إياك نعبد و إياك نستعين"، و ذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو حرف النون، و لو قال "نعبدك" و "نستعينك" لذهبت تلك الطلاوة و زال ذلك الحسن»[262]. و من ثم جاز للباحثين إعادة النظر في مبحث الاختصاص في البلاغة العربية أو على الأقل في لغة القرآن، ما دامت للفواصل هذه القيمة الكبرى في تعديل الكلام و حسن النظم.

إنني أرى- و القولُ لمحمد السيد سليمان- أنّ فهم التقديم و التأخير مرتبطًا بقيمة الفاصلة في إطار النظم الصوتي القرآني، و هو من أهم الأسباب التي تدعونا إلى إعادة النظر في مناقشات القدماء من البلاغيين و المفسرين لمسألة (الاختصاص) في بلاغة القرآن الكريم.[263]

260- الفاتحة: 05.

261 - محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، ، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان- ط3، 1987م.

262 - أبو الفتح ضياء بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1939م، ج2، ص: 39.

263- محمد السيد سليمان العبد: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 103.

النماذج التطبيقية لحالة التقديم و التأخير لرعاية الفاصلة في سورة النمل:

ت1- قال تعالى:[**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**][264].

رتبة أصلية:	رتبة مشوشة من أجل الفاصلة:
- إنه بما تفعلون خبير.	- [**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**]

واعتبار هذه الآية متراحة، أي: وقع فيها التقديم و التأخير من أجل الفاصلة، انطلاقًا من مقارنتها بالآيات الأخرى الواردة في سور القرآن الكريم، حيث لا يكون للاختصاص شأن في ذلك:

فنحن نقرأ قوله تعالى:[**إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**][265]، و [**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**][266] حيث تكون الفاصلة رائية، بينما نقرأ قوله تعالى: [**إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**][267]، و قوله تعالى:[**وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**][268]، و [**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**][269]، و [**إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**][270].

و [**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**][271]، و [**وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ**][272]، حيثما تكون الفاصلة نونية.

إنّ مراعاة المناسبة بين الفواصل القرآنية- و هذا سر عظيم من أسرار القرآن- لم يخل على الإطلاق بالارتباط المعنوي بين الفاصلة و الآية، ذلك أن القرآن يقوم على التمهيد للفاصلة تمهيدًا تأتي به ممكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة غير نافرة ولا قلقة، يتعلق معناها بمعنى الكلام كله تعلقًّا تامًّا، بحيث لو طرحت اختل المعنى و اضطرب الفهم.[273]

---

264 - النمل: 88.
265 - هود: 111.
266 - هود: 112.
267 - النمل: 88.
268 - التوبة: 16.
269 - النور: 53.
270 - النور: 30.
271 - الحجرات: 18.
272 - آل عمران: 163.
273 - محمد السيد سليمان العبد: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص: 104.

و ما أريد الخلوص إليه هو أنّ: التقديم و التأخير قد يأتي لرعاية الفاصلة كما سبق و أن أشرت، كما أنّ يأتي لأغراض أخرى مثل الاختصاص، و قد يكون من أجلهما معا، و من ثمّ القول بوجود علاقة بين الفاصلة و معنى الآية، و الله أعلم.

ت2- و من أمثلة ذلك قوله تعالى:[**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**][274]، يقولً محمد الطاهر بن عاشورً: « و جملة "و هم بالآخرة هم يوقنون" عطف على الصلة و ليست من الصلة، و لذلك خولف بين أسلوبها و أسلوب الصلة، فأوتي له بجملة اسمية اهتمامًا بمضمونها لأنّه باعث على فعل الخيرات، على أنّ ضمير (هم) الثاني يجوز أن يعتبر ضمير فصل دالاً على القصر، أي: ما يوقن بالآخرة إلاّ هؤلاء.و القصر إضافي بالنسبة إلى مجاوريهم من المشركين، و إلاّ فإنّ أهل الكتاب يوقنون بالآخرة إلاّ أنّهم غير مقصود حالهم للمخاطبين من الفريقين، و تقديم "بالآخرة" للرعاية على الفاصلة و للاهتمام بها »[275]، و في صورة النمل أمثلة أخرى مشابهة سأتطرق إليها في الفصل القادم.

3- حذف الياء التي هي ياء المتكلم لرعاية الفاصلة:

فيما أسلفت بسطه، تحدّثت عن حذف الياء لأجل رعاية الفاصلة، و قد تكون هذه الياء لام الكلمة أو ياء المتكلّم، و في محاولة لرصد هذه الظاهرة الانزياحية في صورة النمل، توقفت عند قوله تعالى:[**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**][276]

و المتأمّل لقوله تعالى يجد أنّ ياء المتكلم محذوفة، ذلك لرعاية الفاصلة، و يمكن ردّها إلى الصورة الأصلية لملاحظة الفرق:

رقم الآية	الصورة الواردة في المصحف"الآية"	الصورة الأصلية/ المعيار
32	[**مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**]	ما كنت قاطعة أمرًا حتّى تشهدوني

من خلال الجدول يتّضح أنّ ياء المتكلم هنا محذوفة، و هذا في جميع القراءات وصلاً و وقفًا باستثناء "يعقوب" الذي قرأ بإثباتها وصلاً و وقفًا؛ و معنى [**حَتَّى تَشْهَدُونِ**] : توافقوني فيما أقطع، و يقولً محمد الطاهر بن عاشورً :« و النون في "تشهدون" نون الوقاية، و حذفت ياء المتكلم تخفيفًا و ألقيت كسرة النون المجتلبة لوقاية الحرف الأخير من الفعل عن أن يكون مكسورا، و نون الوقاية دالة على المحذوف»[277].

---

274 - النمل: 3.

275 - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع و الإعلان، د ت، الجزء التاسع عشر، ص: 219.

276 - النمل: 32.

277 - محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج 19، ص: 263.

و لقد أثارت هذه المسألة- حذف الياء بأنواعها لـــرعاية الفاصلة- جدلاً كـــبيرًا بين مؤيّد و معارض*، و يرجع أصحاب الرأي الثاني العلة في ذلك إلى التخفيف أو خصائص بعض اللهجات، أو التقاء الساكنين أو طول اللفظة...

و بالرّغم من صعوبة القطع بأثر الفاصلة في الحذف، فإنّ احتجاجها بوقوع الحذف في أواسط الآيـــــات و درج الكـــلام مثـــل قوله تعالى:[**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُـرٍ**](278)، و كذلك قوله تعالى:[**وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ**](279)،وترى أن القائلين بالحذف لرعايـــة الفاصلة لا ينهض دليلاً مقنعا على نفي ما ذهب إليه القدماء، و لا يقدّم حلاً شافيًا لهذه المسألة الدقيقة، على أنّ احتجاجها* بوقوع الحذف في درج الكلام فيه نظر، فللحذف أثر إيقاعي واضح لمحافظة القـــرآن علـــى موسيقى الفواصل، أمّا الحذف الداخلي فقد نتج عنه تحقيق نوع من التوازن الموسيقي الداخلي للكلام.(280)

و في الأخير يمكن القول أنّ الحذف يحقق للكلام نوعًا من التوازن الإيقاعي الذي يفقده مع ثبوتها أو إيرادهـــا فإذا لم تحذف الياء في المواضع التي حذفت في القرآن الكريم – حوالي سبعة و ثمانين موضعًا بنوعيها- أحسسنا بشيء من الكسر في الموسيقى الداخلية لتلك الآيات و الموسيقى الخارجية المتعلّقة بالفواصل.

و ما أود الإشارة إليه هو أن رعاية الفاصلة القرآنية لها أشكال أخرى -بالإضافة إلى الأشكال التي توقفت عندها-، و قد ذكرها الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، و هي: زيادة حرف، حـــذف همـــزة أو حرف اطّرادا، الجمع بين المجرورات، إفراد ما أصله أن يجمع، جمع ما أصله أن يفرد، تثنية ما أصله أن يفـــرد، تأنيث ما أصله أن يذكّر، زيادة كلمة، صرف ما أصله ألاّ يصرف، التكرار، إمالة ما أصله ألاّ يمال.(281)

و بعد هذه الوقفة التي كانت للبحث، يمكننا القول أنّ الفاصلة القرآنية من أشهر المظاهر القرآنية للمناســـبة الصوتية التي لا تحتملها القاعدة؛ فهي انزياح عنها، ذلك أنّها تأتي طبقا لاختيار أســـلوبي مقصود.

ثانيا: القراءات القرآنية من منظور انزياحي:

انطلاقا من القراءات القرآنية** التي أعنيها هي السبع التي تواترت عن شخص النبيρ ، ثم الثلاث التي في حكم المتواترة، و المكملة للعشر، للوصول إلى الظواهر الانزياحية في الصوت و الصرف،حيث يقوم المبـــدع بالعدول عن القاعدة اللغوية الثابتة أو الشائعة، لأجل الإتيان بلفظ يحاكي بهيئة النطق فيه معنى يقتضيه السياق أو المقام، مثلما سنرى ذلك في كلمة "ساقيها" لاحقا بقراءة من قرأ بالهمزة.

---

*ترى (عائشة عبد الرحمن) أنّ تعليل الحذف لرعاية الفاصلة، ليس من المقبول لأنّه ليس من المقبول أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، و أنّما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقوّيه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل. ينظر: محمد السيد سليمان العبد: من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ص:97.

278 - القمر: 6.

279- ق:41.

**أقصد هنا عائشة عبد الرحمن التي تقول أنّ الحذف الذي حدث في درج الكلام و في أواسط الجمل، ليس لرعاية الفاصلة، و ترى أن القائلين بالحذف لرعاية الفاصلة « قد تعجّلوا بمثّل هذا القول في آيات الفجر و نظائرها، محتكمين إلى قواعد اللغويين و النحاة في المعتل الآخر و المنقوص. ينظر: محمد السيد سليمان العبد: من صور الإعجاز الصوتي، ص: 94.

280 - المرجع نفسه، ص:94.

281 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص:60- 67.

هذه القراءات و ما فيها من اختلاف و إن كانت يسيرة و محصورة كلها و مضبوطة لا زيادة فيها ولا نقص و لا تناقص، يمكن القول أنها تشكل ظاهرة انزياحية عن الشكل الموجود في المصحف الشريف برواية "حفص عن عاصم"، و هذه القراءات كلها صحيحة عند علماء القراءات و الحديث و الفقه، و ليست وليدة اختراع أو رأي أو اجتهاد، و كلها متضمنة في مصحف عثمان الذي أجمع عليه المسلمون و قرؤوا به على مدى الأزمان.[282]

و في سورة النمل مئة و سبعة و ستون حالة اختلاف في القراءات، و هذه الاختلافات و التي أسميها انزياحات عن النص المصحفي متنوعة، منها ما هو انزياح في الحركات فنجد أحدًا يقرأ بالرفع، و الآخر بالنصب أو الجر، كما نجد ظاهرة الحذف؛ مثل حذف ياء المتكلم أو حذف الياء التي هي لام الكلمة. بالإضافة إلى ذلك نجد ظاهرة الزيادة مثل زيادة هاء السكت، و كذا القراءة بالإمالة و الإدغام و الإبدال، و تحقيق الهمزة،

و القراءة بصيغة الخطاب و أخرى بصيغة الغيبة، و بالتقليل و بالتسهيل، و بالإشمام...[283]

- نماذج تطبيقية لاختلاف القراءات القرآنية:

ت1- قال تعالى:[**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ**][284].

رقم الأية	النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
01	[وَ كِتَـابٍ مُبِـينٍ]	كتابٌ مبينٌ	ابن أبي عبلة

قرأ الجمهور بجرّ كتاب عطفا على القرآن، أي: تلك آيات القرآن و آيات كتاب مبين، و يحتمل أن يكون المراد بقوله:"**و كتابٍ**" القرآن نفسه، فيكون من عطف بعض الصفات على بعض مع اتحاد المدلول، و أنّ يكون المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، أو نفس السورة، و قرأ "ابن أبي عبلة": "وكتابٌ مبينٌ" برفعهما- و هي الصورة المتراحة عن النص المصحفي- عطفًا على آياتٍ، و قيل هو على هذه القراءة على تقدير مضاف محذوف، و إقامة المضاف إليه مقامه، أي: و آيات كتاب مبين، فقد وصف الآيات بوصفين: القرآنية الدالة على كونه مقروءًا مع الإشارة إلى كونه قرآنًا عربيا معجزًا، و الكتابية الدالة على كونه مكتوبًا مع الإشارة إلى كونه متصفًا بصفة الكتب المنزلة. فلا يكون على هذا من باب عطف صفة على صفة مع اتحاد المدلول-

* و القراءات هي: اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها؛ من تخفيف و تثقيل و غيرها. ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 318.

282- المجلة: ص: 26.

283 - ينظر: أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء، ط3، عالم الكتب للنشر و التوزيع والطباعة، 1997م، المجلد الثالث، ص: 400- 490.

284 - النمل: 01.

مثلما هو حالة الجر الموجودة في النص المصحفي-، ثم ضم إلى الوصفين وصفًا ثالثا، و هو الإبانة لمعانيه لمن يقرؤه، أو هو من أبان بمعنى: بان معناه و اتضح إعجازه بما اشتمل عليه من البلاغة.[285]

من خلال ما تقدم يتضح أن اختلاف القراءة، و الذي كان على مستوى الحركات بالقراءة بالرفع بدل الجر كما هو عند الجمهور أدى إلى زيادة في المعنى، فبعدما كان عطف بعض الصفات مع اتحاد المدلول أصبح على تقدير مضاف محذوف، و إقامة المضاف إليه مقامه، و نتج عن ذلك ثلاث صفات بدل صفة واحدة- و هي القرآنية، الكتابية و الإبانة و هذه القراءة العدولية جديرة بالتوقف عندها و التبصر فيها.

ت2- قال تعالى: [**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**] [286] .

رقم الآية	النص المصحفي	أوجه القراءة	القارئ
25	[**أَلَّا يَسْجُدُوا**]	ألاَ ياسجدوا	الكسائي، رويس، أبو جعفر، الحسن، الشنبوذي، المطوعي، ابن عباس، الزهري، السلمي، حميد، طلحة، يعقوب.

[287]

قرأ الجمهور بتشديد (ألاّ)، قال "ابن الأنباري": الوقوف على فهم لا يهتدون غير تام عند من شدد (ألاّ)، لأنّ المعنى: و زين لهم الشيطان لهم ألاّ يسجدوا. قال النحاس: هي (أنّ) دخلت عليها (لا)، و هي في موضع نصب. قال الأخفش: أي: زين لهم أن لا يسجدوا لله بمعنى: لئلا يسجدوا، فهو على الوجهين مفعول له. و قال اليزيدي: إنه بدل من أعمالهم في موضع نصب، و قال أبو عمرو: في موضع خفض على البدل من السبيل، و قيل: العامل فيها لا يهتدون، أي: فهم لا يهتدون أن يسجدوا لله، و تكون (لا) على هذا زائدة كقوله:[**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ**] [288].

---

285 - محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فتح القدير: الجامع بين فني الرواية و الدراية من علم التفسير، مراجعة: يوسف الغوش، دار المعرفة- بيروت- لبنان، ط2، 1996م، ج4، ص: 157.

286 - النمل: 25.

287 - أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية، ج3، ص: 466.

288 - الأعراف: 12.

و على قراءة الجمهور ليست هذه الآية موضع سجدة، لأنّ ذلك إخبار عنهم بترك السـجود، إمّـا بالتزيين أو بالصد أو بمنع الاهتداء [289]، و قد فسره الطبري بقوله:" و زين لهم الشيطان أعمـالهم لـئلا يسجدوا لله، و قيل: إن (لا) مزيدة، و التقدير: فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا لله، و قيل: المعنى ألا يا هؤلاء فاسجدوا، و هذا على قراءة التخفيف "ألاَ يسجدوا".[290]

ومن على شرفة ما تقدم، يتضح أنّ اختلاف القراءات القرآنية يؤدي إلى إعطاء دلالات جديدة. و انطلاقًا من اعتبار القراءات عما هو موجود في النص المصحفي/ المعيار الأصل، نتج أنّ:

قراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون قراءة التشديد، و اختار أبو حاتم و أبو عبيدة قراءة التشديد، بالإضافة إلى ذلك، و إن كان لقراءة التخفيف وجه حسن إلاّ أنّ فيها انقطاع الخبر عن أمر سبأ، ثم الرجوع بعد ذلك إلى ذكرهم، و القراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضًا لانقطاع في وسطه، و على هذه القراءة تكون جملة "ألاّ يسجدوا" معترضة من كلام الهدهد و من كلام سليمان أو من كلام الله سبحانه، و في قراءة "أبي" (ألاّ تسجدوا) بالفوقية، و في قراءة "عبد الله بن مسعود" (هل لا تسجدوا) بالفوقية أيضًا.[291]

و ما يمكن استخلاصه من خلال هذا الانزياح الصوتي الناتج عن اختلاف في القراءة بـالنظر إلى الـنص المصحفي هو وجوب السجود مع انقطاع الخبر عن أمر سبأ في حالة القراءة بالتخفيف دون التشديد، بالإضافة إلى تتابع الخبر و عدم انقطاعه في الوسط.

و قد ذهب الزمخشري إلى القول بوجوب السجود في القراءتين و ذلك في قوله: « فإن قلت: أسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعًا أم في إحداهما؟ قلت: هي واجبة فيهما جميعًا لأنّ مواضع السجدة إما أمر بها أو مدح لمن أتى بها أو ذم لمن تركها، و إحدى القراءتين أمر بالسجود، و الأخرى ذمّ للتارك...فإن قلت: هل يفرق الواقف بين القراءتين؟ قلت: نعم، إذا خفف على (فهم لا يهتدون)ثم ابتدأ (ألا يا اسجدوا)، و إن شاء وقف على (ألا يا)، ثم ابتدأ (اسجدوا)، و إذا شدد لم يقف إلاّ على (العرش العظيم).[292]

ت3- قال تعالى:[**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**][293].

---

289 - الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص: 167.

- شمس الدين محمد بن خليل القباقبي: إيضاح الرموز و مفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، دراسة و تحقيق: أحمد خالد شكري، دار عمار للنشر و التوزيع- عمان-الأردن، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص: 571- 572.

290- ابي جعفر محمد بن جرير الطبري: مختصر تفسير الطبري، المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، اختصار و تحقيق: محمد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، مكتبة رحاب- الجزائر، 1991، المجلد 2، ص: 139.

291 - الشوكاني: فتح القدير، ص: 168.

292 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 362.

293 - النمل: 44.

القارئ	أوجه القراءة	النص المصحفي	رقم الآية
ابن كثير، قنبل، وهب، ابن واضح، القواس	سَأْقَيْهَا	[سَاقَيْهَا]	44

(294)

هذه الكلمة (ساقيها) في قراءة من قرأ (سأقَيْها) تشكل انزياحًا صوتيا في سورة النمل، و ذلك حينما عدلت عن القاعدة اللغوية المطردة بتسهيل الهمزة في (ساقيها)، و هو الأصل و عدلت عنه إلى ما يمثل خروجا على هذه القاعدة بتحقيق الهمزة لغرض بلاغي هو الإيحاء بالتهكم من صنيع الملكة "بلقيس" في هذا الموضع. فكأنّ الآية بذلك تحاكي صوت الضاحك الساخر من فعلتها بكشفها عن ساقيها حينما أوت بدخول الصرح و حسبته لجة ماءٍ فكشفت عن ساقيها لتخوض تلك اللجة المتوهمة، بينما هي صرح ممرد من قوارير زجاجية لامعة، تبدو فيها صورة الواقف عليه كأنه ناظر إلى الماء أو واقف عليه.(295)

و هذا الانزياح عن القاعدة المطردة إما أتى به المبدع "الفرّاء" ليحاكي بلفظه هيئة النطق فيه معنى يقتضيه السياق أو المقام، و بهذا يتبين ما لهذا الانزياح الصوتي من قيمة فنية في هذا السياق تتظافر مع العناصر الدلالية الأخرى*.

إنّ القراءات القرآنية انطلاقا من هذا الأساس انتجت اعتبارات تنسق فكرة "بيير كرابودي كابرونا" (Pièrre Crapon de Caprona)** نسقا، و القائلة بأن دراسة التكوين الإيقاعي في القرآن هي أهدى سبيل إلى تفسيره؛ ذلك أنّ اختلاف القراءات تفسد فكرة "كابرونا" في وزن النصوص القرآنية وزن الشعر و سأحاول رصد بعض هذه الظواهر في سورة النمل لمزيد من التوضيح:

294 - أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية، ج3، ص: 477.

295 - عبد الحميد هنداوي: الإعجاز الصوتي في القرآن، ص ص: 92- 93.

* و أجد لفظة (جآن) الآية: 10 و من نطقها (جأن) بتحقيق الهمزة عدول صوتي عن القاعدة المطردة لغرض بلاغي هو الدهشة و الخوف و المفاجأة و الله أعلم.

** قدم كابرونا رسالة دكتوراه سنة 1978م إلى كلية الآداب بجامعة جنيف بعنوان: القرآن ينابيع الوحي الإلهي، البنية الإيقاعية في السور المكية، بإشراف الأستاذ "سيمون جارجي"، و من خلال دراسته هذه توصل إلى غاية أعلن عندها مغتبطًا مفادها أنّ القرآن ليس نثرًا، بل هو شعر. ينظر: السعيد لبيب : دراسة نقدية حول ينابيع الوحي الالاهي ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد36 ، ص:26.

فدعوى كابرونا هذه إنما هي نفسها دعوى بعض الكفار حين نزل القرآن الكريم، و التي مفادها أنّ النبي شاعر و أنّ القرآن شعر، فرد الله تعالى دعواهم بقوله:[**وَ مَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَ مَا يَنْبَغِي لَهُ**] يس 69، و قد اعتمد "كابرونا" في بحثه هذا على مراجع من بينها: المريب الذي لا تقبل لأصحابه شهادة في الإسلام أو في كتاب الإسلام أو في نبي الإسلام؛ منها كتابات "بلاشير" (Blachère)، كازانوفا (Casanova)، جولتسيهر (Goldziher)، نولدكه (Noeldeke)، جيفري (Jeffrey)، بروكلمان (Brockelmann)، و كلنا يعلم آراءهم و لنا أن نتصور مدى تأثره بهم.

1. الإدغام: من أصول الإدغام في بعض القراءات:

أ/ إدغام القف في الكاف إذا تحرك ما قبل القاف، و كان بعد الكاف ميم، و يتجسد ذلك جليا في قولــه تعالى: [**أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**] (**296**)، و قد قرئت لفظة (**يرزقكم**) بالإدغام، هذا الإدغام -من منظور انزياحي- أدى إلى آثار حتمية في الموازين الشعرية.

ب/ إدغام التاء في الزاي: و ذلك في قوله تعالى: [**إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ**] (297)، و قد قُرئت (بالآخرة زينا) بالإدغام (الكبير).

2. اختلاف القراءات في الحركات و السكنات:

إنّ هاء الضمير: في قوله تعالى:[**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ** 298]

أ/ تقرأ عند "عامر" في رواية "هاشم": باختلاس كسرة الهاء في "فألقِهِ".

ب/ بينما تشبع حركة الهاء في قراءة "خلف" بروايتي "إسحاق" و "إدريس" فتكون "فَأَلْقِهِي".

ج/ و تقرأ في رواية أخرى باختلاس الضم فتكون: "فَــأَلْقِهُ".

د/ كما تقرأ أيضًا بإشباع الضم فتكون: "فَــألقِهُو".(299)

ولا في أنّ اختلاف هذه القراءات بعضها عن بعض في الحركات و السكنات- تعد خروجــا عــن الــنص المصحفي/ المعيار/ النمط- يعني أنّ أوزانها لا تكون بحال واحدة، و يعني أنّ بعضها ليس موزونا أصلاً.

---

296 - النمل: 64.
297- النمل: 04.
298 - النمل: 28.
299 - أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية، ج3، ص: 469.

3. اختلاف القراءات في النطق بياءات الزوائد و ياءات الإضافة:

يقول تعالى:[فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ][300].

و الملاحظ هنا أن الياء في النص المصحفي محذوفة في "**أتمدونن**" بينما نجدها عند: "نافع" و"أبو عمر"، و"أبو جعفر"، و"عبد الله بن مسعود" " أتمِدُونَنِي" بـــإضافة الياء (وصلاً)*301.

هذه الاختلافات و أخرى- وهي كثيرة- في القراءات تبطل دعوى "كابرونا" من جهـــة و تـــبين الانزياحات الواردة في السور إذا ما اتخذنا النص المصحفي برواية "حفص عن عاصم" المعيار الذي اتخذتـــه في دراستي هذه.

ثـــالثا: اختلاف رسم الكلمات في المصحف و الحكمة فيه:

و اعلم أن الخط جرى على وجوه: فيها ما زيد عليه على اللفظ؛ و منها ما نقص، و منها ما كتب على لفظه، و ذلك لحكم خفية، و أسرار بهية، تصدى لها "أبو العباس المراكشيّ المعروف"بابن البناء" (ت 761) في كتابه: "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل"، و بيّن أنّ هذه الأحرف إنما اختلفت حالها في الخـــط بحســـب اختلاف أحوال معاني كلماتها.[302]

و في محاولة مني لرصد هذه الزيادات و النقائص/ الحذف، و القول بالزيادة أو النقص لا يعني مطلقًا أنّ في القرآن حشوا (معاذ الله) أو نقصًا، و إنما المقصود هنا الخروج عن القواعد التي حددها النحاة و ألفناها، بحيث يتم المعنى الوظيفي، و لكن المعنى المطلوب و الذي يراد الوصول إليه يتعدى المعنى الوظيفي فيسلك مســـالك أسلوبية أخرى لا تتحقق إلاّ بهذه الزوائد أو المحذوفات، و أقول صراحة إنّ رصد هذه المعاني غاية في الصعوبة و عزيزة المنال، و سأحاول فيما يلي رصد بعض هذه الظواهر في "سورة النمل".

---

300 - النمل: 36.

* بالإضافة إلى "أتمدونن"(36)، التي أثبتها وصلاً المدنيان و البصريون إلاّ يعقوب، نجد كذلك: "ءاتـــن"(36) أثبتها مفتوحة في الوصل حفص و المدنيان وأبو عمرو و اليزيدي و رويس، ووقف عليهما يعقوب بالياء، و اختلف حفص و قالون و قنبل و أبي عمرو و اليزيدي. كما نجد أيضًا "حتى تشهدون"(32) أثبتها في الوصل الحسن، و في الحالين يعقوب.

ينظر: شمس الدين محمد بن خليل القباقبي: إيضاح الرموز و مفتاح الكنوز في القراءات الأربع عشرة، ص: 577.

301 - أحمد مختار عمر، عبد العال سالم مكرم، المرجع السابق، ج3، ص: 472.

302 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 380.

1 v - ظاهرة الزيادة و أقسامها:

القسم الأول: زيادة الألف:

و تكون زائدة إما في أول الكلمة أو في آخرها، أو في وسطها؛ فالأولى: تكون بمعنى زائدة بالنسبة إلى ما قبله في الوجود، و في سورة النمل مثال على ذلك في قوله تعالى: [**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**](303)، و قد زيدت الألف هنا تنبيها على أنّ المؤخَّر أشد في الوجود من المقدّم عليه لفظًا؛ فالذبح (لا أذبحنه) أشد من العذاب (لأعذبنّه)، و عليه فإن لفظة (لا أذبحنه) زيدت فيها الألف فهي متزاحة عن القاعدة، و كان بالإمكان إيرادها على النحو التالي "لأذبحنه" مثلما هو الشأن في "لأعذبنه"، لكن هذا الخروج عن النمط المألوف له دلالته، و ذلك كما أشرت سابقًا، فهذه الألف الزائدة إنما زيدت لزيادة في الدلالة مفادها أنّ المؤخر أشد في الوجود من المقدم عليه لفظا.

القسم الثاني: زيادة اللام :

و ذلك في قوله تعالى: [**قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ**] (304).

و قد جاءت اللام مزيدة معترضة بين الفعل و مفعوله، و العلة في زيادة هذه اللام هو تضمين المبرد وآخرون "ردف" معنى "اقترب". كقوله تعالى:[**اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ**] 305، و يقول الزمخشري في كشافه أنّ سبب هذه الزيادة إنما هو للتأكيد، كالباء في "**و لا تلقوا بأيديكم**" أو ضمّن معنى فعل يتعدى باللام، نحو: دنا لكم، و معناه: و تبعكم و لحقكم.

و قرأ الأعرج: ردف لكم، بوزن: ذَهَبَ، و هما لغتان، و الكسر أفصح، و عسى، و لعل، وسوف –في وعد الملوك و وعيدهم- يدل على صدق الأمر و جدّه و لا مجال للشك بعده، و إنّما يعنون بذلك إظهار وقارهم وأنهم لا يعجلون بالانتقام لإذلالهم بقهرهم و غلبتهم و وثوقهم أنّ عدوهم لا يفوتهم، و أنّ الرمزة إلى الأغراض كافية من جهتهم؛ فعلى ذلك جرى وعد الله و وعيده.(306)

و عليه فإنّ الانزياح الوارد في هذا الموضع هو أنّه الأصل أن لا تكون اللام؛ فالفعل ردف لازم/ القاعدة، و إنما زيد هنا/ الخروج عن القاعدة/ الانزياح للتأكيد، و كذلك لأنه جاء- الفعل ردف- مضمنا معنى فعل يعدّى باللام مثل: دنا.

---

303 - النمل: 21.

304 - النمل: 72.

305- الزركشي: المرجع السابق، ج3، ص: 85.

306 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 381.

ينظر: ناصر الدين البيضاوي: أنوار التنزيل و أسرار التأويل، ص: 508.

v 2. ظاهرة الحذف و أقسامها:

تناولي لظاهرة الحذف في هذا الجزء من البحث إنما هو من منظور انزياحي، و ذلك انطلاقا من اعتبار هذا الحذف الذي يحدث على مستوى الأصوات كسر للقاعدة/ المعيار/ البنية الأصلية، و التي كان بالإمكان الورود على أصلها، مما لاشك فيه أنّ هذه الظاهرة- الحذف- لها أثر في المعنى، و لو لم يكن ذلك كذلك لما عدل الأسلوب القرآني عن ذكر ذلك الحرف أو تلك الكلمة أو الجملة.

و للحذف- الناقص كما يسميه الزركشي- أقسام:

القسم الأول: حذف الألف:

كل ألف تكون في كلمة لمعنى له تفصيل في الوجود، له اعتباران:

اعتبار من جهة ملكوتية، أو صفات حالية، أو أمور علوية مما لا يدركه الحس فإنّ الألف تحذف- وهنا يحدث الانزياح- في الخط علامة لذلك و اعتبار من جهة ملكية حقيقية في العلم أو أمور سفلية؛ فإنّ الألف تثبت.

و مثال ذلك في لفظتي "القرآن" و "الكتاب" فإنّ القرآن هو تفصيل الآيات التي أحكمت في الكتاب، فالقرآن أدنى إلينا في الفهم من الكتاب و أظهر في التنزيل؛ قال تعالى:[**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**] (307) .و قال كذلك:[**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**] (308). و عليه فإنّ "الكتاب" بحذف الألف هو الكتاب الكلي المطلق، أو المضاف إلى الله، و إنما ورد في سورة النمل بحذف الألف "كتاب" و ذلك في قوله تعالى:[**طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ**](309)، ذلك أنّ هذا "الكتاب" جاء تابعًا للقرآن، و القرآن جاء تابعًا للكتاب، كما جاء في الحجر: [**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ**]، فما في النمل له خصوص تنزيل مع الكتاب الكلي، فهو تفصيل للكتاب الكلي بجوامع كليته.(310)

و جماع الأمر بعد هذه الوقفة التحليلية لمصطلح "الكتاب" بحذف الألف و إثباتها هو أنّ لفظة "كتاب" بحذف الألف تدل على الكتاب الكلي المطلق، و هذا هو الأصل/ القاعدة، و الانزياح الذي حدث في سورة النمل، هو أنه ذكر "الكتاب" بحذف الألف، لكنه ليس للدلالة على الكتاب الكلي المطلق، و هذا خروج عن القاعدة و كسر لنمطيتها، و الدليل على أنّ "كتاب" الوارد في سورة النمل ليس المقصود منه الكتاب الكلي فقد جاء تابعًا للقرآن، و يقولً محمد الطاهر بن عاشورً في ذلك:« فالمراد بقوله: [**وَكِتَابٍ مُبِينٍ**] :القرآن

---

307 - هود: 01.
308 - فصلت: 03.
309 - النمل: 01.
310 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 388 – 390.

أيضًا، و لا وجهة لتفسيره باللوح المحفوظ للتقصي من إشكال عطف الشيء على نفسه؛ لأنّ التقصي من ذلد حاصل بأنّ عطف إحدى الصفتين على أخرى كثيرة في الكلام »[311].

و من ذلك حذف الألف في: "بسم الله" عموما و في سورة النمل في قوله: [**إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**] [312] ، بدلا من إثباتها و هو الأصل "باسم" وذلك تنبيها على علوه تعالى في أوّل رتبة الأسماء و انفراده، و أنّ عنه انقضت الأسماء؛ فهو بكليهاْا؛ يدل عليه إضافته إلى اسم الله الذي هو جامع الأسماء كلّها، و لهذا لم يتسم به غير الله، بخلاف غيره من أسمائه، فلهذا ظهرت الألف معها، تنبيها على ظهور التسمية في الوجود، و حذفت الألف التي قبل الهاء من اسم الله، وأظهرت التي مع اللام من أوله، دلالة على أنّه الظاهر من جهة التعريف و البيان، الباطن من جهة الإدراك و العيان.

و كذلك الأمر في حذف ألف "الرّحمن"، و يقول علماء الظاهر أنّما وقع هذا الحذف للاختصار و كثرة الاستعمال- و الله أعلم- كما أننا نجد أيضًا حذف الألف في اسم "سليمن" و "صلح"، و العلة في ذلك كثرة الاستعمال . [313]

القسم الثاني: حذف الياء:

أ/ حذف الياء التي هي لام الكلمة:

قال تعالى: [**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**] [314]؛ في هذه الآية الكريمة حذفت الياء في كلمة "وادِ"، و التي هي لام الكلمة، و قد قرئت بالياء "وادي" وقفا من طرف ً الكسائي ً و ً يعقوب ً.[315] و هذا الحذف وقع في درج الكلام؛ معنى ذلك أنّه لم يكن لرعاية الفاصلة، و يرجع ً الزركشي ً السبب في ذلك إلى كونه موضعًا لابتداء سماع الخطاب من أخفظ الخلق- وهي النملة- إلى أعلاهم- وهو الهدهد و الطير و من ظاهر الناس و باطن الجن إلى قول العفريت، إلى قول الذي عنده علم من الكتاب، إلى ما وراء ذلك من هداية الكتاب، إلى مقام الإسلام لله رب العالمين.[316]

و من ثم، اتضح ما لهذا الانزياح الصوتي، و هو حذف الياء في "وادِ" بدل إثباتها فتكون "وادي" وهي القاعدة الأصلية، من دلالة و جمالية.

---

311 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ج19، ص: 217.
312 - النمل: 30.
313 - الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص: 390- 391.
314 - النمل: 18.
315- ينظر: أحمد مختار عمر. عبد العال سالم مكرم، معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء، ج3، ص: 459.
316 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج1، ص: 407.

ب/ حذف الياء التي هي ضمير المتكلم:

قال تعالى: [فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ] (317)؛ حذفت الياء هنا في "فَمَا آتَان"- وهو انزياح عن الأصل الذي هو "آتاني"- لاعتبار ما أتاه الله من العلم و النبوة، فهو المؤتى الملكوت من قبل الآخرة، و في ضمنه الجسماني للدنيا، لأنه فانٍ و الأول ثابت.(318)

رابعاً: ظاهرة الإدغام:

الإدغام: هو اللفظ بحرفين حرفا كالثاني مشددا، و ينقسم إلى كبير و صغير؛ فالكبير ما كان أول الحرفين متحركا فيه، سواء كانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، و سمي كبيرًا لكثرة وقوعه، إنّ الحركة أكثر من السكون، و نعني:

بالمثالين: ما اتفقا مخرجًا و صفة.

المتجانسين: ما اتفقا مخرجا و اختلفا صفة.

المتقاربين: ما تقاربا مخرجًا أو صفة.(319)

و قد أحصى أبي عمروٍ و عثمان بن سعيد الداني ستة و عشرون حرفا أدغمت في سورة النمل.

و لست هنا بصدد دراسة الإدغام بالشكل الاعتيادي، و إنما أودّ التوقف عنده من ناحية انزياحية؛ أي ما يحدثه هذا الإدغام من جمالية و شعرية في الأسلوب، و أضرب مثالا لذلك بقوله تعالى:[قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ] (320).

أصل "ادّارك": تدارك (تفاعل)، فأدغمت التاء في الدال، و أدخلت ألف الوصل ليسلم للدال الأولى السكون، و مثله:[حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا] (321)و:[اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ] (322) و [قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ] (323)؛ إنما هو تداركوا، و تثاقلتم إلى الأرض، أو تطيرنا، و معنى تدارك: تتابع، و "علمهم" حكمهم عل الآخرة، و حدسهم الظنون، و أراد ما يشعرون متى يبعثون، إلاّ بتتابع الظنون في علم الآخرة، فهم يقولون تارة: إنها تكون، و تارة: إنها لا تكون و إلى كذا تكون، و ما يعلم غيب ذلك إلاّ الله تعالى.

---

317 - النمل: 36.

318 - الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص: 399.

319- جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د ت، المجلد الأول، ص: 204.

320 - النمل: 65- 66.

321 - الأعراف: 38.

322 - التوبة: 38.

323 - النمل: 47.

ثم قال: "**بل هم في شك منها**" بل هم من علمها "**عمون**"، و كان ابن عباس يقرؤها "بلى أدّارك علمهم؟"، بفتح ألفها على وجه الاستفهام و تشديد الدال...، و بهذه القراءة يكون عبارة عن استفهام أنه لم يدرك و هذه القراءة أشد إيضاحًا للمعنى على حد تعبير ابن قتيبة، لأنه قال: "وما يشعرون متى يبعثون"، ثم قال: بل تداركت ظنونهم في علم الآخرة؛ فهم يحدسون و لا يدرون.[324]

أود الوقوف عند الدلالة الصوتية لكلمة "ادّارك" في محاولة لإبراز مميزاتها و علاقتها بالمعنى.

يستشعر ناطق هذه الكلمة صولة واضحة، ليست خفيفة الوقع كذلك على الأذن، و ذلك على خلاف ما نراه في كلمة بديلة و هي "تدارك"- و هذا الاختيار نوع من العدول- بيد أنّ الأولى بتشكيلها الصوتي أقوى من تصوير المراد و الإيحاء به؛ إذ ترسم حالة الكافرين من شك و ريب و تردد، و ذلك انطلاقا من اعتمادهم على الحدس و الظن لا على اليقين، و هذه المعاني توحي من خلال التردد في الدال بالتشديد يصور هيئة المتردد المضطرب الذي يلزمه التداخل الذي يؤدي إلى عدم الإرساء على أمر و اختلاف في الأقوال اختلافًا يؤذن بتناقضها.

و عليه فإنّ –الانزياح- العدول عن لفظة "تدارك" إلى لفظة "ادّارك" بالتشديد لها إيحاءات و معاني كثيرة.

خامسا: أشتات مجتمعات في الصرف:

1. العدول من صيغة يفعل/ المستقبل إلى صيغة فعل/ الماضي:

قال تعالى:[**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**][325].

لقد عدل النسق الكريم عن صيغة "يفعل" إلى صيغة "فعل" في قوله "ففزع من في السموات و الأرض"، و كان مقتضى الظاهر أن يكون "فيفزع" لأنّ الحدث لم يقع بعد، معنى ذلك أنّ النفخ في المستقبل للإشعار بتحقيق الفزع، و أنه واقع لا محالة، كقوله:

[**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ**][326] لأنّ المضي يستلزم التحقق، فصيغة الماضي كناية عن التحقق، و قرينة الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله: "ينفخ"[327]، و يقول الزمخشري في هذا المقام: « فإن قلت لم قيل (ففزع) دون (فيفزع)؟ قلت: لنكتة، و هي الإشعار بتحقيق الفزع و ثبوته و أنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات و الأرض»[328].

324 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ج20، ص: 20.
325 - النمل: 87.
326 - النحل : 01 .
327 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ج20، ص: 46.
328 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص: 161.

فضلاً عما توجده صيغة "فزع" من تصور أنّ الزمن قد طوى، و أنه قد فزع من في السموات و الأرض.

من خلال ما تقدم يتضح أنّ الانزياح/ العدول من صيغة إلى أخرى- من المضارع إلى الماضي- لــه أثــر أسلوبي أعطى للآية دلالة مفادها التحقيق و التأكيد على الوقوع لا محالة.

و هناك أمثلة أخرى في نوع الانزياح نفسه، لكن سأتناولها بالدراسة في الجزء القادم من البحث.

2. إيراد صيغة اسم الفاعل بدل صيغة اسم المفعول:

و ذلك في قوله:[**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آَيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِــينٌ**][329]؛ والمبصرة: الظاهرة البيّنة صيغ لها وزن اسم الفاعل* الإبصار على طريقة المجاز العقلي، وإنما المبصر: الناظر إليها، و يجوز أن يــراد إبصار فرعون و ملأه، لقوله:(**و استيقنتها أنفسهم**) أو جعلت كأنها تبصر فتهدي، لأنّ العمي لا تقدر علــى الاهتداء فضلاً أن تهدي غيرها. و منه قولهم: كلمة عيناء و كلمة عــوراء لأنّ الكلمــة الحســنة ترشــد و السيئة.[330]

و ما يمكن قوله هو أنّ العدول عن إيراد صيغة اسم المفعول، و إيراد صيغة اسم الفاعل أبلغ في الدلالــة و أقوى.

3. إيراد المصدر بدل اسم الفاعل:

و يظهر ذلك جليا في قوله تعالى: [**هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**][331]، حيث عدل الأسلوب القرآني عن إيراد اسم الفاعل إلى إيراد المصدر، و ذلك للمبالغة؛ "**هدى و بشرى**"، و كان مقتضى الظاهر أن يكون "هاديا و مبشرا"[332]. ووصف الكتاب بالهدى و البشــرى جارٍ على طريقة المجاز العقلي، و إنما الهادي و المبشر الله أو الرسول بسبب الكتاب.[333]

و عليه فالعدول الحاصل في هذه الآية الكريمة إنما جاء لغرض المبالغة، بالإضافة إلى الإيقاع الذي أوردتــه اللفظتين.

4. إيراد المصدر بدل اسم المفعول:

و ذلك في قوله تعالى:[**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُــونَ**] [334] . و الخبء: مصدر خبأ الشيء إذا أخفاه، أطلق هنا على اسم المفعول، أي

---

329 - النمل: 13.

* قال الأخفش: و يجوز أن تكون بمعنى مبصرة اسم فاعل بمعنى اسم مفعول. ينظر: الشوكاني: فتح القدير، ج4، ص: 160.

330 - محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق ، ج18، ص: 232.

331 - النمل: 02.

332 - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ج2، ص:405.

333 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير و التنوير، ج19، ص: 219.

334 - النمل: 25.

المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء، كما هو شأن الوصف بالمصدر، و عليه يمكن القول أنّ هذا العدول من المصدر إلى اسم المفعول أدى غرضًا بلاغيا مفاده المبالغة في الدلالة.

5. إيراد لفظ و المراد به لفظ آخر:

و ذلك في قوله: [**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**][335]، و أقصد هاهنا لفظة **"فناظرة"** فقد عدل النسق الكريم عن القول "منتظرة" إلى القول "ناظرة"، و مما هو في هذا الصـدد مـا ذهب إليه القاضي عبد الجبار: « قد يذكر- النظر- و يراد به الانتظـار، قـال تعـالى:**"فنظـرة إلـى ميسرة"**[336]، أي: انتظار، **"فناظرة بما يرجع المرسلون"** أي: منتظرة، و قال المثقف العبدي أو الممزّق:

فإن بك صدر هذا اليوم و إلى *** فإنّ غدا لنـاظره قريب.

أي: لمنتظره»[337]، و ناظرة: اسم فاعل من نظر بمعنى: انتظر، أي: مترقبة، و يجوز أن يكون "ناظرة" مـن النظر العقلي أي: عالمة.[338]

6. إيراد صيغة فعيل و يراد به فاعل:

و تحدث هذه الظاهرة في أسماء الله الحسنى؛ حيث تأتي علو وزن فعيل (حكيم، علـيم، عظـيم، قـدير، حفيظ)، و يراد به الفاعل، و لهذه الظاهرة حضورا في سورة النمل مثل: حكيم عليم، حكيم، رحيم، في الآية السادسة و الآية التاسعة و الآية الحادية عشر.

---

335 - النمل: 35.

336 - البقرة :286 .

337 - عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، تعليق الإمام: أحمد بن الحسين بن أبي هشام، حققه و قدم له: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة- القاهرة- ط2 ، 1988م، ص: 44.

338 - محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق، ج19، ص: 267.

الخــاتمــة:

هكذا، و تأسيسًا على ما تقدم، يمكن القول أنّ الانزياح ظاهرة جمالية ترقى بالأسلوب العادي إلى مستوى أرفع، و ذلك من خلال الدهشة و المفاجأة التي تحدثه في الانزياح عن المعايير المألوفة إلى معايير لم تكن متوقعة، و بالتالي تؤدي إلى نتائج غير معروفة.

و لهذا الانزياح أشكال متعددة؛ منها ما عرف في التراث العربي، لكن بمصطلحات مغــايرة للمصــطلحات الحديثة.

و في هذا الفصل توصلت إلى إنّ الانزياحات يمكن تقسيمها إلى قسمين أو نوعين: منها ما هو غير لغوي؛ و الذي عرضت له تحت عنوان "الخوارق"، لما تشكله هذه الأخيرة من خرق أفق التوقع و انتــهاك المعهــود، و توليد اللامنتظر عند بني البشر، كما أن هناك انزياحات لغوية.

وفي هذا الفصل ركزت على الانزياحات الصوتية و الصرفية فقط، مع أنّ الفصل بين مستويات اللغة يعد من المستحيلات لأنني بصدد دراسة أسلوبية. و أهم ما تعتمده الدراسة الأسلوبية؛ التظافر الأسلوبي كما أشــرت سابقًا.

و هذه الانزياحات الأخيرة كانت من خلال ظواهر أذكر منها: الفاصلة القرآنية، القــراءات القرآنيــة، الحذف، الزيادة، الإدغام... ولا أزعم لنفسي النتائج اليقينية، و إنما كانت محاولة لرصد هذه الانزياحات من خلال التطرق إلى هذه الظواهر من منطلق مغاير ووجهة مختلفة لما درس سابقًا، و الله أعلم.

الفصل الثالث

:6

قبل الولوج إلى دراسة الإنزياحات الواردة في سورة النمل في الجانب التركيبي والدلالي أود الإشارة إلى أنني سأتوقف عند البنى الحجاجية في سورة النمل كلما كان الداعي إلى ذلك ومن ثم كان لزاما على أن أشير مسبقا إلى الدراسة التداولية عموما و أبعادها خصوصا مع التركيز على البنية الحجاجية في سورة" النمل".

1- الحجاج في القرآن الكريم :

تتمثل معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم الذي يخاطب به البشر (الناس أجمعين) لإقناعهم بالتخلي عن معتقداتهم و الإيمان بالمعتقد الجديد ، وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن الجديد ، وقد تعددت مظاهر هذا الإقناع في القرآن ، فهو إقناع مبني أساسا على اللغة ، وبالعودة إلى مضمون الكتاب و أسباب النزول يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا* نظرا لكونه جاء ردا على خطابات (علنية كانت أو ضمنية) فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في الإيمان بالله الواحد الأحد ويقدم الحجج (بمستويات مختلفة) والمدعمة لهذا ضد ما يعتقد المنافقون وما يقدمون من حجج ، يعتبر التذكير أيضا من هذا القبيل لان التذكير لا يكون إلا بواسطة الحجج.

ويرجع تأكيدنا –والقول لــ "الحواس مسعودي" – على الصيغة الحجاجية للقرآن إلى كون المتقبلين لهذا الخطاب كثرا وهم من مستويات مختلفة . كذلك فالرافضيين له و العازفين عند كثير – ولهم حججهم رغم ضعفها - وهؤلاء ، أيضا من مستويات مختلفة وهذه سمة أساسية من سمة الخطاب الحجاجي(339) .

وكثيرا ما نجد الدارسين حديثا قاربوا بين المفاهيم التداولية الحديثة وبين فكرة مقتضى الحال في البلاغة العربية ومنهم "صلاح فضل " حيث يقول :ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة " مقتضى الحال " وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية "لكل مقام مقال ".

وطبيعة بحثي يفرض علي حصر التداولية في جانب الانزياح باعتباره العنوان الظاهر ة التي أنا بصدد دراستها في سورة " النمل " ويكون ذلك كذلك –أي اعتبار الصور التداولية انزياحا –بالقياس إلى معيار التواصل اللساني ، أنها تمثل نسقا من «أشباه –أفعال الكلام» (ohman)، أي من أشكال صورية للتواصل ، وتنتمي الصور التالية إلى الصور التداولية : الاستفهام باعتباره شبه سؤال والذي ورد بشكل كبير في النصف الثاني من السورة الكريمة .(من الآية 59...) . والحيرة باعتبارها شبه شك ، والاعتراف وشبه الأعراف والامتياز وشبه

---

* وقد تعددت مظاهر الحجة في القرآن الكريم ، إذ يستحيل الوقوف عليها كلها –نذكر منها : الأدوات ، الصيغ(بمثابة القوالب) والتي لم تحظى بالدراسة من جانبها التداولي (pragmatique) مثل" واو"الحـال ، و"لكـن" و "أم" و "بـل" و"الاستفهام البلاغي" والتشبيه والجملة الواقعة صفة ، والجملة الإثباتية و المحوصلة من نوع (إن ، أ).

ينظر : الحواسي مسعودي : البنية الحجاجية في القرآن الكريم ،" سورة النمل نموذجا " مجلة اللغة والأدب ، العدد 12، الجزائر ، د ت، ص:228 –229.

339 - المرجع نفسه ، ص: 333.

الامتياز ، والرخصة وشبه الرخصة ، إن موضع هذه الصور في نسق يفترض تصنيف جميع أفعال الكلام الممكنة ، وعلى هذه القاعدة يمكن إقامة نحو ثان للتواصل يولد جميع الصور التداولية(340).وتتميز الصورة الدلالية بطابع مرجعياتها الزائفة ، وتلك هي خصوصية انزياحها عن المعيار الأولي ، إن هذا المعيار قد اخذ شكلا نسقيا في إطار (نحو مرجعي ثان) . وهذه الفئات تتوجه نحو المجازات التقليدية (استعارة، كناية، مجاز مرسل ....) التي يمكن بذلك أن تكون موضوع معالجة مزدوجة (سميو) تركيبية و(سميو) دلالية * .

2- مقاطع الهيكل العام لسورة "النمل " وهي بمثابة مقاطع متميزة شكلا ومضمونا .

المقطع الاول :

الآيات :01-06.هي عبارة عن مقدمة مفتتحة بكلمات يتميز بها النص القرآني .

المقطع الثاني :

الآيات :07-14: وهي قصة مركزة لموسى ، مقدمة بالعلامة السردية«إذ» (التحول في المقام من الخطاب إلى القصة) . وموسومة بجملة الانتهاء من عرض القصة " **فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ** " .

المقطع الثالث :

الآيات :15-46. قصة ثانية مفتتحة بواو الاستئناف «**ولقد آتينا داوود**» . وهي تروي جانبا من قصة داوود وسليمان وملكة سبأ ، وتنتهي ب" **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** " ، تعتبر هذه الآيات بمثابة خاتمة طبيعية يمكن أن تقرأ على أساس أنها ."فك للعقدة " .

المقطع الرابع :

الآيات:47-55 . قصة صالح مع أهله ، تبدأ ب " **ولقد أرسلنا إلى ثمود** " وينتهي ب "**أنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون** " .

المقطع الخامس :

الآيات :56-60.قصة لوط ، وتبدأ ب"**ولوط إذ قال** ...." وتنتهي ب "**و أمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين** ".

340- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، ص:26.

*- (سميو) تركيبية مثل تغيير المعيار النصي لنسق الكلام ، (سميو) دلالية مثل تغيير معيار الواقع ، ينظر : هنرش بليث ، البلاغة والأسلوبية ، ص 100.

3- المرجع نفسه، ص: 99-100.

المقطع السادس :

الآيات 61-93. عودة لمخاطبة الرسول . تتميز بالأمر " قل " في (**قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**). وتنتهي ب (**وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**).[341]

3- تحليل المقاطع:

تعتبر هذه الهيكلة المقطعية متميزة موضوعيا ، كل مقطع يعالج موضوعا مستقلا من ناحية المضمون ومحدد شكلا بسمات معينة ، كما توحي قراءتنا لهذه الهيكلة أن هذه السورة تعتبر نموذجا للنص الحجاجي ذي البنية ، الجدلية .(dialectique)

المقدمة: المعطاة الآيات (1-6) .

و فيها طرح موضوع الإيمان و عدمه .

أ-هدى وبشر للمؤمنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون.

صورة إيجابية (هدى و بشرى ، يوقنون)

ب- إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون أولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الآخرة هم الاخسرون.

صفة سلبية (يعمهون، سوء العذاب، الاخسرون)

وقد استعملت الآية الأخيرة ، «وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم»

كواسطة للعبور قصد تقديم الحجج لصالح "أ" أو "ب" كما يمكن أن تعتبر هذه الآية حجة في حد ذاتها قصد تثبيت أو إضفاء طابع الصحة على المحاجة التي تلي.[342] و انطلاقا من هذا الأساس تكون المقاطع الأربع الموالية أو والمشار إليها سابقا ، بمثابة حجج تخدم القضية "أ" أو القضية " ب" أو تخدمها معا . و يكون المقطع الأخير من (61 -93) بمثابة النتيجة بالفصل بين القضيتين أ و ب انطلاقا من الآية الأولى للمقطع (الآية 61) .

ثم تتطور النتيجة لتصبح تفصيلا آخر مبنيا أيضا بناءا حجاجيا تمت الاستعانة فيه بالاستفهام (من الآية 60-64) ، نظرا لما لهذا الأخير من تأثير خاص ومباشر على المتلقي (القارئ والمستمع).

341- ينظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، تفسير سورة النمل .
الحواس مسعودي : البنية الحجاجية في سورة النمل، ص:343-344.
342- المرجع نفسه ، ص345.

إن التحدي المنحوى في قوله تعالى: **(قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)** [343] يعطي صفة البرهان على كل الحجج المذكورة ، و هذا يعني إسكات المجادل بحكم أنه أمام برهان ليس في حاجة إلى ربط ، فالحجة المستعملة وجهت توجيها برهانيا .

وبعد "الحمد لله" الأولى الموجودة في بداية النتيجة نجد "الحمد لله" للمرة الثانية في الآية الأخيرة ، كعلامة للخاتمة وهذا نظرا لكون ما بينهما حجاج أيضا موجه إلى هذه النتيجة [344].

وفي الأخير يمكن القول أن التنوع في تقديم الحجج كما أن يقصد الإقناع بصور مختلفة لان المتلقي متعدد ، كما أن طاقة الاستقبال تختلف من متلقي لآخر . كما أن القصص الواردة في سورة النمل – الحجج- بنية سردية ذات توجه وقصد حجاجيين [345].

I- الانزياح التركيبي :

في هذا الجزء من البحث سأطرق إلى ذكر عدة ظواهر والتي من خلالها يتجسّد الانزياح في المستوى التركيبي مع التمثيل لكل ظاهرة بنماذج تطبيقية من صورة النمل ، وهذه الظواهر هي : التقديم ، التأخير ، الزيادة ، الحذف ،الإيجاز، الالتفات، وقد حصرته في الضمائر ، بالإضافة غالى الانزياح من صيغة إلى أخرى وكذا الانزياح في البناء النحوي ، و الانزياح من صيغة إلى أخرى وكذا الانزياح في البناء النحوي ، و الانزياح في العدد كما إنني سأتطرق لظاهرة العدول عن الإضمار إلى الإظهار وأتوقف أخيرا على الانزياح في الأدوات مع الإشارة طبعا إلى الأبعاد التداولية كلما اقتضى الأمر.

1- ظاهرة التقديم والتأخير :

التقديم هو تبادل في المواقع ، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي ويستلزم التقديم تأخيرا فكل تقديم يلزمه تأخير بالضرورة فالمبتدأ الذي يترك مكان المقدمة للخبر يحدث بينهما التقديم والتأخير بالضرورة لأننا حين نقدم ما لا حق له في التقديم « تقديما وكذا "التأخير" إنما حين نقدم ما لاحق له في التقديم نكون قد أحدثنا تفسيرا في المواقع وفي الصلاحيات وفي الأضواء ، وفي الأثر النفسي لان المقدم يحتل مركزا ممتازا فهو أول ما تقع عليه العين و أول ما تتأثر به و أول ما تعجب به و أول ما تقع النفس تحت أضوائه فتنشغل به لأنه يستحق هذا ولأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه ثم تأتي الألفاظ الأخرى فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدم» [346] ويتبوأ مبحث التقديم في الدرس البلاغي مكانا مرموقا يرتد في اصله إلى

343- النمل : 64.

344- الحواس مسعودي : البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، ص:350.

345- المرجع نفسه،ص: 348.

346- منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منشأة المعارف بالاسكندرية :1988م، ص:138.

أهمية ما يقوم في الكلام الأدبي، وهو انزياح في التركيب لأنه لا يظهر إلا من خلال التركيب بل لعله اظهر ما يقوم به المبدع من تركيب [347] وهو باب كما يقول الجرجاني كثير الفوائد جم المحاسن ، واسع التصـــرف بعيد الغاية ، لا يزال يفتقر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة و لا تزال ترى شعرا يروقـــك مســـمعه ، ويلطف لديك موقعك ثم تنظر فتجد سبب راقك ولطف عندك أن قدم فيه وحول اللفظ عن مكان إلى مكان [348]

وقد قسم الجرجاني التقديم إلى قسمين : وذلك حين قال : واعلم أن التقديم على وجهين : تقديم يقال له : أنه على نية التأخير و ذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي عليه وفي جنسه الذي كان فيه كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ أو المفعول إذا قدمته على الفاعل ، (فالتقديم هنا لا يخرج المقدم على صفته وطاقاته و عطائه) ، وتقديم لا على نية التأخير ولكنه على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم و تجعل له بابا غير بابه و إعرابا غير إعرابه وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما : أن يكون مبتدأ و يكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا فتقول مرة : زيد المنطلق وأخرى : المنطلق زيد ، فأنت في هذا لم تقدم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمه الذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه خبرا إلى كونه مبتدأ ، وكذلك لم تؤخر زيدا على أن يكون مبتدأ كما كان بل على أن تخرجه عن كونه مبتدأ إلى كونه خبرا [349] ، فالتقديم والتأخير يؤثران في معنى الجملة وللتقـــديم والتأخير صور أبرزها :

أ- تقديم الاسم على الفعل (تقديم الاسم على الفعل يساوي تقديم القيد*على الفعل وتقديم القيد علـــى الاسم) .

ب- وقوع الفعل في حيز النفي و عدمه .

ج- وقوع (كل) في حيز النفي و عدمه [350]

347- احمد محمد ويس : الانزياح في التراث البلاغي ، ص:163.

348- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص:98.

349 - المرجع نفسه .ص:98-99.

* نحو تقدم المفعول به والجار و المجرور ، والظرف و غير ذلك ينظر : المرجع نفسه : ص: 222-.225.

3 - فاضل صالح السامرائي : معاني النحـــو ، دار الفكـــر للطباعـــة و النشـــر والتوزيـــع ، عمـــان . الأردن،ط1، 1420هـ2000 م ، ج4 ، ص:222-225 .

نماذج تطبيقية للتقديم والتأخير في سورة النمل .

ت1- قال تعالى (**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) [351] إن موضع التقديم الحاصل في هذه الآية يتمثل في جملة : " **وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** " وأصل الكلام : وهم يوقنون بالآخرة ، ثم تقدم المجرور على عامله عناية به و يرجع " محمد الطاهر بن عاشور" سبب التقديم " **بالآخرة**" للرعاية على الفاصلة و الاهتمام بها [352].

معنى ذلك أن التقديم وهو أسلوب عدولي عن أصل الرتبة و مؤشر أسلوبي إنما يكون لغايات تتصل بالمعنى و ذلك شأن الأسلوب العدولي مع كل القرائن .

ت2- قال تعالى : (**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**) [353] و التقديم الحاصل في الآية الكريمة يكمن في جملة : « **بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُون** » حيث يمكن تخريجها على النحو التالي" بل أنتم تفرحون بهديتكم " وقد جاء تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة القصر أي أنتم و هو الكناية عن رد الهدية[354] .

من خلال ما تقدم يمكن القول أن هذا التقديم جاء لتبيان درجة فرحة واهتمام ملوك الكفار بما يهدى إليهم وما يهدونهم للآخرين ، لأن ذلك مبلغ همّتهم و حال سليمان خلاف حالهم ، و هذا التقديم جملة " بل أنتم تفرحون بهديتكم" إضراب عما ذكر في إنكار الإمداد بالمال و تعليله إلى بيان ما حملهم عليه من قياس حالته عليه السلام على حالهم وهو قصور همتهم على الدنيا و الزيادة فيها ، فالمعنى أنتم تفرحون بما يهدى إليكم لقصور همتكم على الدنيا وحبكم الزيادة فيها [355].

ت3- قال تعالى : (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**) [356]، وفي جملة " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا" تقديم المجرور على المفعول لأن ما حل بالقوم أهم ذكرا في هذا المقام ، و المجرور: " **ثمودِ** " هو محل العبرة أما المفعول فهو محل التسلية والتسلية غرض تبعي . [357] وعليه نستطيع القول أن هذا التقديم إنما جاء لغاية تتصل بالدلالة و هي التركيز على قوم ثمود.

ت4- قال تعالى (**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ**)[358] وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي اقتضاه وجود مقتضى جلب التوكيد لإفادة التعليل فلا يفيد التقديم تخصيصا ولا تقوية .

---

351 - النمل : 03 .

352 - الزمخشري : الكشاف ، ج3 ، ص347.

محمد الطاهر بن عاشور : التحرير و التنوير، ج19 ، ص219.

353 - النمل :36.

354 - محمد الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ج19 ، ص269 .

355 - الألوسي : روح المعاني ، ج11 ، ص299.

356 - النمل : 45.

357 - محمد الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ج19 ،ص:278.

358 - النمل :79.

ت5- قال تعالى: (**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**) [359]

في الآيتين الكريمتين تقديم و تأخير ، وقد تقدم " يوم " وهو منصوب على أنه مفعول به على تقدير (أذكر) أو على أنه ظرف متعلق بقوله : « **قَالَ أَكَذَّبْتُمْ** » وفعل " قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي" هو صدر الجملة والتقدير : وقال أكذّبتم بآياتي يوم نحشر من كل أمة فوجا وحين جاءوا .

والعدول الحاصل في الآيتين الكريمتين إنما جاء بغرض الاهتمام بـــ " يوم " لأن هذا الحشر حشر خاص بعد حشر جميع الخلق المذكور سلفا في قوله تعالى : (**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**) [360]. حيث يحشر في هذا اليوم من كل أمّة مكذبوا رسلها ، وعليه فهذا التقديم جاء لغرض دلالي مفاده شدة هذا اليوم وأهميته و هوله .[361]

2- ظاهرة الزيادة :

لا يعني القول بالزيادة أن في القرآن الكريم حشو (معاذ الله) وإنما يعني أن النحاة حدّدوا لكل جملة أركانها ومكملاتها القياسية بحيث يتم المعنى الوظيفي للجملة بوجود هذه العناصر ، ولكن المعنى المطلوب بالجملة ليس وظيفيا فقط ، وإنما يتخطى مجرد الوظائف من فاعليته إلى مفعوليته ...، فيسلك مسالك أسلوبية أخرى لا يحققها إلا العناصر الزائدة على مجرد النمط التركيبي ذي المعنى الوظيفي ، و إذا كان النحاة مسؤولون عن وصف هذه العناصر بالزيادة فإن البلاغيين يعترفون بما تضيفه هذه العناصر إلى المعنى فهم الذين يقولون : " زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى " و يقصدون بزيادة المعنى ما يلحقه التوكيد من جراء الزيادة في المبنى .[362]

نماذج تطبيقية لظاهرة الزيادة في سورة النمل :

ت1- قال تعالى :(الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [363]

و يمكن تخريج هذه الآية على النحو التالي : وهم بالآخرة يوقنون ، معنى ذلك أن العنصر الزائد- بالمفهوم النحوي للزيادة – هو الضمير الثاني (هم) يجوز أن يعتبر ضمير فصل دالا على القصر ، أي لا يوقن بالآخرة

---

359 - النمل : 83-84.
360 - النمل : 87.
361 - محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ج20، ص:39-40.
362 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص:285 .
363 - النمل :03.

إلا هؤلاء ، والقصر إضافي بالنسبة إلى مجاوريهم من المشركين ، وإلا فإن أهل الكتاب يوقنون بالآخرة إلا أنهم غير مقصود حالهم للمخاطبين من الفرقين [364] .

و عليه فإن ضمير "هم" جاء لإفادة القصر وهذه هي فائدة هذا الانزياح الخارجي عن النمط المألوف .

ت2- قال تعالى :(**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**)[365]

في الآية الكريمة صيغ الخبر عنهم بالخسران في صيغة الجملة الإسمية و قرن بضمير الفصل للدلالة على ثبات مضمون الجملة وعلى انحصار مضمونها فيهم كما تقدم في قوله :(**وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) [366] .

و جاء المسند اسم تفضيل للدلالة على أنهم أوحدون في الخسران لا يشبهه خسران غيرهم لأن الخسران في الآخرة متفاوت المقدار و المدة وأعظمه فيهما خسران المشركين .

وعليه فالانزياح الحاصل في الآية الكريمة زيادة الضمير " هم " – بالمفهوم النحوي للزيادة – العائد على اللذين لا يؤمنون بالآخرة ، وهو ضمير لا يعود على أشخاص معينين و لكن على موصوفين بمضمون الصلة ، فمن يؤمن بالله و يتوب إليه يتبرأ من هذا الحكم ، و قد جاء لإفادة الحصر .

و تكرير الضمير كما يقول " محمد علي الصابوني " لإفادة الحصر و الإختصاص في قوله تعالى: (**وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) و (**وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ**) فيه مقابلة لطيفة [367] .

ت3- قال تعالى : (**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**) [368] الزائد – بالمفهوم النحوي- في النسق القرآني الكريم هو فعل الكون في قوله تعالى : :« **وَكَانُوا يَتَّقُونَ** » و يمكن تخريجها على النحو التالي : آمنوا واتقوا ، لكن عدول النسق القرآني عن هذا التعبير إلى الذي جاء عليه للدلالة على أنهم متمكنون من التقوى ، وفي تأخير هذه الآية : (**وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**)[369] عن الآية (**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**) [370] طمأنة لقلوب المؤمنين بأن الله ينجيهم مما توعد به المشركين كما نجّى الذين آمنوا وكانوا يتقون من ثمود و هم صالح ومن آمن معه [371]

وتندرج الآية (53) ضمن الحجة الثالثة : قصة صالح وقومه : من الاية(47إلى الآية 55) ، وهي تخدم القضية " أ " .

---

364 - محمد الطاهر بن عاشور : المرجع نفسه ، ج19 ، ص:219 .

365 - النمل : 05.

366 - النمل :03.

367 - محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، ج2 ، ص:405.

368 - النمل :53.

369 - النمل : 53 .

370 - النمل : 52 .

371 - محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ج19 ، ص:287 .

3- ظاهرة الحذف :

الحذف لغة : الاسقاط ، ومنه حذفت الشعر إذا أخذت منه .

اصطلاحا : اسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ، وأما قول النحويين : الحذف لغير دليل و يسمى اقتصارا ؛ فلا تحرير فيه ، لأنه لا حذف فيه بالكلية * (372)

وإذا قلنا - والقولً لتمام حسانً — إن في أسلوب القرآن حذفا ، فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن و إنما ننسبه إلى تركيب اللغة ،ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية معينة ، ففي الجملة أركانها ومكملاتها ، وفي عناصرها ما يفتقر إلى غيره ، وما يستغني المعنى عن تقديره ، فإذا لم تشتمل الجمل على أحد أركانها ، أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها و عناصرها الأخرى ، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على المحذوف عددنا ذلك حذفا جيء به لطلب الخفة اختصارا ، أو اقتصارا أو تجنبا للحشو أو لسبب آخر غير ذلك ، و كل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه ، فأمكن تقديره في الكلام .(373)

ويلتقي موضوع الحذف هذا و ارتباطه بالسامع بمفهوم الافتراض المسبق ، الذي هو أحد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة ، ويهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم و السامع ، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفا أو يفترض العلم به سابقا قبل إجراء الخطاب ، فهو : مفهوم برجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة (المعروفة مسبقا) لدى المتكلم و المخاطب قادر على الحركة و الإجابة وأن المتكلم نفسه في منزلة الآمر .

وقد يحسن الحذف أحيانا في الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكميلاتها ، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى وإن طال الكلام المحذوف (374) .

ومن فوائد الحذف ما ذكره "الزركشي " من التفخيم والإعظام لما فيه من الايهام لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشويقه إلى المراد فيرجع قاصرا عن ادراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانة ، ألا ترى أن المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد وخلص للمذكور.

نماذج تطبيقية لظاهرة الحذف في سورة النمل

---

* والفرق بين الحذف والايجاز و الاضمار ، أن شرط الحذف و الايجاز أن يكون (في الحذف) ثمة مقدر ، نحو : " وأسأل القرية " (يوسف:82) بخلاف الايجاز ، فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه ، والفرق بينه و بين الاضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو قوله تعالى : انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ (النساء 171) أي إئتوا أمرا خيرا لكم ، و هذا لا يشترط في الحذف و يدل على أنه لابد في الاضمار من ملاحظته المقدر ، باب الاشتقاق ، فإنه من أضمرت الشيء ، أخفيته و أما الحذف ،فمن حذفت الشيء قطعته ، وهو يشعر بالطرح بخلاف الإضمار ولهذا قالوا: ً أنً تنتصب ظاهرة ومضمرة ، ينظر : الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص: 102-103.

372 - المرجع نفسه :ج 3، ص: 102.

373 - تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، ص: 370 ، 371.

374 - خليفة بوجادي : خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور" ص: 100.

1- حذف المنادى :

يقول تعالى : (أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) [375] على قراءة الكسائي بالتخفيف تكون ألاّ ياسجدوا ، ألاّ للتنبيه ، و ياً حرف النداء ، ومناداه محذوف تقديره يا هؤلاء [376].

2- حذف الفاعل :

والمشهور امتناعه إلا في ثلاثة مواضع .

أحدهما : إذا بني الفعل للمفعول ، نحو قوله تعالى : (خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ) [377]

ثانيهما : في المصدر ، إذا لم يقدر معه الفاعل مظهرا يكون محذوفا ، ولا يكون مضمرا نحو قوله تعالى : (أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ) [378]

ثالثهما : إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى كقولك للجماعة :

أضربُ القوم وللمخاطبة اضربِ القوم .

وجوّز الكسائي الحذف مطلقا إذا وجد ما يدل عليه ، و ذلك في قوله تعالى : (فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ) [379] ، وتقديرها فلما جاء الرسول سليمان أي فلما جاء الرسول الذي دل عليه قوله : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ)فالإرسال يقتضي رسولا ، و الرسول لفظة مفرد ويصدق بالواحد و الجماعة ، وأيضا فإن هدايا الملوك يحملها ركب ، فيجوز أن يكون الفاعلً جاءً الركب المعهود في إرسال هدايا أمثال الملوك [380] ، وإيراد التركيب بالحذف أبلغ من الذكر ،ذلك أن فيه إحالة على سياق أدائه، وكأن النص القرآني يعبر بالمشهد و الصورة ، لا باللغة ، لأنه يحيلنا على تصور مشهد الرسول يحمل الهدية أو تصور ركب يتقدم إلى الملك سليمان محمّلا بالهدايا .

ويمكن القول أن البعد الحجاجي لهذا الحذف أن النص القرآني- ولا أريد أن أقول المتكلم- وإن حذف فهو يحيل سامعه إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق و الذي يدل عليه سياق الحال ومن ثم يفتح باب التصور و التخيل ، و ليس أبلغ من هذا للتأثير فيه و إقناعه .

3- حذف المفعول :

---

375 - النمل:25.

376 - أبي البقاء عبد الله بن الحسن العبكري : التبيان في إعراب القرآن ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، 1980 ، ج1، ص:173 .

- الزمخشري ، الكشاف : ج2، ص: 361.

377 - الأنبياء :37.

378 - البلد: 14.

379 - النمل: 36 .

380 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19 ، ص267 .

ت1- وذلك في قوله تعالى : (وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ) (381)، والانزياح الوارد في هذه الآية الكريمة هو حذف مفعول " مرسلة " وقد دل عليه وصف " مرسلةً و كـون التشاور فيما تضمنه كتاب " سليمان" ، فالتقدير : مرسلة إليهم كتابا ووفدا مصحوبا بهدية إذ لابد أن يكون الوفد مصحوبا بكتاب تجيب به " بلقيس "
كتابً سليمانً ، لأن الجواب عن الكتاب عادة قديمة (382) .

ت2- والانزياح الآخر الذي يمكن ملاحظته هو حذف المفعول في قوله تعالى : (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) (383) حيث حذف المفعول في قوله " وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى " ويمكن تخريجها على النحو التالي : وسلام على عباده الذين اصطفاهم . وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واصطفاهم الله لنبيه ، هذا الانزياح المتجسد في حذف ضـمير المفعول مراد ومقصود وذلك لغاية تخفيف لطول الكلام (384) وفي هذه الآية نتيجة أولى (معطاة –حجـة) محتواة في السؤال البلاغي الموجه ذي القصد الاثباتي « آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ» .

4- حذف المعطوف :

ت1- قال تعالى : (قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) (385) ، في هذه الآية الكريمة انزياح عن المعهود و المتمثل في حذف المعطوف وذلك في قوله : ما شهدنا مهلك أهله ، بدبيب قوله تعالى : « لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ » وما روي أنهم كانوا عـازمين على قتله و قتل أهله و على هذا فقولهم: « وَإِنَّا لَصَادِقُونَ » كذب في الأخبار.
وأوهموا قومهم أنهم قتلوه وأهله سرا و لم يشعر بهم أحدا ، و قالوا تلك المقالة يوهمون أنهم صـادقون و هـم كاذبون ، ويحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه ، أي ما شهدنا مهلكه و مهلك أهله (386) .

5- حذف الجملة :

ت1- وذلك في قوله تعالى : (وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) (387) وجملة " ألق عصاك " معطوفة علىً بوركً و

381 - النمل :35.
382 - محمد الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ج19 ،ص: 266.
383 - النمل : 59.
384 - الشوكاني : فتح القدير ، ج4، ص:186.
385 - النمل : 49.
386 الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص:157.
387 - النمل :10.

في الكلام حذف و يمكن تقديره على النحو التالي : " وألق عصاك" فألقاها من يده فصارت حية "فلما رآهـا تهتز كأنها جان "

ت2- وقد يكون المحذوف أكثر من جملة و ذلك في قوله تعالى : (**اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**) [388] إلى غاية قوله جل وعلا : (**قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**) [389] طويت أخبار كثيرة دل عليها ما بين الخبرين المذكورين من اقتضاء عدة أحداث إذ التقدير : فذهب الهدهد إلى سبأ فرمى بالكتاب فأبلغ الكتاب إلى الملكة وهي في مجلس ملكها فقرأته قالت يا أيها الملأ.... وجملة ً **قالت** ً مستأنفة استئنافا بيانيا لأن غرابة قصة إلقاء الكتاب غليها يثير سؤالا عن شأنها حين بلغها الكتاب .[390]

والأمر نفسه في قوله تعالى : (**فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ**) [391] إلى قوله تعالى: (**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا**) [392]

6- الحذف المقابلي:

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف من واحد منهما مقابله، لدلالة الآخر عليه، ومنه قولـه تعالى:(**وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين**)[393]، وتقديره: أدخل يدك، وأخرجها تخرج: إلا أنه قد عرض في هذه المادة تناسب بالطباق، فلذلك بقي القانون فيه الذي هو نسبة الأول إلى الثالث، ونسبة الثاني إلى الرابع على حالـة الأكثرية، فلم يتغير عن موضعه و لم يجعل بالنسبة التي بين الأول والثاني وبين الثالث والرابـع وهـي نسـبة النظير[394] هكذا و تأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن دليل الحذف في كل ذلك هـو قرينـة السـياق والمحذوف من كل ذلك حشو لا ضرورة له ولا وجه لذكره، بالإضافة إلى ذلك ما أحدثه هذا الإنزياح مـن سمة جمالية في الأسلوب العدولي، والبعد الحجاجي للحذف في الآيات السابقات هو الاتاحة للسامع أن يؤول، وكل ذلك يبقى لصالح النص القرآني وقصده وغرضه من الخطاب، فيكون أجلب للتأثير.

---

388 - النمل : 28.

389 - النمل: 29.

390 - ينظر : محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19 ، ص:258.
الشوكاني : فتح القدير ، ج19 ، ص171.

391 - النمل :40.

392 - النمل : 41.

393 - النمل: 12.

394 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن: ج3، ص: 130.

4- ظاهرة الالتفات:

يعد الالتفات*(ومعه كثير من الألوان البلاغية) من الظواهر التعبيرية التي يعنى علم الأسلوب برصدها وتحليلها في لغة الأدب، والواقع أن ميدان هذا العلم الناشيء في أحضان علم اللغة الحديث يتداخل(ولا أقول يتطابق) تداخلا بيّنا مع ميدان علم البلاغة العربية في صيغته التي استقرت منذ بضع مئات من الأعوام... وقد أشرت إلى ذلك في الفصل الأول، وهو تداخل لا يرتد إلى علاقة تأثير وتأثر بين العلمين، بل إلى تلاقيهما من حيث التوجه أو الغاية، إذ أن وظيفة كليهما هي: التقاط التنبؤات أو التحولات التعبيرية في لغة الأدب للكشف عن شحناتها التأثيرية أو الدلالية(395).

وأسلوب الالتفات هو أحد المسالك التعبيرية أو الألوان البلاغية التي يشيع في استخدامها في لغة القرآن الكريم، بل لعله أكثر هذه الألوان ترددا وأوسعها انتشارا وأود الإشارة هنا إلى أن هذا الأسلوب لا ينحصر- كما حصره كثير من البلاغيين في التحول من ضمير إلى ضمير، بل إن مفهوم الالتفات على هذا النحو هو ما عناه بعض البلاغيين بنقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقا أو كما أورده الزركشي" هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية واستدرارا للسامع، وتحديدا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملل والضجر، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه "(396)

وسأتناول الالتفات في هذا البحث بالمفهوم المحصور- الالتفات في الضمائر – محاولة استخراج الصور التي تحققت في سورة" النمل " مستأنسة في كل حالة أعرض لها بقرائنها السياقية أو المقامية من جهة وبتوجيه البلاغيين أو المفسرين لها- إن وجدت – من جهة أخرى.

و عليه ومن هذا المنطلق لا يبدوا أثر الالتفات إلا في السامع، حيث يدرك انتقال الخطاب من أسلوب إلى آخر ومن حال إلى حال، لذلك فهو مرتبط به، يحفل بكثير من القيم التداولية لما له من أثر في السامع، فتنويع أساليب الخطاب له وقعه على السامع، إذ يأخذ به من نشاط إلى آخر ومن وضع مجددا في أحوال تلقيه له.

وقد قسم" تمام حسان " الالتفات إلى ثلاثة أقسام: إما نحوي خالص، وإما دلالي خالص وإما نحوي دلالي.

ومعنى أنه دلالي خالص أن العنصر النحوي الذي من شأنه أنه يكون محل الالتفات يبقى على صورته فلا يتغير من صورته شيء، ولكن دلالته عند إيراده ثانيا تختلف عنها عند إيراده أولا- وهذا قليل الورود في

---

* - لفت الشيء بفتح الفاء: لواه على وجهه، فلانا على الشيء: صرفه، ورداؤه على عنقه: عطفه، والكلام، صرفه إلى العجمة، واللحاء عن الشجر: قشره، والريش عن السهم: وضعه غير ملائم كيف اتفق...، ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة(ل. ف. ت) والملاحظ هنا أن المادة اللغوية أو المعجمية للالتفات تدور في عمومها حول محور دلالي واحد هو التحور، الإنحراف، الإنزياح عن المألوف من القيم أو الأوضاع أو أنماط السلوك.

395 - حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، دار الكتاب الحديث، الكويت، د ت. ص:33.

396 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:314.

القرآن الكريم – ومن ذلك مثلا: قوله تعالى:(**فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم**)[397] فالضمير في آتاكم لم يتحول عن صورته التي في" كاتبوهم " لأنه في الحالتين ضمير المخاطبين ولكن الأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقاب هؤلاء الأرقاء، أما الأمر بالإيتاء فهو لعامة المسلمين الـــذين طلب منهم أن يعينوا هؤلاء الأرقاء على الوفاء بالمال الذي كوتبوا عليه. فدلالة الضمير في الحالة الثانية غـــير دلالته في الحالة الأولى والصورة النحوية واحدة لم تختلف أي أن الالتفات هنا دلالي لا نحـــوي[398].فـــإذا تغيرت الدلالة وصورة الضمير كلتاهما كان الالتفات دلاليا ونحويا في آن واحد كما في قوله تعالى:(**كتاب أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون**)[399]، الملاحظ هنا هو وجود الفرق بين ضميري الخطاب في " إليك " و" اتّبعوا "، فالأول للنبي صلى الله عليه وسلم، والثاني لعامـــة المؤمنين، فاختلاف الضميران دلاليا بذلك ونحويا بالفرق بين الإفراد والجمع وهذا النوع من الالتفات يمكـــن التطرق إليه تحت ما يسمى بالالتفات في العدد.

فإذا بقي المدلول في بؤرة القصد واختلفت صورة ا لضمير كان الالتفات نحويا فقط وهـــذا كـــثير شـــائع في الأسلوب القرآني، كما في قوله تعالى:(**ألم يرو كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم**)[400] وإذا قارنا بين" قبلهم " و" لكم " نجد اختلافا في الضمير واتفاقا في القصد، لأن المقصود في الحالتين كفار مكة، ومن ثم كان الإنزياح نحويا فقط[401] وهذا ما سأتطرق إليه في حديثي عن الإلتفات في الضمائر.

نماذج تطبيقية للالتفات في سورة النمل:

أ- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب، استحضارا للتواصل الحي ؛ بحيث يتوخى المتكلم أن يتجـــه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع، ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور .

ت1- نحو قوله تعالى:(**ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما يعلنون**) [402] تندرج الآية الكريمة ضمن الحجة الثانية" قصة سليمان "(من الآية 15 إلى الآية 46) وهي عبارة عن نص سردي يخدم القضية "أ" لها طابع إيجابي.

---

397 - النور: 33.
398 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن. ص:369- 370.
399 - الأعراف: 2-3.
400 - النساء: 47.
401 - تمام حسان: المرجع السابق : ص:372.
402 - النمل: 25.

وقد قرأ الجمهور" يخفون... يعلنون " بياء الغيبة، وقرأه الكسائي وحفص عن عاصم بتاء الخطاب" تخفون... وتعلنون " وعليه يمكن القول أن النسق الكريم عدل من الغيبة في " يسجدوا ' إلى الخطاب في " تخفون... وتعلنون " وطريقة الخطاب هي الطريقة الأكثر مباشرة في الإبلاغ، وتلك هي القيمة الحجاجية لهذا الالتفات.

ت2- وفي مثال آخر لهذا النوع من الالتفات قوله تعالى:**(ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعلمون)** [403] الالتفات الحاصل في الآية الكريمة هو التفات من الغيبة في قوله تعالى:**" فكبت وجوههم "** إلى الخطاب في قوله:**" كنتم تعملون "**

ب- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

ت1- قال تعالى:**(أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون)**[404]، ونون الجمع في " أنبتنا " التفات من الغيبة إلى الحضور و من لطائفه هنا التنصيص على أن المقصود إسناد الإنبات إليه عز وجل لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء لأن التذكير بالمنبت الحقيقي الذي خلق الأسباب أليق بمقام التوبيخ على عدم رعايتهم نعمه [405].

وعليه فهذا الالتفات في هذه الآية جاء لغرض دلالي، ويندرج ضمن المقطع الأخير من الآيـــة 61 إلى الآية 93، والذي يعد بمثابة النتيجة وهي مبنية بناء حجاجيا تمت الاستعانة فيه بالاستفهام لما لهذا الأخير مــــن تأثير خاص ومباشر.

جـ- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ت1- قال تعالى:**(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)**[406].

ما يمكن ملاحظته هنا عدول النسق القرآني من ضمير التكلم الموجود في نحشر إلى ضمير الغيبة في " قال "، ووجه هذا النوع من الالتفات أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم وقصده من السامع، حضر أو غاب وأنه في كلامه ليس ممن يتولون ويتوجه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لونين، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقـــاء

---

403 - النمل: 25.
404 - النمل: 60.
405 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص:11.
406 - النمل: 83-84.

على المخاطب فالغيبة أروح له وأبقى على ما وجهه أن يفوت[407] ويمكن تصنيف هذه الآية ضمن المقطـــع الأخير (61- 93). الذي يعد النتيجة.

د- الالتفات من الخطاب على الغيبة:

في هذا النوع من الالتفات يتم الانتقال من الخطاب إلى الغيبة وقد ورد ذكر هذا الالتفات لدى" إبن الأثير "، وسماه الإخبار بالماضي عن المستقبل وهو أبلغ وأؤكد في تحقيق الفعل، ويكتسي هذا البعد الحجاجي، حين يرغب المتكلم في إثبات ما يذكره وتحقيقه بل إنه ينطلق به في صورته الثابتة المتحققة، ولن يتأثر له ذلك بغير الماضي[408] نحو:

ت1- قوله تعالى:(**حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ**)[409] والالتفات الواقع هنا هو: من الخطاب في قوله تعالى:" **أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها** "إلى الغيبة في قوله:" **ووقع القول عليهم** ".

5- الإنزياح في الصيغ:

يتحقق الإنزياح في هذا المجال كلما تخالفت صيغتان في(نسق واحد) من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلا: المخالفة بين صيغ الأفعال(الماضي، المضارع، الأمر) أو بين صيغتي نوع واحد منها أو بين صيغ الأسماء أو بين صيغة من صيغ الاسم وأخرى من صيغ الفعل، أو ما إلى ذلك مما لا يتمثل في اللغة الفنية عامة، وفي لغة القرآن خاصة إلا لمرامي وأسرار بيانية يفقدها السياق لو لم تكن تلك المخالفة[410].

نمـــــاذج تطبيـــــقية.

1- من الماضي إلى المستقبل:

ت1- قال تعالى:(**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَـا أَذِلَّـةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**) [411] افتتاح جملة " إن الملوك " بحرف التأكيد للاهتمام بالخبر وتحقيقه، فقولها " إذا دخلوا قرية أفسدوها "استدلال بشواهد التاريخ الماضي ولهذا تكون (إذا) ظرفا للماضي بقرينة المقام و جملةً

---

407 - الزركشي: البرهان في وجوه القرآن، ج3، ص:316، 317.

408 -خليفة بوجادي: خصائص التركيب اللغوي في بوابات النور ، ص: 199.

409 - النمل: 84-85.

410 - حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص :56.

411 - النمل :34.

وكذلك يفعلون ً استدلالا على المستقبل بحكم الماضي على طريقة الاستصحاب وهو كالنتيجة للدليل الذي في قوله:" **إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا** " والإشارة إلى المذكور من الإفساد وجعل الأعزة أذلـــة، أي فكيف نلقي بأيدينا إلى من لا يألوا فسادا في حالنا فالإنزياح الحاصل هنا العدول من صيغة الماضي إلى المستقبل ومن هنا يمكن القول أن الحكمة في هذا العدول الإنزياح من الماضي إلى المستقبل هـــي الإشـــعار بـــالتكثير والاستمرارية فلو قيل وكذلك فعلوا لدل ذلك على انقطاع فعلهم المتمثل في جعل أعزة الأهل أذلـــة حـــين دخولهم على القرية لأن مثل هذه الوقائع لا تزال مستمرة حتى يومنا هذا خصوصا في ظل الحروب الموجـــودة في العالم والهيمنة الأحادية القطب، وأول ما تقوم به الدول المستعمرة هو الإطاحة بنظام الحكم وخلع الرئيس وإذلاله ومحاكمته دوليا.

وعليه فالعدول الحاصل في هذه الآية الكريمة إنما جاء مناسبا جدا لمعنى الآية وتأكيد على اســـتمرارية الفعل وهذا ما يتلاءم مع صيغة المستقبل.[412]

ت 2-قال تعالى:(**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّـــاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ**)[413] تشير الآية الكريمة إلى شيء من أشراط حلول الوعيد الذي أخبروا به وهو الوعيد الأكبر يعني وعيد البعث فتشير إلى شيء من أشراط الساعة وهو زمن خوارق العادات، والتعبير عـــن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن الحال من المضي أي أشرف وقوعه على أن فعل المضي مع (إذا) ينقلب إلى الاستقبال وجملة" إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون " تعليل لإظهار هذا الخـــارق للعـــادة" حيـــث لم يـــوقن المشركون بآيات القرآن " وهذا في الماضي فجعل ذلك الجاءا لهم حين لا ينفعهم[414]

ت 3- قال تعالى:(**وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ**)[415]

والتعبير بفعل المضي" وقع " على هذا الوجه لأنه محقق الحصول في المستقبل فجعل لأنه حصل ومضى، وجملة" فهم لا ينطقون " مفرغة على" وقع القول " جاءت بصيغة المستقبل.

وعليه نستطيع القول أن الإنزياح الحاصل في هذه الآية بين صيغة" وقع الماضي " إلى" ينطقـــون " في المضارع إنما جاء لذلك لتأكيد المنع المطلق والتام عن الكلام سواء بالاعتذار أو الإنكار والنكتة في هذا العدول هي النفي المطلق لكل أنواع الكلام.

ت4- (**أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) [416] الإنزياح من صيغة الماضي إلى المستقبل في قوله" يؤمنون " إنما جاء لكون الإيمان مقصود بـــه أنـــه

---

412 - الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص266

413 - النمل :82.

414 - الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج19، ص38- 39.

415 - النمل: 85.

416 - النمل: 86.

مرجو، إذ ليس المقصود أن في ذلك آيات للذين آمنوا لأن ذلك حاصل بالفحوى والأولوية، فصار المعنى: أن في ذلك لآيات للمؤمنين ولمن يرجى منهم الإيمان عند النظر في الأدلة[417]

وتأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن مجيء قوله تعالى" يؤمنون " بصيغة المضارع مقصود أصلا وذلك لما أنتجه من دلالة جديدة فلو جيء بصيغة الماضي لكان الخطاب موجه للذين آمنوا فقط، وبالتالي تنحصر وتقتصر دعوى التأمل والتبصر عليهم فقط بينما الدعوة موجهة لعامة الخلق وهذا ما دلت عليه صيغة المضارع" يؤمنون " أي للذين آمنوا، أي المؤمنين سلفا وللذين يرجى منهم الإيمان عند التدبر في آيات الله في الكون.

2- من المستقبل إلى الماضي:

وقد يعدل السياق الكريم من صيغة" يفعل " فيؤثر صيغة" فعل " لتحقيق مزية بلاغية وذلك في قوله تعالى: (**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**) [418]

جيء بصيغة الماضي في قوله" ففزع " مع أن النفخ مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع، وأنه واقع لا محالة، لأن المضي يستلزم التحقق فصيغة الماضي كناية عن التحقق وقرينته الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله" **ينفخ** [419] وكان مقتضى الظاهر أن يكون القول" فيفزع "لأن الحدث لم يقع بعد[420] وعليه يمكن القول أن الفائدة الحاصلة من إيراد الفعل الماضي إذا أخبر به عن المستقبل الذي لم يوجد أنه أبلغ و أعظم موقعا لتنزيله منزلة الواقع ، و الفائدة في المستقبل إذا أخبر به عن الماضي لتتبين هيئة الفعل باستحضار صورته ليكون السامع كأنه شاهد، وإنما عبر عن الأمر بالتوبيخ بالماضي بعد قوله:

" ينفخ " للإشعار بتحقيق الوقوع وثبوته، وأنه كائن لا محالة، كقوله تعالى:(**وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا**)[421]
والمعنى" يبرزون " [422].

وخلاصة القول أن العدول من صيغة المضارع إلى المستقبل إنما جاء للتأكيد على تحقق الفعل بالإضافة إلى كونه أبلغ كما يقره علماء البيان كما أن السامع لهذه الآية بهذه الصيغة تجعله يفكر ويستحضر ويستشعر ذلك الموقف بنوع من التهويل والخوف.

---

417 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص44.
418 - النمل: 87.
419 - الشوكاني: فتح القدير، ص:194.
420- طالب محمد اسماعيل الزويعي : من أساليب التعبير القرآني، دراسة لغوية و أسلوبية في ضوء النص القرآني ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، إصدارات الجوهر، بيروت ، ط1، 1996. ص:151-152.
421 - إبراهيم: 21.
422 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:337.

6- الإنزياح في البناء النحوي:

نعني بالانزياح في البناء النحوي ، التحول أو الانكسار في نسق المكونات النحوية للتعبير ويمكن القول أن صور الانزياح تتحقق في هذا المجال عند إعادة عنصر من عناصر البناء النحوي على نمط مخالف لما ورد بـه أولا في التعبير أو السياق بحيث يكون المعنى الذي يؤديه التعبير مع هذه المخالفة هو لو تغاضينا عن خصوصياتها في أدائه ما يتأدى بدونها من دونها- من ذلك – مثلا بناء الفعل للمفعول بعد بنائه للفاعل أو العكس أو يراد به تارة لازما وأخرى متعديا أو التحول في بناء الجملة عن نمط الفعلية إلى نمط الاسمية أو العكس... أو مـا إلى ذلك من تحولات تفجأ المتلقي وتثير تأمله بحثا عن مثيراتها السياقية وظلالها الدلالية الخاصة[423] .

نماذج تطبيقية:

ت1- قال تعالى:(**قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [424] الملاحظ في هذه الآيـة الكريمة عدول النسق القرآني من الجملة الفعلية ً أصدقت ً إلى الجملة الاسمية ً أم كنت من الكاذبين ً .

ت2- قال تعالى:(**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ**) [425] في الآيـتين الكريميتن انزياح حيث عدل النسق القرآني من الجملة الفعلية:" إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصـم " إلى الجملة الاسمية" وما أنت بهادي العمي " وقد عدل في هذه الجملة عن صيغتي النفي السابقتين في قوله:" إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء " الواقعتين على مسندين فعلين، التي تسلط النفي هنا على جملـة اسميـة للدلالة على ثبات النفي وأكد ذلك الثبات بالياء المزيدة لتأكيد النفي.[426]

7- الانزياح في العدد:

يحفل القرآن الكريم بالعديد من مواطن الانزياح في مجال(الإفراد، التثنية، الجمع)

أ- بين الإفراد والجمع.

ب- بين الإفراد والتثنية.

ج- بين التثنية والجمع.

---

423 - حسن طبل :أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، ص:146.
424 - النمل: 27.
425 - النمل: 80-81.
426 - محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج20، ص:37.

نمـــــــاذج تطبيـــــــــقية:

أ- بين الإفراد والجمع:

ت1- في قوله تعالى: (**وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**)[427](أفراد- جمع)

والعدول الوارد في هذه الآية هو العدول بين الإفراد في قوله تعالى:" قال سليمان: "عُلِمْنَا وَأُوتِينَـــا" وضـــمير "عُلِمْنَا"و"أُوتِينَا"مراد به نفسه جاء به على صيغة المتكلم المشارك إما لقصد التواضع كأن جماعة علموا وأوتوا وليس هو وحده وإما لأنه المناسب إظهار عظمة الملك وفي ذلك تهويل لأمر السلطان عند الرعية، وقد يكون ذلك من مقتضى السياسة في بعض الأحوال[428].

وعليه فإن العدول في العدد من الإفراد إلى الجمع أضفى على التعبير القرآني عذوبة وسلاسة بالإضـــافة إلى ذلك جُسِدَتْ الدلالة المرجوة مكانة الملك وعظمته.

ت2- قال تعالى: (**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ**)[429] صاحب الضرورة زائد حالة البؤس يستلزم حالة الانتفاع "يجعلكـــم" لأن الانتفاع يشمل جميع الناس عكس الضرر والبؤس لأن هناك من لم يمسه ضرر أو بؤس فهو من الأغنياء وعليه جاء بالإفراد أما الانتفاع يشمل كل الناس وذلك من خلال الانتفاع بنعم الله من ثم جاء النسق القرآني بصيغة الجمع.

ب- بين التثنية والجمع.

ت1- قال تعالى: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُـمْ فَرِيقَـانِ يَخْتَصِمُونَ**) [430] يعود ضمير "يختصمون" الجمع على المثنى وهو "فريقان" باعتبار اشتمال الفريقين علـــى عدد كثير والفريقان هما: فريق الذين استكبروا وفريق الذين استضعفوا وفيهم صالحا[431]

هذا العدول في العدد من التثنية إلى الجمع إنما جاء لأداء دلالة اشتمال الفريقين على عدد كثير.

---

427 - النمل: 16.
428 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص:338
429 - النمل: 62
430 - النمل: 45
431 - محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق ، ج19، ص:278.

8- العدول عن الإضمار إلى الإظهار:

ت1- وذلك في قوله: **(فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)**(432) حيث عدل التعبير القرآني عن القول: فإنه غني كريم إلى القول **(فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)** تأكيدا للاعتراف بمحض الفضل المستفاد من قوله: "فضل ربي " فليس إحسان الله إلى سليمان إلا فضلا و لم يذكر ذلك سليمان بل ذكر الفضل وإضافة إلى الله لإظهار فضله عليه(433).

9- الإنزياح في الأدوات:

يتحقق الانزياح في مجال الأدوات بإحدى الصورتين:

أ- المخالفة بين الأدوات المتماثلة: أي التحول في التعبير أو السياق الواحد من أداة إلى أداة أخرى تماثلها في أداء وظيفتها (العامة) وتفترق عنها في خصوصية هذا الأداء .

ب- حذف الأداة وذكرها: أي التحول في السياق الواحد عن ذكر الأداة إلى حذفها أو العكس لقيمة تعبيرية تقتضي هذا أو ذاك(434).

ت1- قال تعالى:**(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ)** (435) الانزياح الحاصل في الآية الكريمة هو الانتقال /الانزياح من التعريف إلى التنكير، في لفظتي : (القرآن، كتاب).

II- الانـــزياح الدلالــــي :

توقف البلاغيون أمام موضوعات البيان وقفات عقلية يشرحون وفق اجتهادهم سر الجمـــال فيهـــا، فالتشبيه جماله في التقريب والتوضيح و التفسير، أما الاستعارة فهي للتأثير، وعن الكناية قالوا:أن جمالها أنهـــا تجيء بالحجة ومعها دليلها وهكذا لم يرى البلاغيون تأثيرا نفسيا إلا للاستعارة، أما جمال التشـــبيه والكنايـــة عندهم فعقلي منطقي(436).

---

432 - النمل:40.

433 - محمد الطاهر بن عاشور: المرجع السابق، ج19، ص: 272.

434 - حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية،ص:131

435 - النمل :01

436 - مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية ، 1985، ص:130.

التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية والتمثيل مصطلحات بلاغية معروفة وتحليل مضامينها وبيان وجوه البلاغة فيها موضوع تناوله البلاغيون قبل" الجرجاني" ، نعم إن تحليلات "الجرجاني" لهذه المضامين والوجوه أكثر بيان وأشد حيوية، وقد فعل ذلك بمهارة وذوق أدبي فائقين، سواء في كتابه ً أسرار البلاغة ً أو في كتابه ً "دلائل الإعجاز "، ومع ذلك فإن الجديد الذي نلمسه بوضوح عند "عبد القاهر الجرجاني" وهذا ما يهم الباحث الإيبستمولوجي بالدرجة الأولى هو أنه أبرز من خلال تحليل لمعنى "النظم" الطابع **الاستدلالي للأساليب** البيانية العربية من تشبيه ومجاز واستعارة وكناية وتمثيل وهذا الطابع الاستدلالي الذي يجعل الذهن ينتقل من خلال الأساليب البلاغية تلك من المعنى إلى معنى المعنى هو ما عناه مؤلفنا حينما فسر النظم على أنه تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل...

ذلك هو مضمون نظرية "النظم" الجرجانية، مضمونها الكامن فيها كمشروع يتجاوز إشكالية اللفظ والمعنى في مستواها العمودي إلى مستوى أرقى من ذات الإشكالية، مستوى العلاقة بين نظام الخطاب/ توخي معاني النحو ونظام العقل[437].

وهذا ما أود الوصول إليه في هذه الدراسة.

1- المجاز:

المجاز: كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول فهي مجاز، وإن شئت قلت: كل كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظته ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده لها الآن إلا أن هذا الإسناد يقوى ويضعف[438].

والنكتة أن المجاز لم يكن مجاز لأنه إثبات الحكم لغير مستحقه بل لأنه أثبت لما يستحق تشبيها وردا له إلى ما يستحق، وأنه ينظر من هذا إلى ذاك، وإثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل حتى يبدأ بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له.[439]

أقسام المجاز:

يقول ً الجرجاني" : ً واعلم أن المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغه، ومجاز من طريق المعنى المعقول "[440]

---

437 - محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية،ط7، 2004م، ص:87.

438 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، دت، ص:252.

439 - المرجع نفسه: ص:277.

440 - المرجع نفسه: ص:292-293.

1- **المجاز العقلي:** ويكون في الإسناد أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غيره إلى غير مـــا هـــو لـــه. ويسمى المجاز الحكمي، والإسناد المجازي ولا يكون إلا في التركيب.

نمـــاذج تطبيقـــــــية:

ت1- قال تعالى : **(هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)** [441] وصف الكتاب بالهدي والبشرى جار علـــى طريقة المجاز العقلي، وإنما الهادي والمبشر الله أو الرسول(ص) بسبب الكتاب وجعل هذان الحـــالان" هـــدى وبشرى " مصدر للمبالغة بقوة تسببه في الهدى وتبليغه البشرى للمؤمنين، فالمعنى أن الهدى للمؤمنين والبشرى حاصلان منه ومستمران من آياته.

وإسناد الهدى والتبشير إلى القرآن ذلك من المجاز العقلي لأن الأصل إسناده إلى الله أو إلى الرســـول صلى الله عليه وسلم وهنا حدث الإنزياح.[442]

ت2- قال تعالى: (**فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ)** [443] والمبصرة: الظاهرة صيغ لها وزن اسم فاعل الإبصار على طريقة المجاز العقلي، وإنما المبصر الناظر إليها.

ت3- قال تعالى: (**وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ)** [444] وتكن: ً تخفيً وهو من(أكنّ) إذا جعل شيئا كائنا، أي حاصلا في كنّ، والكنّ: المسكن وإسناد" تكن " إلى الصدور مجاز عقلي باعتبار أن الصدور مكانه، ومن ثم كان فعل" الكن " إلى الصدور رغم أن الصدور ليست هي التي تكن وذلك عن طريق المجاز العقلي، ومن ثم حصل الإنزياح، لأن إثبات الفعل أو إسناده لغير القادر لا يصح إلا أن ذلك على سبيل التأويل وعلى العرف الجاري بين الناس أن يجعلوا الشيء كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنه فاعل.[445]

2- المجاز اللغوي: مفعل من جاز الشيء بجوازه إذا تعداه وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة- إنزياح على النمط المألوف – ووصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي أو جاز هو مكانـــه الـــذي وضع فيه أولا.[446]

---

441 - النمل:02.
442 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج19، ص:218- 219.
443 - النمل: 13.
444 - النمل: 74.
445 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص276.
446 - جورج شكور: كتاب البيان، موجز في البيان والعروض مع مختارات أدبية، دار الفكر اللبناني، بيـــروت،ط1، 1996 م، ص:70.

وعليه فالمجاز اللغوي يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينهما صلة ومناسبة، وهـــذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له(447) وهو نوعان:

أ- الاستعارة:*

الاستعارة: مجاز لغوي يستخدم اللفظ فيه على غير معناه الأصلي لعلاقة هي المشابهة بين المعـــنى الحقيقـــي والمعنى المجازي، فالاستعارة إذا مبنية على التشبيه. فالمستعار له عبارة عن المشبه والمستعار منه عبارة عن المشبه به ويقال لهما الطرفان، والمستعار به عبارة عن وجه الشبه ويسمى الجامع(448) والاستعارة نوعان بالإضـــافة إلى أنواع أخرى:

1- استعارة تصريحية: وهي التي حذف فيها المشبه أي المستعار له وذكر المشبه به أي المستعار منه.

2- استعارة مكنية: وهي التي تتضمن كناية.

وقيمة الاستعارة أنها رؤية أخرى للشيء من شأنها أن تبدل بعض المقاييس وقد ترفع الموجودات أحيانا إلى مستوى كياني أعلى، كأن تخلع على الجماد بعض طبيعة النبات أو على النبات والجماد والحيوان بعـــض طبيعة الإنسان، ومن هنا تكون الاستعارة انزياحا وخرقا للمعهود.

نمـــاذج تطبيقـــية:

1- الاستعارة البديعية:

ت1- قال تعالى : **(قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ)** (449) في قوله" قبل أن يرتد إليك طرفك" شبّه سرعة مجيئه بالعرش برجوع الطرف للإنسان وارتداد الطرف معناه التقاء الجفنين وهو أبلغ ما يمكن أن يوصف به في السرعة ومثله: **(وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ)**(450) أو هو أقرب فاستعار للسرعة الفائقة ارتداد الطرف.(451)

---

447 - عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، دت، ص:143.
* - تتميز الاستعارة من التشبيه كونه تعبير حقيقي، أما الاستعارة فتعبير مجازي.
448 - عبد الله بن أحمد النسفي: تفسير النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التاويل، تحقيق: مروان محمد الشـــعار، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت لبنان،ط1، 1416هـــ، 1996م.ج3، ص: 299.
449 - النمل: 40.
450- النحل :77.
451 - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص:368.

ت2- قال تعالى **: (وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ)** [452]المكر الذي أسند إلى اسم الجلالة مكر مجازي، أستعير لفظ المكر لمبادرة الله إياهم باستئصالهم قبل أن يتمكنوا من تبييت صالح وأهله، وتأخيره استئصالهم إلى الوقت الذي تآمروا فيه على قتل صالح **لتشبه فعل الله ذلك بفعل الماكر في** تأجيل فعل إلى وقت الحاجة مع عدم إشعار من يفعل به.

ت3-قال تعالى:(**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ**) [453] جمع عمٍ بالتنوين وهو فعل من العمى، صاغوا له مثال المبالغة للدلالة على شدة العمى، وهو تشبيه عدم العلم بالعمى، وعادم العلم بالأعمى وجملة" بل هم منها عمون " ارتقاء ثالث وهو آخر درجات الإرتقاء في إثبات ضلالتهم وهو أنهم عميان عن شأن الآخرة، وفيها نجد الاستعارة، حيث استعار العمى للتعامي عن الحق وعدم التدبر في آلاء اله[454] وللمتأمل أن يتذوق ما لهذا الأسلوب العدولي من جماليات وأثر في المعنى بإعمال نظام العقل ونظام الخطاب.

2- الاستعارة اللطيفة:

ت1- قال تعالى:(**أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ**) [455] في جملة" بين يدي رحمته " استعارة، أي استعار اليدين للدلالة على الأمام أي أمام نزول المطر، لأن الرياح هي السبب في إثارة السحاب الذي به المطر وهو المعنى برحمة الله، وإرساله الرياح هو خلق أسباب تكوينها.[456]

3- الاستعارة التبعية:

ت1-قال تعالى: **(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)**[457] الاستعارة في هذه الآية الكريمة كامنة في جملة " إن هذا القرآن يقص " لأن القصص لا يوصف به إلا الناطق المتميز، ولكن القرآن لما تضمن نبأ الأولين كان كالشخص الذي يقص على الناس الأخبار ففيه استعارة تبعية، وأجد في إسناد فعل القص إلى شيء لا تتوفر فيه شروط القص كالكلام هو

- محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، ج3، ص: 411.
452 - النمل: 50.
453 - النمل: 66.
454 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص: 23.
- محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، ج3، ص: 417 .
455 - النمل: 63.
456 - محمد علي الصابوني، المرجع السابق، ص:416.
- محمد الطاهر بن عاشور : المرجع السابق ، ص: 17.
457 - النمل :76.

الإنزياح عن النمط المألوف والخرق للمعهود، حيث يترك التعبير القرآني قارئه أو سامعه في عملية تأويل وتخييل.

4- الاستعارة التمثيلية:

ت1- قال تعالى:(**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ**) [458]

الموتى و" الصم " مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحق ويكابرون من يقوله لهم، شُبِّهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتفاء فهمه معاني القرآن وشبهوا بالصم كذلك في انتفاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم، فالمشركون شبهوا بالموتى بالنظر إلى الأثر الأول للقرآن وهو احتواؤه على المعاني المقبولة لدى أهل العقول السليمة من العرب والعجم عن مقدرة بلغاء العرب، وهذا أثر لفظي وهو دليل الإعجاز وهو خاص بالعرب مباشرة، وحاصل لغيرهم من أهل النظر والتأمل إذا تدبروا في عجز البلغاء من أهل اللسان الذي جاء به القرآن، فهؤلاء يوقنون بأن عجز بلغاء أهل ذلك اللسان عن معارضته دال على أنه فوق مقدرتهم فحصلت استعارتان ونفي الاستماع فيهما ترشيحان للاستعارتين وهما مستعاران لانتفاء معالجة إبلاغهم.[459]

5- الاستعارة المكنية:

ت1- قال تعالى: (**وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ**) [460] وقوله"عن ضلالتهم " يتضمن استعارة مكنية قرينتها حالية، شبه الدين الحق بالطريق الواضح، وإسناد الضلالة إلى سالكيه ترشيح لها وتخييل، والضلالة أيضا مستعار لعدم إدراك الحق تبعا للاستعارة المكنية وأطلقت هنا على عدم الاهتداء للطريق، وضمير " ضلالتهم " عائد على العمي.

ولتأتي هذه الاستعارة الرشيقة عدل عن تعليق ما حقه أن يعلق بالهدى فعلق به ما يقتضيه نفي الهدى من معنى الصرف والمباعدة، فقيل" عن ضلالتهم " يتضمن "هادي " معنى صارف، فصار: ما أنت بصارفهم عن ضلالتهم كما يقال: سقاه عن العيمة، أي سقاه صارفا له عن العيمة وهي شهوة اللبن.[461]

ب- المجاز المرسل:

ت1- قال تعالى:(**بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ**) [462] يجوز أن يكون التدارك مستعملا مجازا مرسلا في الاختلاط والاضطراب لأن التدارك والتلاحق يلزمه

---

458 - النمل: 80.

459 - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ج20، ص:35.

460 - النمل: 81.

461 - محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق ، ص:37.

462 - النمل: 66.

التداخل كما إذا لحقت جماعة من الناس جماعة أخرى أي لم يرسوا على أمر واختلفت أقوالهم اختلافا يؤذن بتناقضها، فهم ينفون البحث ثم يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله من العذاب، وهذا يقتضي إثبات البعث ولكنهم لا يعذبون ثم يتزودون تارة للآخرة ببعض أعمالهم التي منها: أنهم كانوا يحبسون الراحة على قبر صاحبها ويتركونها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت فيزعمون أن صاحبها يركبها ويسمونها البلية فذلك من اضطراب أمرهم في الآخرة.(463)

ت2- قال تعالى:(**وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**) (464)

والغائبة: اسم للشيء الغائب والتاء فيه للنقل من الوضعية إلى الاسمية كالتاء في العافية والعاقبة، والفاتحة، وهو اسم مشتق من الغيب وهو ضد الحضور والمراد: الغائبة عن علم الناس، استعمل الغيب في الخفاء مجازا مرسلا، والعلاقة غير المشابهة.(465)

2- التشبيه:

وهو من الأساليب الأدبية ليس في اللغة العربية فحسب، وإنما في سائر اللغات وقد عني به العرب وجعلوه أحد مقاييس البراعة الأدبية وتوالي علماء البراعة الأدبية وتوالي علماء البلاغة على التشبيه كل" ينظر إليه من زاوية ويقسمه تقسيمات مختلفة لاعتبار من الاعتبارات.

والتشبيه في أبسط معانيه هو أن يشارك المشبه والمشبه به في صفه أو أكثر وهي أوضح أو أظهر في المشبه به منهما في المشبه، وتجمع بينهما الأداة وهي قد تكون اسما نحو شبه ومثل...أو فعلا نحو يشبه ويضارع ويماثل ويحاكي... أو حرفا مثل: الكاف وكأن، وقد تحذف هذه الأداة، ووجه الشبه، وحينئذ يسمى التشبيه بليغا "(466)

نماذج تطبيقية:

ت1- قال تعالى: (**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ**) (467) في الآية الكريمة تشبيه مرسل مجمل وذلك في جملة" كأنه جان " حيث ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مرسلا مجملا.

---

463 - محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق، ص:21.
464 - النمل: 75.
465 - محمد الطاهر بن عاشور:المرجع السابق، ص:29.
466 - مصطفى الصاوي الجويني: البلاغة العربية، تأصل وتجديد، ص:84- 85.
467 - النمل: 10.

ت2- قال تعالى(**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**) [468] في هذه الآية الكريمة تشبيه بليغ في جملة " وهي تمر مر السحاب " أي تمر كمر السحاب في السرعة، حذفت الأداة ووجه الشبه فأصبح تشبيها مثل محمد قمر.

وعليه فالقرآن الكريم حافل بالأساليب العدولية التي تحل فيها علاقة عقلية أو فنية محل العلاقة الأصلية العرفية فيؤول الكلام إلى أحد الأساليب البيانية العدولية،

(وكل أساليب البيان عدولية) ولست أظن القارىء بحاجة إلى أن أفصّل في ذكر كل الشواهد الــواردة في سورة النمل، فقد اكتفيت ببعضها.

وأود الإشارة هنا إلى بعض المحسنات البديعية من طباق وجناس ومقابلة الواردة في سورة النمل بشكل مقتضب ذلك أن إدراكها في متناول الجميع كما أن الدارسين أشبعوها درسا ودراسة.

نمــاذج تطبيقيـــة :

من المواضع التي ورد فيها الطباق قوله تعالى: (**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**) [469](وهذا طباق السلب)، وكذلك في قوله تعالى:(**أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ**) [470]

كما نجده أيضا بين(**تخفون.... وتعلنون**) [471] وبين(**حسنا بعد سوء**) [472] وبين (**ولى مدبرا ولم يعقب**) [473] و(**يفسدون... ولا يصلحون**) [474] (**لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة**) [475]، (**يبدأ الخلق ثم يعيده**) [476]

كما أن للجناس بأنواعه المتعددة حضور كذلك مثل ما في قوله تعالى:(**وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ**) [477] جناس ناقص، وكذا جناس الاشتقاق في قوله: (**تقوم من مقامك**)[478]،(**وأسلمت مع سليمان**)[479]

3- التغليب:

---

468 - النمل: 88.
469 - النمل: 22.
470 - النمل: 41.
471 - النمل: 25.
472 - النمل: 11.
473 - النمل: 10.
474 - النمل: 48.
475 - النمل: 46.
476 - النمل: 64.
477 - النمل: 22.
478 - النمل: 39.
479 - النمل: 44.

وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين وهو أنواع:

- تغليب المذكر.
- تغليب المتكلم على المخاطب وال
- مخاطب على الغائب.
- تغليب العاقل على غيره.
- تغليب الأكثر على الأقل.
- تغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به.[480]

وقد قسمً تمام حسانً التغليب إلى قسمين: أحدهما معجمي والآخر نحوي، فهو نحوي حين يكون وظيفة للضمائر والمقصود بالكلمات المفردة ذوات المعنى المفردة، الذي يتكفل ببيانه المعجم، وذلك في مقابل الكلمات التركيبية ذوات المعنى الوظيفي الذي يتكفل ببيانه النحو. كالأدوات والضمائر ونحوها[481]

نماذج تطبيقية للتغليب في سورة النمل:

1- تغليب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب:

ت1- قال تعالى: **(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)** [482].

بتاء الخطاب، غلب جانب" أنتم " على جانب" قوم " والقياس أن يجيء بالياء، لأنه وصف القوم وقوم اسم غيبة، ولكن حسن آخر الخطاب وصفا للقوم" قوم " لوقوعه خبرا عن ضمير المخاطبين.

لأن في ضمير الخطاب معنى الإثارة لملازمته لها، أو لمعناها لكان متجها وإن لم تساعده الصناعة، لكن ببعده ان المراد وصفهم بجهل مستمر، لا مخصوص بحال الخطاب، و لم يقل:" جاهلون " إذنا بانهم يجددون عند كل مصيبة بطلب آيات جهلهم.

وعليه يمكن القول أن تغليب المخاطبة على الغائب- وكان بالإمكان أن تكون بياء الغيبة" يجهلون "- انزياح راجع إلى كون دلالة المخاطبة أقوى وأرسخ أصلا من الغيبة.[483]

2- تغليب العاقل على غيره:

وذلك بأن يتقدم لفظ يعم من يعقل ومن لا يعقل فيطلق اللفظ المختص بالعاقل على الجميع.

---

480 - الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ج3، ص:302- 313.
481 - تمام حسان: البيان في روائع القرآن، ص: 373.
482 - النمل: 55.
483 - الزمخشري: الكشاف ج3، ص:374.

ت1- كما في قوله تعالى : (**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**) [484] وموضع التغليب في الآية الكريمة في قوله تعالى:" **يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُم**" لما أخبر عنها بأخبار الآدميين جرى ضميرها على حد من يعقل. ومن هنا نستطيع القول أن النسق القرآني عدل على مخاطبة غير العاقل" النمل " مخاطبة العاقل انزياح عن النمط المألوف وهذه الآية الكريمة من عجائب القرآن الكريم كما قال العلماء، لأنها بلفظ" يا " نادت" أيها " نبهت" النمل " عيّنت" أدخلوا " أمرت،" مساكنكم " نصت ً لا يحطمنكم ً حذرت" سليمان " خصت ً و جنوده " عمت" وهم لا يشعرون " اعتذرت فيا لها من نملة ذكية. [485]

4- الانزياح في المعجم:

يشمل الانزياح في هذا المجال بين الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى، ثم يتفرد كل منهما ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي يشاركه فيها سواه. فطرفا العدول في هذا المجال هما لفظان يشتركان فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون: الدلالة المركزية أو المعجمية أو الأساسية ويستقل كل منهما عن الآخر فيما يسمى عندهم: الدلالة الهامشية أو السياقية أو ظلال المعنى وألوانه[486] أما قيمة المغايرة بينهما فتتمثل في ملاءمة كل منهما بدلالته المتفردة. للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام وأود فيما يلي أن نتأمل بعض المواطن في سورة النمل التي تمثل صور العدول في هذا المجال.

نماذج تطبيقية:

ت1- قال تعالى : (**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**)[487] لقد جاءت عبارة" سبحان الله " عطف على ما نودي به موسى على صريح معناه إخبار بتتريه الله تعالى عما لا يليق بألوهيته من أحوال المحدثات وإرداف اسم الجلالة بوصف" رب العالمين " فيه معنى التعليل للتتريه عن شؤون المحدثات لأنه رب العالمين فلا يشبه شأنه تعالى شؤونهم.[488]

---

484 - النمل: 18.

485 - محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير. ج2، ص:406.

486 - فايز الداية: علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973، ص:216-217.

487 - النمل: 08.

488 - محمد الطاهر بن عاشور. التحرير والتنوير، ج19، ص:227.

وعليه فالعدول من لفظة" الله " إلى لفظة" رب " إنما جاء للتعليل.

ت2- قال تعالى:(**اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)** (489) جاءت جملة" الله لا إله إلا هو " استئنافا هوبمترلة النتيجة للصفات التي أجريت على اسم الجلالة وهو المقصود من هذا التذييل أي ليس لغير الله شبهة إلهية(490)

وقول" رب العرش العظيم " أي مالك الفلك الأعظم المحيط بالعوالم العليا.

والعدول الحاصل في الآية هو العدول من لفظة" الله " إلى لفظة " رب ".

ت2- قال تعالى: (**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) (491)العدول الوارد في الآية الكريمة هو العدول من لفظة الله إلى لفظة رب العالمين وذلك لاعتراف بأن الله هو رب جميع الموجودات وهذا مقام التوحيد.(492)

ت3- قال تعالى: (**إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** (493) العدول عن ذكرً مكةً باسمها العلم إلى طريقة الإشارة لما تقتضيه الإشارة من التعظيم، وتبيين اسم الإشارة بالبلدة لأن البلدة بهاء التأنيث اسم لطائفة من الأرض معينة معروفة محوزة فيشمل مكة وما حولها إلى نهاية حدود الحرم.

تأسيسا على ما تقدم يمكن القول أن للحجاج مكان في القرآن الكريم بشكل كبير و لسورة **النمل** حظ في ذلك، ودليل ذلك الحجج الواردة فيها والتي أشرت إليها سابقا بالإضافة إلى الاستفهام... والتي تعد كلها قيم ومؤشرات تداولية، كما أن الظواهر التركيبية من تقديم وتأخير وزيادة وحذف خرق للمعهود وكسر لنمطية المألوف وذلك بكسر القواعد النحوية الروتينية المفروضة وفتح باب الإبداع ليفتح هو الآخر مجال التأويل ويتجاوز الحدود المعروفة.

بالإضافة إلى ذلك فإن الالتفات في الضمائر من أهم الأساليب التعبيرية في القرآن الكريم ويحفل هو الآخر بكثير من القيم التداولية لما له من أثر في السامع، كما أن الانزياح في الصيغ له أثره في المعنى وكذا الأمر في البناء النحوي والعدد...

وللانزياح الدلالي حيز كبير في الدراسات اللغوية وله حظ في بحثي هذا بيد أنني لم أنظر للصور البيانية(من مجاز واستعارة وكناية وتشبيه ومجاز مرسل) والمحسنات البديعية النظرة التي تكاد تطغى على الكتب البلاغية- باستثناء البعض – وإنما حاولت من خلالها الوصول إلى معنى المعنى كما فعل ذلك الجرجاني وآخرون

---

489 - النمل: 26.

490 - محمد الطاهر بن عاشور.المرجع السابق، ص:255- 256.

491 - النمل: 44.

492 - محمد الطاهر بن عاشور.المرجع السابق، ص276.

493 - النمل: 91.

مع فتح فرص للمتلقي في المشاركة باعتباره سامعا أو قارئا، مع نماذج تطبيقية لكل ظاهرة أتوقف عندها مـــن ســـورة **النمـــل.**

خاتمة

الخاتمة :

من على شرفة ما تقدم من البحث ، يمكن الخلوص إلى مجموعة من النتائج المختلفة التصنيف والـــتي كانت ثمرة هذه المحاولة في رصد ظاهرة الانزياح – أو نظرية الانزياح كما يفضل البعض تسميتها- في سورة من سور القرآن الكريم وهي سورة "النمل" ؛ و لما كان الأمر كذلك – اختلاف النتائج – كان لزاما عليّ أن أقسمها إلى نوعين من النتائج :

- نتائج عامة ونظرية متعلقة باللغة عموما وبعلم اللغة ، الأسلوبية والتداولية و الدراسات القرآنية .

- نتائج خاصة تتعلق بظاهرة الانزياح والت توصلت إليها من خلال الفصول ، ويبقى الفصل النهائي بينهما مستحيل ، لأنها متداخلة في عمومها .

أولا : النتائج العامة :

1- أهمية اللغة في أجراء العملية التواصلية ؛ فهي قائمة هائلة من الإمكانات المتاحة للتعبير بغية تحقيق إفـــادة معينة .

2- أهمية الدراسات اللغوية في حقل العلوم الإنسانية وان لم تكن محددة تحديدا دقيقا حتى جاء "سوســـير" الذي اعتبر أن علم اللغة هو اللغة ذاتها و لاجل ذاتها .

3- إن أهم مبدأ أصولي يستند إليه تحديد حقل الأسلوبية يتركز أساسا على ثنائية تكاملية هي من مواضعات التفكير اللساني ، وقد أحكم استغلالها علميا "سوسير" ، وتتمثل في تفكيك مفهوم الظــاهرة اللســانية إلى واقعين أو لنقل إلى ظاهرتين وجوديتين : ظاهرة اللغة وظاهرة العبارة ومن ثم اعتمـــد كـــل اللغـــويين بعـــد "سوسير" على الثنائيات .

4- الكلام باعتبار ه الظاهرة المجسّدة للغة ساعد على حصر مجال الأسلوبية التي لا تتصل إلا بالجانب الثاني من الظاهرة وهو الحيز العملي المحسوس المسمى : عبارة ، خطابا أو نصا أو رسالة أو طاقة بالفعل .

5- أهمية القرآن الكريم والدراسات القرآنية في إثراء الدرس اللغوي العربي القديم.

6- ثراء المادة البلاغية التي وجدنها حول ظاهرة الانزياح في التراث البلاغي العربي القديم ممّا يـــدعم القـــول بوجود صلات وملامح ومقاربات لهذه النظرية في تراثنا ، وان اختلفت في المصطلحات والمنهج كما هو الآن في الدراسات الأسلوبية الحديثة.

7- تمتاز الدراسات اللغوية العربية القديمة بالطابع الشمولي ، بمعنى عدم الفصل في مستويات اللغة وهـــذا لا ينفي تميّزه بالجدة والابتكار .

8- أهمية الدراسات الأسلوبية عامة وظاهرة الانزياح خاصة في توجيه المعنى ، والانتقال من دراسة المعنى إلى معنى المعنى.

9- وجود مقاربة بين مفاهيم التداولية الحديثة وبين فكرة "مقتضى الحال" في البلاغة العربية ؛ وهـــي الـــتي أنتجت المقولة الشهيرة " لكل مقام مقال".

10- أزمة الدراسات الأسلوبية ؛ في تذبذبها بين موضوعية اللســـانيات ونســـبية الاســـتقراءات وجفـــاف المستخلصات مما جعل بعض اللغويين ينادون بحق الأسلوبية في شرعية الوجود ضمن أفنان الشجرة اللســـانية العامة .

11- حرص النقاد العرب على اخذ التحليل الأسلوبي للنص مأخذ الجد في الممارسات النقدية الشاملة مما أدى إلى ظهور بعض الاتجاهات الأسلوبية الحديثة .

12- ضرورة الاعتماد على اللسانيات بنتائجها القيمة والمتنوعة في تناول النص القرآني باعتبار ه معطا لغويا بدرجة أولى من شانها أن تزيح الكثير من الإشكاليات المعرفية المتنوعة.

ثانيا : النتائج الخاصة :

1- من خلال الوقفة التي كانت بهذا البحث اتضح أن هناك ملامح وصلات لظاهرة الانزيـاح في الـدرس البلاغي العربي القديم ، و لكنها لم ترد بهذا المصطلح أي الانزياح و إنما وجدت في ثنايا مصطلحات عديدة ؛ كالاضطرار ، الضرورة ، الاتساع ، المجاز، العدول ، الاختيار ، الشجاعة ...
وكلها ألفاظ تصب مفاهيمها في ظاهرة الانزياح بشكل أو بآخر تتسع أو تضيق ؛ معنى ذلك عـدم وجـود مصطلح يتطابق مع مصطلح الانزياح- بالمفهوم الحديث- تطابقا كليا ليبقى مجال الخصوصية و التميز مفتوحا .

2 - وجود مستويين على الأقل في استخدام اللغة ؛ المستوى العادي النمطي الذي تحكمه علاقات لغوية عادية مألوفة مبنية على توالي الوحدات اللغوية في طبيعتها و العقلية ، والمستوى الفني / اللغة الفنية الذي تحكمـه علاقات لغوية غير عادية أو منحرفة عن المألوف في الانجاز اللغوي ، فتعتمد بقوة على الايحاءات السيميولوجية التي تومئ إليها إجراء الحدث اللغوي .

3- وفي محاولة لاستنطاق بعض النصوص من التراث اللغوي العربي اتضحت جملة من الثنائيات تعزز الـوعي المنبئ عن الادراك الضمني للّغويين القدماء بوجود تفرقة بين مستويين للّغة لا يقف أحدهما إلا متراحا عن الآخر ؛ وهذه الثنائيات هي : الشعر / النثر ، الكلام البليغ / الكلام العادي ، أصل الوضع / المجاز ، الضـرورة / الرخص ، الإغراب/ القرب و المثال / الاستعمال .

4- أما الدارسين العرب المحدثين ، فقد أصّلوا للظاهرة كما أنهم تأثروا بالدراسات الغربية ، وخاصة بنظرية " جون كوهين " ، فاستفادوا وأفادوا و شكلوا بذلك خلفيات معرفية ينطلق منها الدارس المعاصر.

5- إن ظاهرة الانزياح ظهرت بجلاء عند اللغويين و النقاد الغرب المحـدثين ، وإن اختلفـت منطلقـاتهم و تسميتهم للظاهرة ، مما أوجد جملة من المصطلحات تعبر عن الواقع العرضي مثـل : المخالفـة ، الشـناعة ، الانتهاك ، الانحراف ، خرق السنن ...

6- وجود انزياحات لغوية وأخرى غير لغوية ؛ كالخوارق و الظواهر الطبيعية انطلاقا من اعتبـار الانزيـاح مخالفة و خروج عن النمط المألوف .

7- ليس كل خروج عن العادة أو ضرورة يشكل ظاهرة انزياحية ما لم يحقق سمة جمالية بمعنى ليس كل انزياح خاصية أسلوبية .

8- تبقى المشكلة الأساسية التي تواجه نظرية الانزياح تتمثل بالدرجة الأولى في تحديد طبيعة المعيـار الـذي يحدث عنه الانزياح ، فهو يفترض مسبقا أن هناك معيارا أو قاعدة ..

9- أثبتت الدراسة التطبيقية لهذا البحث أن الانزياح يحدث في كل مستويات اللغة الصوتية ، الصرفية النحوية و الدالية بالاضافة إلى الجانب التداولي .

10- تعتبر الفاصلة القرآنية من أهم المظاهر الصوتية التي يحدث فيها الانزياح لغاية رعايتها ، بالاضـافة إلى ظاهرة الزيادة والحذف و الادغام وكلها تشكل سمة جمالية وتؤثر في الدلالة .

11- كما أن ايراد صيغة بدل صيغة أخرى يعد انزياحا صرفيا له دلالته .

12- اعتبار كل زيادة في المبنى – و الزيادة هنا بالمعنى النحوي – يؤدي إلى زيادة في المعنى ، و كل حذف في المبنى – بالمعنى النحوي أيضا للحذف – يؤدي إلى دلالة أقوى .

13- أن القرآن الكريم يحفل بالكثير من القيم التداولية ، بل هو النص الأكثر مراعاة لمقتضى الملكات النفسية – المقام- التي لا يراعيها إلا خالقها ، وهنا يكمن التفوق و المعجزة البيانية للقرآن الكريم .

هذا بالاضافة إلى وجود نتائج أخرى جزئية مبثوثة في ثنايا البحث و فصوله يستشفها القاري أثناء إطلاعه على البحث .

وجماع الأمر بعد هذه الوقفة التي كانت للبحث يمكن القول أن ظاهرة الانزياح – نظرية الانزيـــاح – موجودة بشكل كبير في القرآن الكريم والنصوص النثرية والشعرية ...
وهي ظاهرة جد مهمة لأنها تتعلق أساسا بالجانب الدلالي للغة باختلاف المستويات التي تحدث فيها الظـــاهرة ، ويبقى المجال مفتوحا للمزيد من الدراسات من هذا النوع في كل النصوص و خاصة النص القرآني باعتباره الأفق البياني المستحيل الذي لا يسع أي بليغ إدراكه – و حتى سورة النمل ذاتها فلا أزعم لنفسي أني وفيتها قدرها – لأنها – الدراسات - توصلنا إلى معنى المعنى و هذا هو المبتغى من كل دراسة .

فهرس الموضوعات :

القرآن الكريم : رواية حفص عن عاصم ، مؤسسة علوم القرآن منار للنشر والتوزيع ، دمشق ، بيروت .

قائمة المصادر والمراجع :

أ- قائمة الكتب العربية و المترجمة :

1- أحمد بلبداوي : الكلام الشعري من الضرورة إلى البلاغة العامة ، دار الأمان ، الرباط ، ط1، 1997م.

2- أحمد درويش : النص البلاغي في التراث العربي و الأوربي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، د ت .

3- أحمد محمد ويس : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، 2002م.

4- أحمد مختار عمر، عبد العالي سالم مكرم: معجم القراءات القرآنية مع مقدمة في القراءات وأشهر القراء ، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة ، ط3، 1997م.
5- إبراهيم حسن إبراهيم : سيبويه والضرورة الشعرية ، مطبعة حسان ، ط1، 1983م.
6-إميل بديع يعقوب : فقه اللغة العربية وخصائصها ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1973م.
7- ابن الأثير أبو الفتح ضياء : المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، 1939م.
8- ابن جني عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط3، 1986 م.
9- ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، د ت .
10- ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمة ، لونان ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003م.
11- ابن رشيق أبو الحسن علي: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميـــد ، دار الجبل للنشر ، بيروت ، د ت.
12- أبو هلال العسكري : الصناعتين ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنـــان ، ط2، 1989م.
13- ابن سينا : فن الشعر ضمن فن الشعر لأرسطو ، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة ، بيروت، لبنان، د ت .
14 - ابن منظور : لسان العرب المحيط ، قدم له عبد الله العلايلي أعاد بنائه يوسف خيـــاط ، دار الجيـــل ، بيروت ، 1988م.
15- ابن النديم : الفهرست ، حققه وقدم له مصطفى الشويمي ، الدار التونسية للنشر ، المؤسســـة الوطنيـــة للكتاب ، تونس ، الجزائر ، 1985م.
16- بارة عبد الغني : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، مقاربة حوارية في الأصول المعرفية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 2005م.
17- الباقلاني أبو بكر : إعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
18- الباقلاني أبو بكر : إعجاز القرآن في حاشية الإتقان للسيوطي، دار مكتبة الهلال ، بيروت، لبنان ،د ت.
19- بيار جيرو : الأسلوب والأسلوبية ، ترجمة منذر عياشي ، مركز الإهداء القومي ، د ت.
20-تمام حسان : مناهج البحث في اللغة ، دار الثقافة ، المغرب ، 1986م.
21- تمام حسان : البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القـــاهرة ، ط1، 1993م.

22- تمام حسان : الخلاصة النحوية ، عالم الكتب ، مصر ، ط1، 2000م.
23- تمام حسان : الأصول ، دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، النحو ، فقه اللغة ، البلاغة ، عالم الكتب ، القاهرة ، 2000م.
24- تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1973م.
25- الجاحظ أبو عمرو عثمان : البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، نشر مؤسسات الخانجي ، القاهرة ، ط1، د ت .
26- الجرجاني عبد القاهر : دلائل الإعجاز ، تعليق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994م.
27- الجرجاني عبد القاهر: أسرار البلاغة في علم البيان ، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، د ت.
28- جورج شاكور : كتاب البيان ، موجز في البيان والعروض مع مختارات أدبية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1996م.
29- جون كوهين : بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، 1990م.
30- حازم القرطاجني : منهاج البلغاء في سراج الأدباء ، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، 1966م.
31- حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، دار الكتاب الحديث ، الكويت ، د ت.
32- حسن ناظم : البنى الأسلوبية ، دراسة في أنشودة المطر للسياب ، بغداد ، 1995م.
33- حمادي صمود : الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة ، دار شوقي للنشر ، ط2، 1997م.
34- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ،1981م.
35- حميدي لحمداني : بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط3، 2000م.
36- خيرة حمر العين : شعرية الانزياح ، دراسة في جماليات العدول ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية و النشر والتوزيع ، الأردن ، ط1، 2001م.
37- رجاء عيد : البحث الأسلوبي معاصرة وتراث ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، 1993م.
38- الرماني : النكت ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام ، دار المعارف .

39- الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، 1408هـ، 1988م.
40- سعد مصلوح : الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1991م.
41- سعيد بحيري :علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية للنشر لوجمان ، 1997م.
42- سعيد الغانمي : اللغة والخطاب الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، 1993م
43- السمرائي فاضل صالح: معاني النحو ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 1420ه /2000م.
44- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت ، د ت .
45- سيد قطب : الصوير الفني في القرآن الكريم ، القاهرة ، ط10، 1986م.
46- السيوطي جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،د ت.
47- شمس الدين محمد ابن خليل القباقبي ، إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز في القراءات الأربعة عشر ، دراسة وتحقيق أحمد خالد شكري ، دار عمار للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،ط1، 1420هـ ، 2003م.
48- صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تطبيقية على السور المكية ، دار قباء للنشر والتوزيع ، د ت.
49- صلاح فضل : علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1، 1998م.
50- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ، القاهرة ، بيروت ، 2004م.
51- الطيب دبه: مبادئ اللسانيات البنوية ، دراسة تحليلية إبستيمولوجية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2001 م .
52- العبكري أبو البقاء عبد الله بن الحسين : التبيان في إعراب القرآن ، المكتبة التوفيقية، القاهرة ، 1980م.
53- عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ، دراسة في خصائص اللغة الأدبية من منظور النقاد العرب ، المجلس الأعلى للثقافة ، 2003م.
54- عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، دار القلم ، دمشق ، دار المنارة ، بيروت ، ط1، 1987م.
55- عبد السلام المسدي : قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، نشر الشركة التونسية للتوزيع، تونس (د، ت) .

56- عبد السلام المسدي:النقد والحداثة ، مع دليل بيبليوغرافي ، دار الطليعة للطباعة والنشر بـــيروت ،ط1، 1983م.
57- عبد السلام المسدي : العربية و الإعراب ، مركز النشر الجامعي ، تونس 2003م
58- عبد السلام المسدي : التفكير اللساني في الحضارة العربية ،الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ،1981م.
59- عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب ، دار سعاد الصباح ، ط4، 1993م.
60- عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة ، 1975م.
61- عبد العزيز عتيق : علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان، د ت.
62- عبد الواسع أحمد حميري : شعرية الخطاب في التراث النقدي والبلاغي ، المؤسسة الجامعية للدراســـات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 2005م.
63- عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، الزهراء للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط2، 1993م.
64- فايز الداية : علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق ، دراسة تاريخية تأصيلية نقدية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1973م.
65- فاضل ثامر : اللغة الثانية في إشكالية المنهج و النظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحـــديث ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1، 1994م.
66-فرديناند دي سوسير : دروس في الألسنية العامة ، ترجمة : صالح القرمادي ، محمد الشـــاوش ، محمـــد عجيمة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1985م.
67- القاضي عبد الجبار بن أحمد : شرح الأصول الخمسة ، تعليق أحمد بن الحسين بن أبي هشام ، حققـــه وقدم له عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط2، 1988م.
68- مازن الواعر : قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، ط1، 1980م.
69- محمد أبو القاسم حاج حمد : العالمية الإسلامية الثانية ، جدلية الغيب والإنسان ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1996م.
70- محمد إسماعيل الزويعي : من أساليب التعبير القرآني ، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، إصدارات الجوهر ، بيروت ، لبنان ،1996م.
71- محمد بركات حمدي أبو علي : البلاغة العربية في ضوء الأسلوبية ونظرية السياق ، دار وائل للنشـــر ، الأردن ، ط1، 2003م.
72- محمد الحسناوي : الفاصلة في القرآن الكريم ، دار عمار للنشر و التوزيع ، ط2، 2000م.
73- محمد حسن سلامة : الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ،2002م.

74- محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام النص ، المركز الثقافي العربي ، الـــدار البيضـــاء ، المغرب ، ط1، 1991م.
75- محمد الصاوي الجويني : البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف بالإسكندرية، مصر ، 1985م.
76- محمد شكري عياد : اللغة والإبداع ،مبادئ علم الأسلوب العربي، انترناسيونال برس ، ط1، 1988م.
77- محمد عابد الجابري : بنية العقل العربي ، دراسة نقدية تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط7، 2004م .
78- محمد عبد المطلب : البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية العالمية لوجمان ، مصر 1994م.
79- محمد عبد المنعم خفاجي ، محمد السعدي فرهود ، عبد العزيز شرف : الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر ، ط1، 1992م.
80- محمد عزام : الأسلوبية منهجا نقديا ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ط1، 1989م.
81- محمد العمري : البلاغة العربية أصولها وإمداداتها ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999م.
82- محمد فكري الجزار : لسانيات الاختلاف ، الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثـــة ، أتراك للطباعة والنشر والتوزيع ، مصر ، 2001م.
83- محمد النويري : علم الكلام والنظرية البلاغية عند العرب ، دار محمد علي الحامي للنشـــر والتوزيـــع ، صفاقص ، ط1، 2001م.
84- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط8، 1965م.
85- مصطفى السعداني : العدول أسلوب تراثي في نقد الشعر ، توزيع منشأة المعارف، الإسكندرية ، مصر، 1990م.
86- منذر عياشي : مقالات في الأسلوبية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1990م.
87- منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، منشأة المعارف ،الإســـكندرية ، مصـــر ، ط3، 1986م.
88- منير سلطان : بلاغة الكلمة والجملة ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر،1983م.
89- موسى ربابعة : الأسلوبية مفاهيمها وتجليتها ، دار الكندي للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2002م.
90- نور الدين السد : الأسلوبية وتحليل الخطاب ، دراسة في النقد العربي الحديث ، دار هومـــة للطباعـــة و النشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997م.
91- هنريش بليث : البلاغة والأسلوبية ، نحو نموذج سيميائي لتحليل النص ، ترجمة و تعليق محمد العمري ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 1999م.
92- هنداوي عبد الحميد : الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، 2004م.

ب - قائمة التفاسير :

1- الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمود : روح المعاني و تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، قرأه محمد حسين العرب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، لبنان ، 1414 هـ ، 1994 م .

2- ابن محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تفسير غريب القرآن ، شرح ومراجعة إبراهيم محمد رمضان ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1991م.

3- البيضاوي : أنوار التتريل وأسرار التأويل ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ،د ت.

4- الزمخشري محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق غوامض التتريل ، تحقيق مصطفى حسين أحمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1987 م.

5- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، مصر ، ط16، 1990م.

6- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1974م.

7- الشوكاني محمد بن علي بن محمد : فتح القدير ، الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مراجعة يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1996م.

8- الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : مختصر تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل آي القرآن ، إختصار و تحقيق محمد علي الصابوني ، صالح أحمد رضا ، مكتبة رحاب ، الجزائر ، 1991م.

9- محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، د ت.

10- محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط8، 1995م.

11- النسفي عبد الله بن احمد : تفسير النسفي ،مدارك التأويل ، تحقيق مروان محمد الشعار ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، 1416ه / 1996م.

ج - قائمة المجلات والمقالات :

1- الحواسي مسعود : البنية الحجاجية في القرآن الكريم ، سورة النمل "نموذجا" ، مجلة اللغة و الأدب ، العدد12 ، الجزائر .

2- حاتم السكر : الدخل الضيق والخارج المتسع ،

http:// members chello .. se/ kut / makatat .htm .

3- خان محمد : بنية الخطاب الشعري ، الإيقاع ، المعنى ، محاضرات السيمياء و النص الأدبي ،محاضرات الملتقى الثالث ،منشورات جامعة بسكرة ،19-20،افريل 2003م.

4- السعيد لبيب :دراسة نقدية ليانابيع الوحي الإلاهي ،مجلة كلية اللغة العربية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، العدد 38 .

5- صبحي صالح : أصول الالسونية عند النحاة العرب ، مجلة الفكر العربي ، العدد 8-9 مارس 1979م.

6- طارق البكري : الأسلوبية عند ميشال ريفاتير ،2005م.

http : //www alwalan voice .com/ pubpit php? go : articles .8 at .

7-طه عبد الرحمن : الدلاليات والتداوليات ، أشكال الحدود البحث اللساني والسيميائي ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2،مطبعة النجاح الجديد، المغرب، ط1، 1984 م.

8- عبد الحليم بن عيسى : اللسانيات والنص القرآني ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر ، العدد 3 ، أفريل، 2003م.

9-عصام القيسي : في شعرية اللغة ، ملتقى الادب العربي ، رابطة نون ،2005م.

http:// www aladab .net /vb/ archive / index .php / t 438 html.

10- محمد سليمان العبد : من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، المجلة العربية ، للعلوم الإنسانية العدد 39، السنة 9، الكويت .

د - قائمة الدوريات :

1- إيناس عياظ استراتيجية التلقي الأدبي في الفكر النقدي المعاصر ، (ماجستير) ، جامعة الجزائر 2001/2000م.

2- جمال حضري : ظاهرة الانزياح في شعر عبد الصبور ،(ماجستير) ، جامعة الجزائر ،1999- 2000 م.

3- خليفة بوجادي : خصائص التركيب اللغوي في "بوابات النور"، (دكتوراه) ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2006/2005م.

4- عيسى بن سديرة : الخصائص التركيبية و الأسلوبية في المدني والمكي من القرآن الكريم ، (دكتـــوراه) ، جامعة الجزائر ،2004 /2005م.

هـ- قائمة الكتب الأجنبية :

1- André Martinet : Elements de linguistique Générale, Arland colin , Paris (Nouvelle Edition , 1980) .

2- F. De Saussure : cours de l' inguistique générale , publié par Charles Bally et Albert Sechlraye , édeition prépareé par Tullio de Mauro , Paris 1980.

3- Groupe U : Retorique Générale points , édition du seuil, Paris 1982.

4- J.Cohen : structure du langage poétique , Flammarion , Paris 1966.

5- Litterature et signification :la rousse, Paris 1967.